ISBN: 978-4-87297-965-7
سلسلة دراسات في الثقافة الإسلامية 84
دراسات الشرق الأوسط والإسلام (3)
Project MEIS at TUFS

آل الجسر في طرابلس
1980-1757
من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي

عبدالله سعيد
أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا
جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية
طوكيو 2007

sharif mahmoud

عبدالله سعيد

آل الجسر في طرابلس

1757 — 1980

من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي

منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا

جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية

طوكيو 2007

المؤلف:عبد الله ابراهيم سعيد

عنوان الكتاب: **آل الجسر في طرابلس1757ـ 1980**

من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي

سلسلة: دراسات الثقافة الإسلامية 84

دراسات الشرق الأوسط والإسلام (3)

الناشر: معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا

سنة النشر: طوكيو 2007

الغلاف:

"Toripoli" from John CARNE, Illustrated by William Henry BARTLETT, Thomas ALLOM and others: SYRIA, THE HOLY LAND, ASIA MINOR, ETC ILLUSTRATED. Published by Fisher Son & Co. London, Paris and America. c.1836.

الإيداع القانوني:ISBN 978-4-87296-965-7

آل الجسر في طرابلس

1980 — 1757

إلـــى

سلـوى

وليـــن

ولمـــى

والأصدقـــاء

والـــدارسيـــن

والبـــاحثيـــن

اليابانيين في اللّغة العربيـــة

وحضـــارة المشرق العربـــي

فهرس المحتويات

مقدّمـــة

التحوّل من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي
ميزة النصف الأول من القرن العشرين

قصة هذا الكتاب

لقد ولدت فكرة هذا الكتاب في ظروف غير طبيعية، وفي ظلّ غياب مكتبة متخصصة، وأوضاعٍ لبنانية غير مستقرّة. ففي شهر أيار 2006، حمل لي الصديق البروفسور كوروكي(Hidemitsu Kuroki)، مدير مركز اليابان لدراسات الشرق الأوسط في بيروت، دعوة لزيارة طوكيو، عاصمة اليابان، لمدّة أسبوعين، وذلك في سبيل إلقاء محاضرتين في معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا، التابع لجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية. ولكن بالرغم من فرحتي الّتي لا توصف آنذاك، لهذه الدعوة الّتي انتظرتها منذ العام 1998، قلت للصديق كوروكي: وكيف لي أنْ أذهب لإلقاء محاضرتين، وأنا لا أعرف التحدّث باللغّة الانكليزية. قال: "لا عليك تُعطي المحاضرتين باللغّة العربية وأنا أترجمها إلى اللغّة اليابانية ترجمةً فورية، وذلك شرط أن تتدبّر أنت أمر ترجمتها إلى الانكليزية ليسهل على الباحثين اليابانيين الإطلاع عليها فيما بعد". وعند مناقشة مواضيع المحاضرتين، كان رأيي هو أن أتحدّث عن التاريخ الريفي اللبناني

الحديث، وهو من اختصاصي. بينما كان رأيه أن أتحدّث عن كتابي الأخير: **الشيخ محمد الجسر من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان**، الصادر عن دار النهار للنشر، في بيروت، كانون الأول 2005. ولا سيّما بعدما اطّلع عليه هو شخصياً، وقرأ بعض مطالعات الباحثين والنقّاد ورجال الصحافة عليه. وهكذا أقرّ الرأي على أن تكون المحاضرة الأولى بعنوان "**الشيخ محمد الجسر والمجتمع الطرابلسي 1881ـ 1934**"، والثانية بعنوان: «**منهجيّة الكتابة عن الشخصيّات السياسية**». وبدأتُ بإجراءات التأشيرة (الفيزا)، ومعاملات السفر. وعلِمْتُ من الصديق كوروكي أن المؤرخ عبد الرحيم أبو حسين، أستاذ التاريخ العثماني في الجامعة الأميركية، سيكون أيضاً في طوكيو لإلقاء محاضرتين عن لبنان في الحقبة العثمانية، مما زاد من فرحتي أن أشاركه في محاضرتين مزدوجتين. وبعد أسبوعين، أبلغني صديقي موعد السفر والوصول إلى طوكيو، وتوقيت المحاضرتين، وبرنامج الزيارة، ومواعيد العودة إلى لبنان في 16 تموز.

سبب اختيار الموضوع

وصلْتُ إلى طوكيو في الرابع من تموز 2006، وألقينا المحاضرة الأولى في الثامن منه، والثانية في الرابع عشر. ونحن نستعدّ لإلقاء المحاضرة الثانية، شنّت إسرائيل حربها المدمّرة على لبنان، وقطّعت أوصاله، وخرّبت طرقاته، وهدّمت جسوره الرئيسية، فأُقْفِل المطار في بيروت وتعطّلت الملاحة الجويّة والبحرية. ووقَعْتُ في حيرةٍ من أمري، ما العمل، فموعد العودة إلى الوطن الجريح مقررٌ في السادس عشر من تموز، فإلى أين أذهب، في حال استمرّ المطار مقفلاً حتّى ذلك التاريخ. هذا مع العلم أنني كنت أخاف الذهاب إلى لبنان عن طريق مطار دمشق بسبب تشابه الأسماء، والإلتباس حول إسمي وشهرتي مع شخصٍ يحمل الاسم نفسه والشهرة ذاتها، وهو مطلوبٌ للعدالة والسجن في سورية. فطلبت من الصديق كوروكي أنْ يمهلني يومين أو أسبوعاً حتّى أتدبّر أمري وأسافر إلى بروكسل عند ابنة أخي، أو إلى روما عند أخ

زوجتي. لكنّ الصديق الصدوق، أبى إلاّ أن أبقى في طوكيو، وعلى نفقة الجامعة، وأنْ أعدّ للمعهد، مشروعاً خلال إقامتي لمدة أربعة أشهرٍ كباحثٍ زائرٍ فيْ جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية.

وبعد التباحث في مشاريع العمل والتعاون، اقترحت على صديقي دراسة موضوع في التاريخ الريفي، يبحث مقارنة تطوّر التاريخ الريفي الياباني مع التاريخ الريفي اللبناني. أو موضوع آخر للمقارنة بين تطوّر تاريخ البلدين. ولكن كان رأيه، إنّ أي موضوع يحتاج إلى وقت أطول من المدّة الّتي سأبقى في أثنائها في طوكيو. واقترح أن أضع كتاباً في المحاضرتين اللّتين ألقيتهما، وذلك حتّى لا أبقى بدون عملٍ، وفي المقابل أقوم بعملٍ نافعٍ لي وللمعهد والجامعة الّتي استضافتني.

وهكذا، لقيَتْ الفكرة تجاوباً من مدير معهد الأبحاث في لغّات وثقافات آسيا وأفريقيا، الصديق البروفسور أوتسوكا (Kazuo Ohtsuka)، ومن إدارة المعهد، ومن مجلس الجامعة. وتتويجاً لهذه الموافقة والترحيب، أرسل مدير المعهد رسالةً إلى دائرة الجوازات لتمديد الإقامة والحصول على تأشيرة جديدة لمدّة أربعة أشهر. وفي دائرة الجوازات لقينا كل تجاوب وترحيب رغم معرفتي الضعيفة باللغّة الانكليزية، ومُددت التأشيرة لثلاثة أشهر فقط، مع الوعد بتجديدها مرةًّ أخرى إذا دعت الحاجة، لأنّ القوانين اليابانية لا تسمح بالتجديد أكثر من هذه المدّة.

من هنا كانت ولادة فكرة هذا الكتاب، وبدأ الهمّ الأكبر كيف نصدر كتاباً لا يكون نسخة طبِق الأصل عن كتابي الأخير **الشيخ محمد الجسر**، أو لا يكون مِسخاً منه، وكيف أحصل على المصادر والمراجع، ومن يطبع وينضّد الحروف ويساعد بالإخراج... وغيرها من الأسئلة الكثيرة والكثيرة جداًّ؟ ولكن مع كلّ هذا يجب إنهاء الكتاب قبل العودة إلى لبنان في الأول من تشرين الثاني 2006. فأخذت أفتش على المراجع في مكتبة الصديق كوروكي المتواضعة ومكتبة المعهد، حيث فزت ببعض الكتب الهامة منها، واتّصلت بزوجتي في لبنان

عبر الهاتف لتزوّدني عن طريق البريد الإلكتروني (الإنترنت) ببعض المعلومات والمعطيات الضرورية لإنجاز لائق لهذا الكتاب المتواضع.

وبدأت الرحلة الشاقة في جمع المعلومات وتنسيقها وطباعتها على الكمبيوتر، وإخراجها فنياً ومطبعياً. وهذا كلّه كان يتطلّب جهداً استثنائياً، لم يكن عندي، حتّى لحظة البدء به، أي إلمام عملي وخبرة سابقة فيه. وبعد تجميع المادة وتنسيقها، وعلى ضوء المناقشات مع الأصدقاء الباحثين اليابانيين والدارسين للتاريخ العربي والفلسفة العربية الإسلامية، ارتأيت أن أختار عنواناً آخر لهذا الكتاب، آلا وهو:"**آل الجسر في طرابلس من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي**". وذلك لأن النصف الأول من القرن العشرين شهد تحوّل العديد من العائلات الطرابلسية بشكل خاص، واللبنانية بشكل عام، إلى العمل السياسي وتخلي بعض أفرادها عن النشاط الديني والإلتحاق بالوظائف الحكومية والخاصة المدنيّة، ودخول الندوة النيابية، والمجالس الوزارية اللبنانية.

لذا ما ينطبق على آل الجسر في طرابلس من تحوّل تفكيرها ونشاطها الديني إلى العمل السياسي من بداية القرن العشرين يمكن ملاحظته عند العائلات الطرابلسية الأخرى، على سبيل المثال، كآل كرامي وآل الرافعي وآل الحسيني وآل الأحدب وآل ميقاتي وآل درنيقة وآل المغربي وآل عز الدين وآل علم الدين وآل منقارة وآل الحافظ وآل الشهال وآل المقدّم وآل القاوقجي وآل سلطان وآل كبّارة وآل المصفي وغيرهم. كما لم يقتصر هذا التحوّل إلى العمل السياسي في لبنان فقط على العائلات الإسلامية السنيّة الطرابلسية، بل شملت مختلف عائلات الطوائف اللبنانية، كآل الخطيب السنّة في إقليم الخروب والفاخوري ونجا وقباني السنّة في بيروت، وآل شقير وتقي الدين وآل صبرا الأعور الدروز في جبل لبنان، وآل الخازن الموارنة، وآل الحسيني وآل الزين آل صفي الدين وآل جابر الشيعة. وخير دليل على هذا التحوّل الواسع إلى العمل السياسي دخول الراهب اسطفان الدويهي الماروني المجلس النيابي اللبناني عن دائرة زغرتا في محافظة لبنان الشمالي لمدّة قاربت الثلاثين سنة بشكل متواصل(1964ـــ 1992).

أهمية الموضوع

إنّ عائلة **الجسر** التي تنتسب إلى أشراف مدينة دمياط في مصر، وتعود بنسبها إلى **آل البيت في** الحجاز، جاءت إلى طرابلس، عام 1170 هـ / 1756 –1757م، كعائلة **دينية زاهدة متصوّفة**، واستمرت في قيادتها للطريقة **الخلوتية الصوفية**، والإرشاد الديني والإفتاء وتدريس الشريعة والمبادئ الإسلامية والعلوم الوضْعيّة العامة وعلم النحو واللغة العربية، وذلك لأكثر من قرنين من الزمن (1757ـــ1980). إذن هي دينية بامتياز مع الحاج مصطفى وولده الشيخ محمد أبي الأحوال وابنه الشيخ حسين. لتبدأ بالتحوّل إلى العمل السياسي، مع الاحتفاظ بطابعها الديني العام، في زمن الشيخ محمد يمن الجسر(1881ـــ1934) ابن الشيخ حسين، الذي خالف وصيّة والده، والتحق بالعمل السياسي والوظائف الحكومية العثمانية والفرنسية اللبنانية منذ بداية شبابه. وبذلك أرسى القواعد المتينة والمشجّعة لأخيه نديم وأولاده حسن ورشاد وحسين وعدنان وحازم وعاصم وباسم وسالم وناظم وأولادهم فيما بعد للانطلاق في الحياة المدنية والوظيفية بعيدين عن مسالك أجدادهم في التصوّف الديني، متمسّكين بتعاليم الدين الإسلامي وشرائعه، منفتحين على مختلف فئات المجتمع اللبناني وتياراته السياسية وتنوّعاته الطبقية والدينية والمذهبية.

موضوعات الكتاب

صحيح أنّ هذا الكتاب، يعتمد في بعض معطياته ووثائقه على الكتاب السابق، ولكنّه جديدٌ في أبوابه وفصوله وموضوعات التي تحاكي اهتمامات الباحث الياباني بشكل خاص، والقارئ اللبناني والعربي بشكلٍ عام. وهذه الموضوعات هي: **لمحة عن تاريخ طرابلس وتطوّر مجتمعها في الربع الأخير القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين، وإشكاليّة التأريخ للشخصيّات السياسيّة في المشرق العربي، وآل الجسر في طرابلس، ودور**

العائلة الديني لحوالي قرنين من الزمن، ثمّ تحوّل هذا الدور من الإرشاد الديني والتصوف إلى العمل السياسي بامتياز، وموقف الشيخ محمد يمن الجسر من الثورة العربية الكبرى والانتداب الفرنسي على لبنان، وعلاقته بمسقط رأسه طرابلس. وأفردنا فصلاً خاصاً بالشيخ نديم الجسر أخ الشيخ محمد، باعتباره كان من العاملين في الحقلين الديني والسياسي. بالإضافة إلى ملاحق بعائلاتها وبالطرق الصوفية وتسلسل مرشديها، وببعض الوثائق الشخصية الخاصة العائدة للشيخ محمد الجسر الذي فتح الباب على مصرعيه لانتقال عائلته آل الجسر من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي.

أولاً– التطور التاريخي والعمراني لمدينة طرابلس

ففي بحث التطور التاريخي لمدينة طرابلس، تناولنا تحديد موقعها واسمها الذي يدل على بنائها على أنقاض ثلاث أحياء عائدة لمدنٍ فنيقية قديمة، هي: أرواد وصور وصيدا، لذا أطلق اليونان عليها اسم "تريبوليس Tri Polis" (أو طرابليطا)، وهي كلمة مؤلَّفة من لفظتي "Tri" ثلاث و"Polis" أي مدينة. وتمييزاً لها عن مدينة طرابلس الواقعة في ليبيا في شمالي أفريقيا، سُمِّيَتْ طرابلس اللبنانية بطرابلس الشام، وطرابلس الليبية بطرابلس الغرب. وفي هذا الفصل أيضاً، أوجزنا تطور تاريخ طرابلس السياسي والاقتصادي والإداري منذ الفتح العربي الإسلامي إلى بداية الجمهورية اللبنانية عام 1932، وتطور عدد سكانها وطوائف أهاليها ومذاهبهم وعاداتهم وتقاليدهم في المسكن والملبس والمأكل، وبنيّة المجتمع الطرابلسي دينياً وطبقياً، وأهمية ومنزلة رجال الدين في هذا المجتمع، ودخول النهضة الثقافية والصحفية إليه.

ثانيا ــ منهجية التأريخ للشخصيّات السياسية في المشرق العربي

تناول موضوع منهجية التأريخ للشخصيّات السياسية في المشرق العربي مسالة الشخصانية في المجتمع اللبناني السياسي وحتى المدني على مبدأ " أنا أو لا أحد". أي تفرُّد الشخصيّة السياسية، بما تمثّله لعائلتها في السياسية التقليدية أو الحزبية المدنية أحياناً كثيرة، وفي العلاقات والتقاليد المشرقية الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية والطائفية المذهبية، في اتخاذ القرارات والمواقف السياسية دون العودة إلى المؤسسات المدنية أو القانونية أو المبادئ الديمقراطية الضامنة للسلم الأهلي، وذلك في مجتمعات المشرق العربي المتعددة الانتماءات الفكرية والثقافية والطائفية والمذهبية. فتحالف هذه الشخصية السياسية المشرقية أو تخاصمها يقومان على مبدأ العلاقة الشخصانية والمصلحة السياسية الانتخابية والمنفعة المالية والمادية الضيقة، وعلى مقدار التكاذب الاجتماعي والسياسي دون العودة إلى أصول اللعبة الديمقراطية المعتمدة في الدول الغربية والشرقية الراقية والمتطورة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. كما يتضمن هذا البحث الصعوبات المنهجية والتقنية والتوثيقية السليمة للتأريخ للشخصيات السياسية بشكل عام والمشرقية بشكل خاص. وما يعانيه الباحث في عمله من أساليب الترحيب والترغيب أو الترهيب والوعيد والشك في مصداقية عمله والهدف العلمي منه. فتتم عملية تقنين الحصول على الوثائق الضرورية، العائلية والأوراق الخاصة بالشخصية السياسية موضوع الدراسة، وذلك بهدف التحكّم في مسار البحث وتوجيهه باتجاه الإيجابيات دون السلبيات.

ثالثاً ــ مرحلة الدور الديني لآل الجسر في طرابلس

يتضمّن باب الدور الديني لآل الجسر في طرابلس لمحة تاريخية عن مجيء هذه العائلة إلى لبنان من مدينة دمياط المصرية، والعودة بنسبها إلى أشراف تلك المدينة، وإلى آل البيت في الحجاز، حيث جاءت كعائلة دينية زاهدة

متصوّفة تحمل لقب المائي وتنتسب إلى آل الصيادي الرفاعي. وفي طرابلس لبنان غلُبَ عليها كِنيَة لقب الجسر المعروفة به الآن منذ منتصف القرن الثامن عشر، واستمرت في قيادتها للطريقة الخلوتية الصوفية، والإرشاد الديني وتدريس الشريعة والمبادئ الإسلامية والعلوم الوضعيّة العامة وعلم النحو واللغة العربية، وذلك لأكثر من قرنين من الزمن (1757ــ1980).

وفي سبيل توضيح دورها الديني، كان لا بدّ من تناول سيرة كلّ من الشيخ **محمد مصطفى الجسر**(1793ــ1846)، **أبي الأحوال** وابنه **الشيخ حسين** (1845ــ1909)، ودورهما في تكوين التراث الديني لآل الجسر في طرابلس من خلال مجاورتهما في الجامع الأزهر الشريف، وتناولهما، آنذاك، العلم وفقه الشريعة على مجموعة كبيرة من علماء الإسلام الصوفيين في طرابلس ومصر وفلسطين والحجاز، وانتسابهما إلى الطريقة الخلوتية الصوفية وقيادة هذه الطريقة في طرابلس ومنح الإجازات فيها طيلة مئة سنة، قبل أن تنتقل قيادتها إلى الشيخ **محمد يمن الجسر** بعد وفاة والده الشيخ حسين عام 1909، ثمّ إلى **الشيخ نديم** بعد انتقال الشيخ محمد إلى بيروت وتفرّغه للاهتمام بالعمل السياسي منذ عام 1920. ومساهمة **الشيخ حسين** الحثيثة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتبيان صحّتها، وشرح أحكام وأركان الدين الإسلامي، والردّ على النظريات الفلسفية المادية الحديثة، وخاصة نظرية "النشوء والارتقاء" لتشارلز داروين(1809ــ1882) من وجهة نظر الإيمان البحتة. وفي سبيل إيصال أرائه وتوجّهاته الدينية ومناظراته للماديين والدهريين المشرقيين والأوروبيين، نشر الشيخ حسين كماً وافراً من الكتب المطبوعة وغير المطبوعة التي ألّفها، بالإضافة إلى مقالاته الافتتاحية في جريدة "**طرابلس**" الأسبوعية على مدى عشر سنوات موجّهاً مثقّفاً لأوسع فئة من قرّاء طرابلس، وإرشاده وتدريسه للتعاليم الإسلامية والشريعة في مدارس ومساجد المدينة العديدة. وكان للشيخ حسين تجربة رائدة في المزج بين تعليم الشريعة الإسلامية والإرشاد، وبين التعليم الأكاديمي الحديث والمعاصر للعلوم والرياضيات واللغتين الفرنسية والعربية، وذلك من خلال إنشاء مدرسته

الوطنية وتوليه بنفسه مهمة تدريس علوم الشريعة وعلم الصرف والنحو وأصول اللغة العربية وآدابها.

رابعاً ـ مرحلة تحوّل آل الجسر من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي

يتناول باب مرحلة تحوّل آل الجسر من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي منطلقات هذا التحول الذي أرسى دعائمه الشيخ **حسين الجسر** باندفاعه الإصلاحي للتعليم في السلطنة العثمانية عامةً وفي طرابلس خاصةً من خلال تأسيسه المدرسة الوطنية الإسلامية، واهتمامه بقراءة ترجمات المقالات والكتب الفلسفية الأوروبية الحديثة بقصد الردّ عليها، واطلاع ابنه الشيخ **محمد يمن** على هذه الترجمات الفلسفية وتعليقات والده عليها. وهكذا نشأ الشيخ **محمد** وترعرع في كنف والده ومناظراته الدينية، وفي مدينةٍ تنشط فيها الطرق الصوفية المتعددة: **كالخلوتية والقادرية والرفاعية والشاذلية والنقبشندية والبدوية والمولوية**. وتنتشر تكاياها وزواياها في كل حيّ من أحياء طرابلس، ويتمتّع مرشديها بمنزلة محترمة وسلطة دينية كبيرة، حيث كان لا يتجّرأ أي مسلم في المدينة على تناول الطعام والإفطار علناً في غير توقيته وموعده طيلة شهر الصيام في رمضان، أو يبيع الخمرة في متجره أو يشربها في ظل سيطرة مشايخ الطرق الصوفية على مجمل مفاصل الحياة الاجتماعية والعائلية في طرابلس.

في هذا الجو من الإيمان والممارسة الدينيّة الصوفية ولد الشيخ **محمد يمن الجسر** وترعرع، فدرس على والده الشيخ حسين وبعض مشايخ المدينة، وجاور في الأزهر الشريف. وبدأ نشاطه المهني، عام 1907، بالتدريس في مدارس المعارف العثمانية، أي موظفاً حكومياً، بالإضافة إلى وراثة رتبة والده في رئاسة الطريقة الخلوتية والتدريس والإرشاد الديني وإلقاء المحاضرات في المدرسة الرجبية وجامع طينال وغيرهما من مدارس وجوامع طرابلس الكثيرة. وفي عام 1912 أصبح نائبا مبعوثا عن مدينة طرابلس في مجلس المبعوثان العثماني، ثمّ نائبا لرئيس مجلس ولاية بيروت ورئيس مجلس أعيانها، ثمّ رئيساً لمحكمة

الاستئناف والجنايات ثمّ مدعي عام التمييز، وبعد ذلك وزيرا للداخلية وثمّ للمعارف، ورئيساً لمجلسي الشيوخ والنواب(1926ـــ1932). وكاد، عام 1932، يصل إلى سدّة رئاسة الجمهورية اللبنانية لو سمح الفرنسيون له بذلك، ولم يعطّلوا الدستور اللبناني آنذاك. من هنا يمكن اعتبار الشيخ محمد يمن، المولود عام 1881 والمتوفي عام 1934، والحفيد لأبي الأحوال، الشيخ المتصوّف الأكبر في عائلة الجسر، رائد تحوّل وانتقال عائلته إلى العمل السياسي.

ومشى **الشيخ نديم (1897ـــ1980) ابن الشيخ حسين** الثاني، على خطى أخيه الشيخ **محمد يمن**، حيث بدأ نشاطه المهني مرشداً دينياً، ولكن بسبب ضآلة مردود راتب هذه المهنة المالي وأعباء عائلته، وعائلة أخيه الشيخ محمد، التحق بالوظيفة الإدارية، ثم بسلك القضاء، فاستهواه العمل السياسي ودخل المجلس النيابي اللبناني عام 1957، ثمّ عاد بعدها إلى الواجهة الدينيّة في طرابلس وتبوّأ منصب الإفتاء فيها (مفتي طرابلس والشمال)، وذلك منذ العام 1960 وحتى وفاته عام 1980.

ولكن بعد وفاة الشيخ نديم عام 1980، أخذت عائلة الجسر تتخلى عن مذهب تصوّفها، وتندفع إلى العمل السياسي والإداري مع أولاد الشيخ محمد: حسن ورشاد وحسين وعدنان وحازم وعاصم وسالم وناظم وباسم الكاتب السياسي والصحافي، الذي كان مقرباً من الرئيس اللبناني الأسبق فؤاد شهاب، وكاد يصبح وزيراً لأكثر من مرة، وترشّح إلى النيابة عن المقعد السني في بيروت، ولكن لم يحالفه الحظ آنذاك. كما ساهم في تأسيس الحزب الديمقراطي اللبناني، وعمل إلى جانب الإمام موسى الصدر. وهو الآن يشغل منصب نائب رئيس حركة التجدد الديمقراطي في لبنان.

ومع عودة الحياة السياسية إلى لبنان بعد اتفاق الطائف منذ عام 1990 انتقل التنافس السياسي والنيابي في عائلة الجسر إلى جيل الأحفاد وأولاد العم. وفي وقتنا الحاضر تتمثل العائلة في المجلس النيابي بشخص سمير عدنان الجسر

الذي ينتمي إلى تيار المستقبل، وينافسه بالمقابل محمد نديم الجسر، أي ابن عم والده.

أمّا لماذا خالف الشيخ **محمد يمن** وصية والده والتحق بالوظائف الحكومية، واستهواه العمل السياسي حتى الاحتراف والوصول إلى أعلى قمّة فيه، مرتبةً وسلطةً ومناورةً ومعرفةً وعلماً وفنّاً؟ فيمكن ترجيح ذلك إلى بعض المسائل التالية:

1- ضآلة المردود المالي لبدل الإرشاد والتدريس الديني في بداية القرن العشرين، بعد انهيار العلاقات الاقتصادية في جميع أنحاء ولايات السلطنة العثمانية بفعل سيادة تأثيرات نتائج الثورة الصناعية الأوروبية الحديثة، والتسابق الاستعماري الغربي إلى اقتسام أراضي السلطنة.
2- خراب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية المشرقية التقليدية، وازدياد تبعيتها للرأسمال الأوروبي النقدي في ظل الاقتراب من بوادر وقوع حربٍ عالميةٍ مدمّرةٍ.
3- إنتشار مبادئ وأفكار الثورة الفرنسية الليبرالية البرجوازية الداعية إلى فصل الدين عن السياسة وسلطة الدولة في سورية ولبنان، وتأثيرها في مسارات تطور المجتمعات المشرقية.
4- سقوط الخلافة الإسلامية في اسطنبول، وقيام الدولة التركية العلمانية. وخيبة أمل الشيخ محمد يمن الجسر من هذا السقوط بالرغم من دفاعه الشديد عن منصب الخلافة الديني الرفيع والهام بالنسبة للمسلمين في المشرق العربي آنذاك، وحنينه الدائم إلى إحيائه وتجسّده في سلاطين آل عثمان، في ظل عدم توفّر الشخصية العربية المرموقة.
5- إطلاعه المسبق، بالصدفة، على سر معاهدة سايكس-بيكو الشهيرة لاقتسام المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا، وذلك تلميحاً من قائد طلائع جيش الاحتلال البريطاني لبيروت عام 1918.

6- ضعف التأثير الديني والإحترام اللذيّن كان يتمتّع بهما مشايخ الطرق الصوفية في طرابلس والمشرق العربي مع بداية الإنتداب الفرنسي عام 1920.

7- واقعية الشيخ محمد في النظرة لمستقبل المشرق العربي في ظل الخديعة الإنكليزية للعرب ووعودهم الكاذبة للشريف حسين بإقامة دولة عربية مشرقية موحدة تضم أراضي شبه الجزيرة العربية والعراق وفلسطين ولبنان وسوريا، وتمتد من جبال طورس شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، ومن البحر المتوسط والبحر الأحمر غرباً إلى جبال زاغروس شرقاً.

8- قوّة إرادة الشيخ محمد وطموحه في إبقاء اسم عائلته عالياً مهما كانت المتغيّرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق العربي بعد سقوط الخلافة الإسلامية في اسطنبول.

9- دعوته المسلمين إلى ضرورة الإندماج في المجتمع اللبناني المتنوّع الإنتماءات السياسية والدينية والطائفية والمذهبية، وضرورة التعاون مع الفرنسيين، والتحلّي بالإنفتاح على الآخرين، والإعتراف بالآخر وتقبّل المجتمع الجديد بواقعية.

خامساً ــ كلمة شكر

بعد إنجاز هذا الكتاب، لا بدّ لي من تقديم جزيل الشكر إلى كلّ من آزر وساهم في إنجازه، وجعله يبصر النور عن معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا في طوكيو. وأخصّ بالشكر: رئيسة جامعة طوكيو للدراسات الأجنبيّة الدكتورة إيكيهاتا (Setsuho Ikehata)، ومدير معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وأفريقيا، البروفسور أوتسوكا (Kazuo Ohtsuka)، والصديق كوروكي (Hidemitsu Kuroki)، مدير مركز اليابان لدراسات الشرق الأوسط في بيروت، وزوجته ماساكو (Masako)، والزملاء أساتذة الجامعة والمعهد

المذكورين، والمسؤولين والعاملين في مكاتب إدارة كل منهما، وأستاذي مسعود ضاهر الذي كان لي مرشدا ومساعداً وأفضل صديق في غربتي، والصديقة شيرين الجردي طالبة الدكتوراه في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية، والأساتذة الأصدقاء ناغاساوا (Eiji Nagasawa) وزوجته ميساكو س (Misako) ، وأوتوشي (Tetsuya Ohtoshi) وزوجته كاأورا (Kaoru) وكاتسوماتا (Makoto Katsumata)، وموراكامي (Naoko Murakami) العاملة بإخلاص وصمت، وإلى زوجتي سلوى أبو عكر التي تحمّلت مشقّة الغربة والاهتمام بابنتينا لين ولمى في ظروف صعبة وقاسية مرّت على لبنان خلال صيف 2006، وإلى صديقي وزميلي طارق قاسم في لبنان الذي أمّن لي بعض المصادر والمراجع الضرورية. وإلى كل الأصدقاء اليابانيين، أساتذةً باحثين وطلاباً ومسؤولين وإداريين وعاملين، الّذين لا يتّسع المجال لذكر أسمائهم فرداً فرداً، ومن خلالهم إلى الشعب الياباني المسالم المحب، المضياف الطيّب الكريم العامل حتّى التفاني والتماهي بالعمل من أجل رقيّ وتقدّم وطنه ودولته. إليهم جميعاً أقدّم هذا الكتاب المتواضع.

عبدالله سعيد

أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

باحث زائر جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية

طوكيو ــ تشرين الأول 2006

التطورالتاريخي والعمراني لمدينة طرابلس
حتّى الثلث الأول من القرن العشرين

التسمية والموقع

إنّ مدينة طرابلس فينيقية المنشأ، يشاركها باسمها مدينة أخرى في شمالي أفريقيا، تقع في ليبيا، ومنعاً للالتباس، اعتمد العلماء قديماً، "فروقاً للتمييز بينهما. فجعلوا الّتي في لبنان" أطرابلس "والأخرى طرابلس"[1]، بدون الهمزة. عُرفت طرابلس لبنان باسم طرابلس الشام، بينما أُطلق على طرابلس ليبيا اسم طرابلس الغرب. ويشرح الكاتب عبد الله نوفل قصة اسم طرابلس كما يلي: "فيحاؤنا (كلمةٌ تُقال لمدينة طرابلس) بلدةٌ فينيقية النشأة يشاركها بلدةٌ أخرى في شمالي أفريقيا، فرفعاً لوقوع الالتباس بينهما كتبوا طرابلسنا بزيادة الهمزة والأخرى بغير همزةٍ... على أنّ الأشهر للتفرقة بينهما أن يُقال لفيحائنا طرابلس الشام، وتلك طرابلس الغرب...[2]

وقيل إنّ اليونان وجدوا ثلاثة أحياءٍ كبيرةٍ تُؤلّف مدينةً فأسموها تريبوليس (Tripolis) (أو طرابليطا)، وهي كلمة مؤلّفة من لفظتي "Tri" ثلاث و"Polis" مدينة، وتعني معاً المدن الثلاث[3]، فطمس الاسم الجديد على الأسماء الفينيقية. وكانت تُسمّى أيضاً مدينة أناس[4]، أي مدينة الناس. ولعلّ، "العالم البريطاني برستد "BRASTED" هو أوّل من عُنِيَ عناية جادة بمعرفة الاسم

---

(1) يوسف الدبس (المطران): **تاريخ سورية**، من تاريخ سورية الدنيوي والديني، 9 أجزاء، مكتبة صادر، بيروت، 1893، الجزء الأول، ص 267 و268.

(2) عبدالله حبيب نوفل: **تراجم علماء طرابلس وأدبائها**، المنشورات الجامعية ــ مكتبة السائح، طرابلس لبنان، 1984، ص 5.

(3) George F., Hill, Catalogue of the Greek Coins of Phoenicia, p. 48, 1910, London.

(4) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ستة مجلدات، طبعة صادر، بيروت1977، المجلد الرابع، ص25.

القديم للمدينة وكشف حقيقته. فقد ذكر" أنّ محلاّت وكاسيا وماسيا"، هي الأسماء الحقيقية لأحياء طرابلس الثلاثة"[5]. بينما تألّفت طرابلس الغرب في ليبيا، على الساحل الأفريقي الشمالي، من ثلاث مدنٍ، هي: صَبراته "Sabrata"، وتُسمّى أيضاً "Abrotonum"، وأوا "Oea "، وليبتس مانكا "Leptis- Magna"[6].

وقيل إنّ الدول (المدن) الثلاث الفينيقية، وهي صيدا وصور وأراود، اتّفقن على أن ينتخبن أرضاً محايدةً لاجتماع مجلسهم ؟ لا يرجع الأمر فيها الحكم لإحداهن، فاخترن لذلك موقع طرابلس وجعلن لكل منهنّ مائة نائب، فيقيم نواب كلّ مدينةٍ في حي منفصل عن الآخر بمن يلحق بهم من زوجات وأولادٍ وخدمٍ وأتباع"[7].

ومن المتعارف عليه أيضاً، أنّ "فينيقية كانت متفرّقة ولايات مستقلّة، يربطها الدين والجنسية، والتحالف على الدفاع والهجوم، وينفرد كلّها بالأحكام الداخلية والخارجية، رأت ممالكها الثلاث: صور وصيدا وأرواد، أن تتفق على إحداث مجلس شورى ينظر في مصالح البلاد عامةً، تتمثّل فيه كلّ مملكةٍ منها بمائة نائب[8].

"وبما أنّ تلك الممالك كانت على غيرةٍ من بعضها وتحاسدٍ وحذرٍ، تأبى إحداها قيام ندوتها في الأخرى، اتقاء استبدادٍ أو أكراه، اضطر القوم في كلّها أن يُجمِعوا على إنشاء الدار لذلك المجلس في محل طرابلس الحيادي، واضطرت إذ ذاك كلّ مملكةٍ إلى إنشاء مدينة خاصة لها حول ذلك المحل المحايد،يقيم فيها ممثلوها المائة مع عيالهم وخدمهم وأرزاقهم. فأنتج ذلك التدبير" "المدن الثلاث"

---

(5) نهدي صبحي الحمصي (النقيب): **تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي**، مؤسسة الرسالة ودار الإيمان،الطبعة الأولى، بيروت1986، ص 3. يراجع أيضا:إغناطيوس طنّوس الخوري (الأب): **مصطفى آغا بربر، حاكم طرابلس واللاذقية(1767ـــ1834)**، مصادر التاريخ اللبناني، جرّوس برس ودار الخليل، الطبعة الثالثة، طرابلس(لبنان)، 1985، ص16.

(6) William SMITH, *A Smaller Classical Dictionary*, New York, 1877, p.414.

(7) عبدالله نوفل: **تراجم علماء طرابلس وأدبائها**، مرجع سابق، ص5.

(8) إغناطيوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، مرجع سابق،ص 15.

أي طرابلس، تفصلها عن بعضها البعض أبعاد"[9] ومسافات مقبولة لمنع الاحتكاك والخلاف. وهكذا انتخبت كلّ مدينة من المدن الثلاث صور وصيدا وأرواد، مائة عضوٍ اضطروا لإحضار نسائهم وأولادهم وعائلاتهم. "ومع مرور الزمن كثرت السكان، فعمرت بهم البلدة وبنى كلّ فريقٍ محلّةً خاصة. فاختار قومٌ أرض الميناء وعمروها، واتخذ آخرون الأراضي المجاورة على سيف (رصيف) البحر، بالموضع الذي يُقال له اليوم الخراب. وبنى الفريق الثالث محلّته فيما بعد إلى الجهة الّتي هي البحصاص، وبهذا تمّ بناء المدن الثلاث على الساحل... وكانت كلّ قصبةٍ (قرية كبيرة بعرف سكان لبنان) من هذه البلاد محاطةً بخندقٍ يعصمها (يحميها) من كيد القبائل المتوحّشة الّتي كانت تعتصم يومئذ بجبال لبنان وأحراجه"[10]. ويرجّح بعض الباحثين أنّ الأحياء الثلاثة كانت ن تقع بين محلّة الشيخ عفنان ومحلّة الخراب ولم تصل إلى البحصاص[11]. بينما يعتبر أمين الريحاني أنّ "ممثلي الممالك الثلاث، صور وصيدا وأرواد، اجتمعوا حيث الميناء(ء) اليوم للنظر في مصالحهم المشتركة، فنزل ممثلو كل مملكة في مكانٍ خاصٍ بهم، فأطلق على المنازل الثلاثة اسم تريبولي، أي المدن الثلاث"[12]. أمّا تاريخ تأسيسها فهو غير معروفٍ على وجه الدقّة، " ويغلب الظن على إنّها تأسست في أوائل القرن السابع أو أواسط القرن السادس قبل الميلاد [13].

إذن، إنّ طرابلس مدينةٌ فينيقية " ذات تاريخٍ عريقٍ موغلٍ في القدم والحضارة، كان لها نفوذٌ ثابتٌ في مختلف الحقب التاريخية كمركزٍ إداري متميّزٍ في بلاد

---

(9) إغناطيوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، المرجع السابق، ص 15.

(10) محمد كامل البابا: **طرابلس في التاريخ**، تحقيق فضل المقدّم وعمر عبد السلام التدمري، وضع فهارسه وأشرف عليه عبد الله البابا، الطبعة الأولى، جرّوس برس (طرابلس)، 1995، ص21.

(11) محمد البابا: **طرابلس في التاريخ**، المرجع السابق، ص 21، التعليق في الحاشية لعبد السلام التدمري.

(12) أمين الريحاني: قلب لبنان، سياحات قصيرة في جبالنا وتاريخنا، الطبعة التاسعة، دار الجيل، بيروت 1986، ص 537-538.

(13) إغناطيوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، مرجع سابق، ص16؛ وجواد بولس: **تاريخ لبنان**، دار النهار للنشر، بيروت، 1972، ص 151.

الشام"[14]. حكمها على التوالي أقوامٌ مختلفةٌ من أغريقٍ وفرسٍ وروم، إلى أن جاءها العرب، فالصليبيون(الفرنجة)، فصلاح الدين الأيوبي، فقلاوون ملك مصر(المملوكي)، فالعثمانيون الترك (الأتراك) منذ فتح سلطانهم سليم الأول، سورية عام 1516"[15]. حيث شكّلت هذه المدينة، منذ ذلك التاريخ، "مركزاً ثابتاً لولايةٍ مترامية الأطراف يتّسع مجالها الحيوي في جميع الاتجاهات تبعاً لقوّة الوالي المشرف على إدارتها. لذلك تشير وثائق الأرشيف الفرنسي، الغنيّة جداً بالمعلومات الدقيقة إلى أنّ الّذين تعاقبوا على حكم طرابلس منذ عام 1550 حتّى 1909 قد بلغ عددهم 204 حكّام. في حين أنّ بيروت قد تأسست كمتصرفيّة أولاً عام1864، وتعاقب على إدارتها 11متصرّفٍ حتّى عام 1885. ثمّ عرفت 22 والياً بعد أن تحوّلت إلى ولاية ما بين1888 و1918"[16]. لذا يعتبر مسعود ضاهر:" أنّ مدينة طرابلس كانت المدينة الأهم على الساحل الشرقي للبحر المتوسط طوال عدّة قرون. وكان إشعاعها يمتد إلى عريش مصر جنوباً وإلى الإسكندرون شمالاً. وكانت تشكّل المرفأ الأهم لجميع بلاد الشام الداخلية كدمشق وحمص وحماه وصولاً إلى حلب ومناطق الفرات"[17]. ويصفها يوسف الحكيم بقوله:"طرابلس عروس الشام- كما كانت تُسمى في عهد آل عثمان، مقابلةً لتسمية مدينة حماه، بحماة الشام- محصّنةً بما حبتها الطبيعة من جمال الموقع وخصب التربة ولطافة الهواء، تتمثل فيها الحياة الشرقية الراقية، بفضل فطرة

---

(14) مسعود ضاهر: **طرابلس في العهد العثماني: من مركز ولاية إلى مدينة ملحقة** "إستنادا إلى وثائق من الأرشيف الفرنسي، بحثٌ نُشر ضمن كتاب: **المؤتمر الأول لتاريخ طرابلس ولاية طرابلس إبان الحقبة العثمانية 1516 ــ 1918**. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثالث(طرابلس)، أيار 1995، ص 135.

(15) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، منشورات المطبعة الكاثوليكية ودار النهار للنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1966، ص227.

(16) مسعود ضاهر: **طرابلس في العهد العثماني**....، مرجع سابق، ص135. وللمزيد من المعلومات عن مدينة **طرابلس في الأرشيف الفرنسي**، يمكن مراجعة :

Adel ISMAIL: Documents Diplomatiques et Consulaires du Liban et des Pays du Proche – Orient, du XVII Siècle à nous Jours. Edition des Œuvres Politiques et Historique. Série Continue depuis 1975, Beyrouth1975-1995.

(17) مسعود ضاهر، المرجع السابق، ص136.

أهلها الكرام، وجُلّهم عريق الحسب والنسب، وقوّة إيمانهم بالله ونشاطهم وإقبالهم على الزراعة والتجارة والعمل المُثمر وكل ما هو حسنٌ [18]. وبفضل محافظتها على الطابع العربي فيها، الّذي" تغلّب على سواه في اللغة والأدب والشعر والغناء والعرف ومزايا الشمم وإكرام الضيف ورحابة الصدر والمؤانسة... والمروءة والوفاء"[19].

ويحكى أنّ حمدي باشا، والي سورية في العهد العثماني، زار طرابلس حين كانت تابعةً لولايته، فدُعي إلى وليمة طعام الغداء الّتي أُقيمت على شرفه في مصيف سير الضنيّة، حيث أُعدّت المائدة في ساحة منزل الوجيه الطرابلسي علي الخضر، المطلّة على البحر وشاطئه من جهةٍ وعلى الجبال والأودية المزدانة بالأحراج والغابات ومجاري الأنهار من الجهات الأخرى. فانشرح صدره لتلك المناظر الطبيعية الخلابة، وقال بالمناسبة: "إنّ آسيا أعظم قارات الكرة الأرضية، والسلطنة العثمانية أوجه ممالكها وأرقاها وأجملها موقعاً، وسورية في مقدّمة الولايات علماً وحضارةً وخصباً في التربة واعتدالاً في الجو(المناخ)، وطرابلس الشام عروسها المفضّلة، ومصيف سير (الضِنيّة) أبدع منتزهاتها، فأنا الآن في أجمل مكانٍ على وجه البسيطة (الأرض)" [20].

"وكانت طرابلس في كلّ عهود التاريخ شهيرة في غنى طبيعتها وحسن رونقها وازدهارها. وكانت حاصلاتها غزيرةً جداً بفضل المياه الفيّاضة الّتي تتدفّق عليها من نهر رشعين ونهر قاديشا، الّذي يدخلها باسم نهر أبي علي، فتروي سهولها وتخلق منها جنّةً غنّاء...."[21]. وتروي الحكايات المتناقلة على ألسنة أهالي طرابلس القدماء: أنّ نهر قاديشا الّذي أصبح اسمه أبي علي في طرابلس كان يُسمّى أولاً نهر الغضبان[22] للتعبير عن فيضانه المتكرر والجارف

(18) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص227.

(19) يوسف الحكيم: المرجع السابق، ص227.

(20) المرجع السابق، ص 272 و228.

(21) إغناطيوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، مرجع سابق، ص17.

(22) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**،حقّقه وقدّم له هريبرت بُوسه، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ، ص55.

للمنازل والحقول والبساتين والمزروعات، لكنّ بعض المعمّرين، أي كبار السن والبالغين من العمر عمراً مديداً، يزعمون أنّه كان في منطقة جسر السوقية مستشفى، وكان يخدم فيه خادمٌ شرسُ الأخلاق والطباع، شديد القوّة والسطوة، اسمه أبو علي، وكانت تعتريه نوباتٌ من الغضب والجنون الشديد، شبّهها الناس بحالات فيضان النهر عندما تغضب الطبيعة، وتُمطر كثيراً، أو تذوب الثلوج على المرتفعات الجبلية. لذلك، قد يكون هذا النهر، اكتسب اسم أبي علي من ذلك الخادم الهائج دائماً، أو استمدّ اسمه من أبي علي عمّار، صاحب وحاكم طرابلس في العهد الفاطمي(470هـ ــ 1103م)[23].

ولقد كانت طرابلس تنتج الحنطة (القمح) والحبوب والزيت والزيتون وعصير الكرمة، وقصب السكر الّذي أخذ زراعته الإفرنج(الصليبيون)عندما احتلّوا المدينة عام 1099م، وأشكال مختلفة من الفاكهة بجميع أجناسها وألوانها، ولا سيّما الليمون على جميع أنواعه[24]. حيث بلغ إنتاجها من الليمون لعام 1916، نحو 400 ألف صندوقٍ من الليمون في السنة (الصندوق وزنه حوالي 20 كلغ)، تُنتج من مساحةٍ مقدارها 2500 فدانٍ، أي ما يقارب12كيلو مترٍ مربعٍ. ويأتي إنتاج الزيتون في المرتبة الثانية بعد الليمون، حيث بلغ مقدار محصوله من الزيت، العام نفسه، حوالي 10,500,000 إقة، أي 13,461,000 كلغ (الإقة=1.282 كلغ)، أو13,461 طناً من الزيت، بالإضافة إلى إنتاج كميّةٍ كبيرةٍ من الصابون[25].

وكان في طرابلس، حتّى منتصف القرن التاسع عشر، أكثر من أربعة آلاف نولٍ لحياكة الأقمشة الصوفية والحريرية والقطنية، ولكن مع تقدّم الصناعة، وتطّور آلات نسج الحرير والقطن، وتأسيس المصانع الحرفية لتحلّ مكان النول

---

(23) عيسى اسكندر المعلوف: مجلّة "المباحث"، المجلد18، ص243.

(24) جرجي يني: تاريخ سوريا، أصول ومراجع تاريخية، الطبعة الأولى المطبعة الأدبية، بيروت1881، والطبعة الثانية، منشورات دار لحد خاطر، بيروت 1986، ص383.

(25) محمد رفيق بك التميمي ومحمد بهجت بك: ولاية بيروت، القسم الشمالي، 2، ألوية طرابلس واللاذقية، الطبعة الثالثة، دار لحد خاطر، بيروت1987، ص217ــ218.

التقليدي، بلغ عدد مصانع نسج الحرير والقطن في طرابلس من نهاية الحرب العالمية الأولى نحو 200 معملاً، تنسج الشالات وأقمشة القمصان، والحبرات والمناديل الحريرية والستر الناعمة(الكلل)[26].

ولعلّ، أهم ما اشتهرت به طرابلس من صناعةٍ، هي صناعة المفروشات والأثاث، الّتي انتشرت على نطاقٍ واسعٍ في المدينة، ونالت شهرةً عاليةً بمتانتها وجودتها، واستوعبت عدداً كبيراً من اليد العاملة الرخيصة والمهرة. كما عرفت المدينة تأسيس المصارف منذ عام 1893[27].

السكان

بلغ عدد سكان طرابلس لعام1907، دون الميناء، حوالي 23436 نسمة[28]، في حين، لم يتجاوز هذا العدد عام 1911، في طرابلس والميناء معا الثلاثين ألفاً، ثلاثة أرباعهم من المسلمين السنيين والربع الأخر من المسيحيين. ومعظم المسيحيين، دون الميناء، من المذهب الأرثوذكسي ويليه الموارنة وعدد قليل من طوائف الروم الكاثوليك واللاتين والإنجليين [29].

وفي عام 1916، بلغ عدد السكان في طرابلس والميناء معاً نحو 32563 نفساً، منهم 24028 في طرابلس، و8538 في الميناء. ولقد توزّع السكان على المذاهب الدينية والطوائف كما يلي:

1- في **طرابلس**:المسلمون السنّة 19954 نسمة، والروم الأرثوذكس 2643، والموارنة 1242، والروم الكاثوليك 46، واللاتين 18، والبروتستانت 51، واليهود 72 نفساً.

---

(26) المرجع السابق، ص 218.

(27) المرجع السابق، ص221ــ222.

(28) محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك: **ولاية بيروت**، المرجع السابق، ص 212.

(29) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 229.

2- في الميناء: المسلمون السنّة 4156 نفساً، والروم الأرثوذكس 4148، والموارنة 234 [30].

وبعد الإحصاء العام لسنة 1932، بلغ عدد سكان طرابلس لوحدها، دون الميناء، 41474 نفساً، منهم: 32209 مسلمون سنيّون، و 1573 موارنة، و 968 روم أرثوذكس، و663 أرمن أرثوذكس، 784 أرمن، و237 روم كاثوليك، و323 بروتستانت، و151 سريان، و24 يهود، و22 مسلماً شيعياً، وستة دروز، و1947 نفساً من الطوائف المختلفة.

أمّا مدينة **الميناء** التي تعتبر جزءاً أساسيا من طرابلس، ولكنها مستقلة إدارياً عنها، فبلغ عدد سكانها بإحصاء 1932 نحو 13402 نسمة، منهم: 6476 مسلماً سنياً، و2364 أرثوذكسياً، و250 مارونياً، و603 أرمنياً، و86 سريانياً، و42 كاثوليكياً، و33 لاتينياً، و30 بروستنتينياً، و3566ا نفساً من الطوائف الأخرى[31]. هذا مع العلم، أنّ الكثيرين من عامّة الناس رفضوا تسجيل أسمائهم في سجلاّت قيد النفوس الجديدة. وهكذا توزّع سكان طرابلس والميناء تقريباً، "إلى الثلثين من الإسلام السنّة، والثلث الباقي أكثره روم أرثوذكس ثمّ موارنة وأرمن وقليل من البروتستانت والكاثوليك وبضعة أنفار من اليهود"[32]. ولكن كان يسود الجميع الإخاء الوطني والمودّة وحسن المعاشرة وصدق المعاملة، كما هو ممثّلٌ بوضوحٍ جلي في المجتمع الطرابلسي القديم الراقي والمحافظ على تقاليده العربية الأصيلة[33]. لأنّ شعاره المفضّل، كان "الخلق الحسن، بما اقتضاه من المروءة وصدق المعاملة والعطف على الفقراء والمحتاجين والأخذ بناصر العدل حيث كان[34]. كما كانت أكثرية المجتمع الطرابلسي القديم، محافظةً على

---

(30) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، مرجع سابق، ص212.

(31) إغناطيوس طنّوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، مرجع سابق، ص18ـ19.

(32) إغناطيوس طنّوس الخوري: **مصطفى آغا بربر**، مرجع سابق، ص18ـ19.

(33) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 229.

(34) المرجع السابق، ص 229.

حجاب المرأة، خلافاً لما أدّى إليه التطور الإجتماعي والحضاري الإنساني العالمي، من نهوض المرأة في مختلف بقاع الأرض ومشاركتها الرجل في متنوّع مقتضيات الحياة الاجتماعية، وفي الاحتفالات العامة والخاصة وفي الأعمال الاقتصادية والمهنية والمعاهد العلمية والوظائف الحكومية وأخيراً في الانتخابات النيابية.

المجتمع الطرابلسي

لقد حافظ المجتمع الطرابلسي خلال حقبة الحكم العثماني، والثلث الأول من القرن العشرين، على معظم تركيباته التقليدية لطائفية والثقافيّة من جهّةٍ، والاجتماعية الاقتصادية والتقنيّة من جهّةٍ أخرى. ولقد كان هذا المجتمع، حتّى النصف الأول من القرن العشرين، ممثلاً بالعلماء والرؤساء الروحيين والوجهاء من ألأفندية والأعيان، ورجال الاقتصاد والمديرين والأطباء والصحفيين والأدباء والشعراء. وكان لكل فئة اجتماعية من هذه الفئات وضعها الاجتماعي والاقتصادي والعلمي الخاص.

1ـ فئة مشايخ الدين المسلمين[35]

كان رجال الدين يتقدّمون وفاقاً لسلسلة أعمارهم على غيرهم من رجال طبقات المجتمع الأخرى. وكانت كلمة **عالم** تعني المتمكّن من علوم اللغّة العربية والشريعة الإسلامية والخبير والضليع في التاريخ الإسلامي، وكان **للمدرّسين** من العلماء منزلتهم الخاصة. وتتشكل هذه الفئة الدينيّة من قاضي الشّرع الشّريف والمفتي وَنقيب الأشراف والمدرّسين وخطباء المساجد وأئمّتها.

---

(35) محمد نورالدين عارف ميقاتي: **طرابلس في النصف الأوّل من القرن العشرين ميلادي**، أوضاعها الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس 1978، من صفحة 19 إلى 25 (بتصرّف).

- كان **قاضي الشرع الشريف** يتولّى، بالإضافة إلى القضاء الشرعي، رئاسة المحاكم الجزائية والحقوقية والتجارية. وكان يلي الوالي والمتصرّف في التشريفات الرسمية. وكانت مدة خدمته سنتين، ولتجديدها كان يتوجّب عليه، بعد انتهاء خدمته الأولى، التوجّه إلى مركز المشيخة الإسلامية في اسطنبول، للفوز بولاية ثانية أو الحصول على مركز جديد في مدينة أخرى. وكان والي الولاية والمتصرّف يختار أعضاء المحاكم الشّرعية من وجوه المدينة وأعيانها.
- **المفتي:** على الرغم من أنّ مركز الإفتاء، في طرابلس، كان في الأصل مركزٌ ديني، مهمته الإفتاء في القضايا ذات العلاقة بالدين، مستنداً في ذلك إلى ما تتضمّنه شروحات الأئمّة الأربعة من كتب الفقه الإسلامي المعتمدة، وهم: أبو حنيفة(الحنفية) والشافعي(الشافعية) ومالك(المالكية)، وابن حنبل (الحنابلة أو الحنبلية). فإنّه، مع الزمن، أعتُبِر مركزاً تمثيلياً أكثر مما هو ديني. وللدليل على ذلك، أنّه عندما تُوُفِّيَ المفتي رشيد مصطفى كرامي، عام 1912، وقع اختيار العلماء ووجهاء المدينة على ابنه عبد الحميد لإشغال منصب الإفتاء، على الرغم من أنّه كان لا يتجاوز السبعة عشرة من عمره.
- **نقيب الأشراف:** كان نقيب الأشراف يُسمّى إلى هذا المنصب الرفيع بفرمان سلطاني من اسطنبول. وكان للسادة الإشراف المنتسبين إلى الدوحة النبوية الشريفة، امتيازات خاصة: كإعفائهم من الخدمة العسكرية، وتخصيص نقبائهم برواتب شهرية محترمة للإنفاق على تكاياهم، ولمساعدتهم على الظهور بين الناس بالمظهر اللائق بمقامهم ألتشريفي الديني. ومن أبرز الأسر المنتسبة إلى آل البيت في طرابلس كان: آل ألزغبي والسندروسي الحسيني والصيّادي والثمين والرفاعي.
- كان **المدرّسون** في مساجد طرابلس على جانب كبير من التبحّر في علوم الدين واللغة العربية والإلمام، إلماماً واسعاً وعميقاً، بالتاريخ الإسلامي. وكانوا جميعهم من خرِّيجي الأزهر الشّريف في مصر، وكانوا في مجالسهم

يتقدّمون غيرهم من رجال الدين، إذ إنّ الخطباء والأئمّة لم يكن معظمهم في مستوى علمي واحد مع المدرّسين.وكان المدرّسون يقومون بعد صلاة مغرب كل يوم بإلقاء المحاضرات الدينيّة على عامّة النّاس إرشادا لهم.

- **خطباء المساجد وأئمّتها:** كان لأغلب مساجد المدينة خطيب وإمام واحد، باستثناء الجامع المنصوري الكبير الّذي كان له خطيبٌ وإمامان: أولّهما للمذهب الحنفي وثانيهما للمذهب الشافعي. وكانت وظائف الخطابة والإمامة والتوقيت، في طرابلس، تورّث أبّاً عن جد، وذلك بموجب إرادة سنّية تصدر من اسطنبول، بعد حكمٍ بشأنها من المحكمة الشرعية في المدينة، ومصادقة المشيخة الإسلامية العليا في اسطنبول. وكان آل الزغبي يتوارثون خطابة الجمعة في الجامع المنصوري الكبير منذ مئات السنين، وآل السندروسي الحسيني إمامة المذهب الحنفي، وآل ميقاتي إمامة المذهب الشافعي بالإضافة إلى وظيفة التوقيت: أي مهمّة تحديد مواعيد الصلوات الخمس، وإصدار إمساكية شهر رمضان الكريم، حيث كان الجامع المنصوري الكبير مركز الموقّت (الذي يحدد الوقت) لها منذ زمن طويل.

2 ــ رجال الدين المسيحيون

بما أن عدد سكان طائفة الروم الأرثوذكس، كان يلي عدد سكان المسلمين السنّة في طرابلس الميناء معاً، ويزيد قليلاً عن ربع سكان المدينة والميناء. لذا كان لمطارنة هذه الطائفة المكانة المتقدّمة على غيرهم من بقيّة الرؤساء الروحيين لدى طوائف المسيحية الأخرى، يليهم مطران الموارنة ثمّ مطران الروم الكاثوليك.

3 ـــ فئة الأفندية والأعيان[36]

إذا كان **رجال الدين** يشكّلون الطبقة الروحية في المجتمع الطرابلسي، في نهاية القرن التاسع عشر والثلث الأوّل من القرن العشرين، فإنّ الأفندية والأعيان كانوا يشكّلون الطبقة السياسية والزمنيّة فيه.

وعلى الرغم من تساوي مراكز **الأفندية والأعيان** الاجتماعية إلى حدّ ما، إلا أنه كان هناك فرقٌ بين الفئتين من حيث اكتساب اللقب أو وراثته، أو من حيث الثروة المالية والعقارية. فإنّ كلمة **أفندي**، كانت في الأصل، لقباً يُغْدِقَه الحكّام الأقدمون، وخاصّة العثمانيون منهم، على كلّ من يرضون عنه من رعاياهم ليتوارثوه، فيما بعد، أبّاً عن جد.

أمّا **الأعيان**، فهم من أصحاب المال والعقارات الواسعة في طرابلس، أو في جوارها، ومن أصحاب السلطة والنفوذ في المجتمعات الإقطاعيّة ما قبل الرأسمالية، أو ممن لعب دوراً سياسياً واجتماعياً في تاريخها القديم.

ولكن، مع نهاية الحكم العثماني لبلاد الشام، حصل بعض رجال الدين والأعيان، في المدينة، بفرمانٍ سلطاني، على رتبٍ مختلفة الدرجات: من بيكٍ أو بك، إلى آغا وباشا، ومير ميران وبالا، وإلى باية أزمير المجرّدة وغير المجرّدة، وعلى أوسمةٍ مختلفة الأنواع من مجيدي إلى عثماني، وإلى مرصّع وغير المرصّع. وكان لكلّ رتبةٌ ألقابها والمعيّنة، ولباسها المميّز الخاصّ بها. "وكان لهذه الرتب والألقاب والأوسمة فهرسٌ رسمي يحتوي على ما يقارب الثلاثمائة صفحةٍ، حيث يتضمّن درجات كلّ رتبةٍ أو وسامٍ، والألقاب الّتي تُطلق على أصحابها، ومواقعها في التشريفات الرسمية"[37].

ومن حيث المبدأ، كان يمكن لرجل الأعيان (العين)، أنّ يتعاطى أعمال التجارة، والأعمال الحرّة، كالمقاولة والوكالة والحسبة والسمسرة والمحاماة وغيرها. أمّا الأفندي فلم يكن يتعاطى أي عملٍ مأجورٍ أو حرٍ. كما كان أبناء

---

(36) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص21ـــ32

(37) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول من القرن...**، مرجع سابق،ص 27.

الأفندية والأعيان ينبذون أعمال الوظائف الحكوميّة الرسميّة، ويُعيّرون بالإنتساب إليها. ولقد ظلّوا على هذه الحالة حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث بدأت تتغيّر مواقفهم منها، وأخذوا ينخرطون في سلكها، وذلك لأنّ الوظيفة الحكوميّة أضحت مركز وجاهةٍ وسلطةٍ يعوّضون به عن فقدانهم مواقعهم السلطوية السابقة.

وفي ذلك الزمان، كان لجميع أفندية طرابلس وأعيانها منازيل (جمع منزول)[38]، مفتوحة الأبواب من الصباح الباكر حمّى منتصف الليل. وذلك لتلقّي فيها مراجعات الناس المحتاجين عملاً أو وظيفةً، أو عندهم مسألة وقضيّة عالقة لدي الدوائر الرسميّة، فيعملون على حلّها، لأنّ كلمتهم كانت مسموعة لدى الجهات الرسمية والدينية الروحيّة. كما كانوا مهابيّ الجانب، فما دخلوا بخلافٍ وفشلوا بحلّه.

من هنا، كان الأفندية والأعيان يتمسّكون بالتقاليد والعادات الخاصّة بهم تمام التمسّك، فلا يسمحون لأنفسهم، ولا لغيرهم الإخلال بها إطلاقاً. كأنْ يتّبِع كلّ واحدٍ من أصحاب الوجاهة، التقاليد والتراتبية في الجلوس والتكلّم في المنازيل الخاصة بكل فردٍ منهم. فلا يتقدّم من هو أقلّ رتبةً أو أقدمية، على غيره من الأعيان والأفندية، وأن لا يُطلق لقب أفندي أو عين على رجل دينٍ مهما علت مرتبته ودرجته، إذا لم تكن أسرته من عائلات الأفندية أو الأعيان.

وبالرغم من الخلافات، ومنافسات الوجاهة والسياسة الحادّة، الّتي كانت تقع بين رجالات الأفنديّة والأعيان، إلا أنّ هذه الخلافات، كانت تُحلّ، في أكثر الأحيان، حبّياً. وذلك كأنْ يتنازل صاحب المصلحة والحاجة، والمكسب السياسي ويزور، بمبادرة شخصيّة، أو بمسعى من صديق مشتركٍ، أو من ساعي خيرٍ، خصمه في قصره أو منزوله، وأن يتعانقا ويتبادلا القُبَل أمام مناصريهما، وأنْ يتّفقا على تقاسم ولعب الأدوار في السياسة العامّة والمحلّية، في انتخابات المجالس الإداريّة، والبلديّة والنيابيّة، والشؤون الاجتماعية والخدماتيّة والحياتية

(38) المنزول هو بيت استقبال الأفندي أو العين لزوّاره من الأفندية والأعيان وعامة الناس

الأخرى. وهذه التقاليد السياسيّة اللبنانيّة، المتوارثة من العهود ما قبل الرأسماليّة، ما زالت ماثلة للعيان، ومتّبعة في لبنان حتّى اليوم. فمهما علا الصراخ واحتدم الصراع السياسي واشتدّ، زيارةٌ واحدةٌ للخصم أو المنافس، أو غزلٌ سياسيٌّ يزول بعدها الصراع، وتختفي المنافسة، وينتقل الخصمان إلى طور الصداقة والتحالف الانتخابي، وربّما إلى تحالفٍ سياسي طويل الأمد.

وتزخر أخبار الخصومة الطرابلسية بين الأعيان والأفندية عن روايات المصالحة والتسامح السياسي والعائلي بين المتخاصمين. وتأكيدا لذلك، نورد هنا، بتصرّف، نصّ الرواية التالية: "كان محمود آغا خضر آغا، من أعيان مقاطعة الضنّيّة المقيمين في طرابلس منذ مدّة من الزمن، وكان حاد اللسان، بذيءَ الكلام، سلطاً مع من يخاصمه. وقد وقع يوماً، خلافٌ وفتورٌ بينه وبين عبد القادر باشا المنلا، مما جعله يتناوله بالقدح والذم في منزوله بحضور زوّاره من وجوه وأعيان المدينة. ولمّا بلغ عبد القادر المنلا موقف محمود آغا منه، قرّر زيارته، في إحدى الليالي، في منزوله. وكان للوصول إلى هذا المنزول، لابدّ للزائر من اجتياز ممرٍ طويلٍ قبل الدخول إليه. وفي أثناء اجتياز المنلا لهذا الممر سمع بأذنيه شتائم محمود آغا خضر بحقّه، ولكنّه واصل سيره. وما أنْ دخل المنزول، وبادر الموجودين بالسلام، حتّى شعر الآغا بسوء تصرّفاته، فاستقبله استقبالاً حاراً، وأجلسه في مكانه من المنزول، كتعبير عن منتهى التكريم للزائر. وهكذا انتهت مع هذه الزيارة الخصومة، ورجع كلّ واحدٍ منهما، يذكر الآخر بالمديح والثناء في كلّ مناسبة، كان موجوداً، أو إنْ لم يكن"[39].

ولهذه العادات والتقاليد المتوارثة في طرابلس، وغيرها من المناطق اللبنانية، يمكن أن نفهم، لماذا الصراع بين الشيخ محمد الجسر والزعيم الطرابلسي عبد الحميد كرامي، لم يصل إلى حدّ القطيعة السياسية، أو إلغاء الواحد للآخر بالقتال والتخاصم والإغتيال.

(39) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول من القرن...**، مرجع سابق، ص31ـــ32.

طبقات المجتمع الطرابلسي

لم يكن المجتمع الطرابلسي متجانساً طبقياً، فكان ينقسم إلى ثلاث طبقاتٍ مستقلّةٍ، باعتبار الغنى: أي إلى أغنياء ومتوسّطين وفقراء.

فالأغنيـــاء: كانوا، حتّى منتصف القرن العشرين، من كبار تجار المدينة، الّذين يعودون بنسبهم إلى عائلاتٍ طرابلسية عريقةٍ وقديمةٍ، كانت تشتغل في الزراعة والتجارة معاً، ولا سيّما الفائض أو الربا. إلاّ أنّ الأرباح الّتي كانت تحصل عليها تلك العائلات "من تجارة "الصابون والزيت والحرير والغنم والحبوب وأمثالها من المواضيع التجارية هي أعظم بكثيرٍ من أرباح الزراعة ودخل الأراضي"[40]. وكان أصحاب المصرف الّذي تأسس عام 1893، يحصدون الأرباح الطائلة. وكان الأغنياء يختارون الحياة الهادئة، والسكن في المنازل الفخمة البديعة، حيث كان لأكثرهم القصور الشامخة، والمنازل الجميلة المبنية على أحدث طرازٍ شامي شرقي، في ألطف المواقع في طرابلس أو الميناء، أو في المصايف القريبة منهما. بالإضافة إلى امتلاك الحدائق الغنّاء مع البرك المائية (البحرات الشامية) داخل باحات قصورهم، وبساتين الليمون والزيتون والتوت، في جوار المدينة، يمضون فيها أوقات لهوهم وفراغهم. هذا ومع العلم، أنّ جلّ الأغنياء، كانوا من المسيحيين، في حين كان المسلمون أرباب حقولٍ ومستغلاّت[41].

ولكن في الثلث الأول من القرن العشرين لم تعد الأعمال التجارية محصورةً بالأغنياء من المسيحيين فقط، بل تعدّتهم لتشمل عائلات إسلامية ومسيحية معاً. وأشهر الأسر الإسلامية الّتي تعاطت التجارة والصيرفة هي: عدره وعويضة وعلم الدين وعز الدين والبركة والذوق والبارودي، والسيد أديب

(40) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، القسم الشمالي، مرجع سابق،ص224.

(41) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، القسم الشمالي، المرجع السابق،ص225ـــ226.

عبد الواحد. أما الأسر المسيحية، فكانت: كاتسفليس ونحاس والبُرط وحبيب ومعتوق ومسعد وفاضل ونصّور وكيروز والمر-[42].

أمّا **الطبقة الوسطى**، فتألّف سوادها الأعظم،من الّذين يشتغلون في صناعة وطبخ الصابون وبيعه، أو يتاجرون بالحبوب والحرير وبيع الأقمشة، أو يملكون بساتين الليمون الزيتون ويشتغلون فيها ويتاجرون بإنتاجها[43].

وكانت **الطبقة الثالثة**، تتألّف من العمّال والصنّاع وأعمال الحمل، ومن صيّادي الأسماك وعمال البناء والزراعة وغيرها من العمال الوضيعة، وكان هؤلاء يسكنون في أسوأ أمكنة طرابلس والميناء[44]. "وكانت الأميّة تشمل جميع أبناء هذه الطبقة، وكان القليلُ القليلُ منهم من يُسْعِدَه الحظّ بتعلّم قراءة القرآن الكريم في الكتاتيب الموجودة في الأحياء للتمكُن من القيام بواجبات الفروض الدينيّة وأهمّها الصلاة، أمّا تعلّم القراءة فقد كان معدوماً"[45] آنذاك، وذلك حتّى الربع الأول من القرن العشرين.

عائلات طرابلس[46]

إنّ أهم عائلات طرابلس هي: آل الأحدب ــ الأدهمي ــ آل أرناؤوط ــ آل الإمام ــ آل البركة ــ آل البارودي ــ آل البيسار ــ آل التدمري ــ آل الثمين ــ آل الجسر ــ آل الحداد ــ آل الحسيني ــ آل الحافظ ــ آل الحامدي ــ آل خلاط ــ آل الخطيب ــ آل الخولي ــ آل الذوق ــ آل رعد ــ آل الرافعي ــ آل زريق ــ آل الزعبي ــ آل الزيني ــ آل سلطان ــ آل السلكا ــ آل سلهب ــ آل السندروسي الحسيني ــ آل شنبور ــ آل الشهال ــ آل صادق ــ آل الصراف ــ آل صوايا ــ آل صدقة ــ آل الصفدي ــ آل الصوفي ــ آل

---

(42) محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص32.

(43) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، القسم الشمالي، مرجع سابق،ص227.

(44) المرجع السابق، ص227، وميقاتي، مرجع سابق، ص33.

(45) محمد ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول من القرن...**، مرجع سابق، ص33.

(46) المرجع السابق، ص 67ــ89.

عزالدين ـــ آل عبد الوهاب الهندي ـــ آل العمري ـــ آل علم الدين ـــ آل عدره ـــ آل عويضة ـــ آل الغندور ـــ آل غريب ـــ آل الفتال ـــ آل القاوقجي ـــ آل كرامي ـــ آل كاتسلفس ـــ آل كبارة ـــ آل المسقاوي ـــ آل المجدوب ـــ آل المقدم ـــ آل المنلا ـــ آل ميقاتي ـــ آل منقارة ـــ آل نجا ـــ آل النحاس ـــ آل نشابة ـــ آل نوفل ـــ آل يكن ـــ آل يني.

اللّبـــــاس

حتّى النصف الأول من القرن العشرين، لم تعرف طرابلس اللباس الإفرنجي الأوروبي، بل حافظت على تقاليد اللباس العثماني التركي القديم. حيث شكّلت اسطنبول ورجالاتها آنذاك مصدر الموضة والتجدّد بالنسبة لأهالي طرابلس[47]. ولأنّ المجتمع الطرابلسي كان منقسماً طبقيّاً، لذلك تنوّع اللباس باختلاف فئات المجتمع وطبقاته.

لباس رجال الدين: كان هؤلاء يلبسون الجبّة وعمامة الشاش الأبيض والسروال، ومنهم من كان يوسّع يد الجبة بحيث يجعل قطر فوهتها بحدود الستين سنتمتراً، ويرسل من قماش عمامته على ظهره قطعة بطول عشرين سنتمتراً.

لباس الأفندية: "كان جميع الأفندية يلبسون لباس رجال الدين أي العمامة البيضاء والجبّة والسروال وكانوا يتعمّدون أنْ تكون العمامة أرقّ سماكةً من عمامة رجال الدين"[48]، وذلك لمنع الالتباس في المظهر بينهم وبين رجال الدين.

- **لباس الزعماء والتجار:** كان لباسهم الطربوش[49] الأحمر العادي، الملفوف بقطعة من القماش الأغباني بعرض عشرة سنتيمترات، والسوكة[50] (الجاكيت والسترة) العادية الطويلة حتّى تحت الركبتين.

---

(47) مها كيّال: اللباس الطرابلسي في النصف الثاني من القرن العشرين(التأثير التركي)، بحثٌ نُشر ضمن كتاب:المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس إبان الحقبة العثمانية،مرجع سابق، ص281.

(48) محمد ميقاتي: طرابلس في النصف الأوّل من القرن...، مرجع سابق، ص33.

(49) يروى أنّ أوّل من اعتمر الطربوش الأحمر كان السلطان عبد العزيز العثماني الّذي أخذه عن اليونان، وأنّ الناس قد استنكروا آنذاك هذا الطربوش باعتباره لباس غير إسلامي، ولكن مع الزمن، اعتاد عليه الناس وعم

- **لباس عامّة الناس:** اختلف لباسهم باختلاف أوضاعهم المادية. ولكن بصورة عامّة، كانت ألبسة هذه الطبقة تتألف من القمباز[51] الحرير أو الديما، أو غير ذلك من الأقمشة، والسروال الملفوف عند البطن بشملة[52] عرضها عشرة أمتار، ومن السوكة. وكانت السوك على أشكالٍ متعددة، منها: السوكة العادية المعروفة، ومنها السوكة المخرّجة بالحرير على صدرها وعلى أطرافها. وكان البعض يعتمر الطربوش العادي، أو الطربوش المغربي ذي الشرّابة السوداء أو الزرقاء الغليظة[53]. بينما الفقراء كانوا " يلبسون على رؤوسهم قبّعات من صوف طويلة ترابية اللون، وسرابيل بالبات ثمّ السراويل، وفي أرجلهم العراة حذاء ممزق"[54].
- وكان من عادة **رجال الدين والأعيان** أن يلبسوا في فصل الشتاء الجبّة المبطّنة بالفرو، وفي الصيف كان بعضهم يلبس القمباز والمضربية[55] الشامية التي تحاكي الجبّة.

وكان من غير المسموح لأي كان من الناس حسر الرأس حتى ولو كانوا داخل محلات عملهم ومنازلهم. وكان يتوجّب على الشخص الّذي يأتيه زائرٌ إلى

لبسه بينهم. ميقاتي: **طرابلس في النصف الأوّل من القرن...**، مرجع، ص 57. والطربوش، هو لفظٌ من أصل فارسي مشتقّ من كلمة (سر:Sar) وتعني الرأس. و(بوش: Pus)، وتعني الغطاء. والطربوش غطاء الرأس متنوّع الأشكال، وهو عادة وع من الجوخ الأحمر، له ذوابة حريرية (شرّابة) باللون الأسود أو الأزرق. مها كيّال: **اللباس الطرابلسي...**، مرجع سابق، ص 284.

(50) "السوكة: كلمة من أصل لاتيني ــ يوناني (Sogos) وتعني سترة انتشرت في طرابلس بواسطة الأتراك". مها كيّال: اللباس الطرابلسي...، مرجع سابق، ص 285.

(51) لباس يشبه الفستان يصنع عادة من قماش الألاجة (كلمة تركية تعني المميل)، أو الديمة (تصغير كلمة دمسكو) وهو ثوب رجالي ونسائي في آن معا، ولكن القمباز الرجالي يختلف في قصّته عن القمباز النسائي في شكل الكم الّذي يكون عادة فضفاضا في القمباز النسائي. مها كيال، المرجع السابق، ص 285.

(52) الشملة: كساء واسع يلفّ الخصر كالزنار فلذا يبلغ طوله أكثر من عشرة أمتار.

(53) محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأوّل...**، مرجع سابق، ص 57.

(54) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت، القسم الشمالي**، مرجع سابق،ص 227.

(55) المضربية: هي كساء أي لباس من القماش ذوطاقين بينهما حشوة من القطن.

بيته أو محلِّ عمله، أنْ يبادر إلى اعتمار لباس رأسه وإلاّ اعتبِر مستخِفاً بالزائر[56].

طريقة عيش سكان طرابلس

"كان **سكان طرابلس** يعيشون، حتّى أوائل القرن العشرين، **في الأراضي** المنبسطة من المدينة. أمّا الأماكن المرتفعة كأبي سمرا، فلم يكن فيها سوى منازل لا تتعدّى أصابع اليد. أمّا القبّة، فكان معظم سكانها من الغرباء من أبناء قرى الشمال، وأكثريّتهم من قرية حدشيت، من أعمال قضاء بشري الّذين كانوا يقطنون طرابلس شتاءً، ويرحلون عنها إلى قراهم صيفاً...، حيث كان الرجال يعملون بالأجرة في بساتين الليمون وكروم الزيتون المحيطة بالمدينة. ومن الأسر الطرابلسية الأساسية الّتي كانت تسكن منطقة القبّة وسفحها، أسرة المقدّم والبيسار والكيّال والعمري، الّذين "كانوا يقطنون دوراً تتناسب مع وجاهتهم، أمّا باقي السكان فكانت دورهم متواضعة لا تختلف في شيء عن دور أبناء القرى، ولم يكن في محلّة القبّة طرقٌ معبّدة، بل كانت طرقاً ترابية تعمّها الحفر والأخاديد"[57].

"وكان في منبسط المدينة هذا **آثار ثلاثة أبواب** يغلقها الأقدمون في أثناء الحصار، وهي الباب الجنوبي لصق جامع أرغون شاه على طريق مقبرة باب الرمل، وآخر عند السراي القديم، وقد زالت معالمها في الثلاثينات (من القرن العشرين)، والثالث في سوق القمح من محلّة باب التبّانة. وكانت الطرقات ضيّقة المسالك مرصوفة بالحجر البحصاصي الصغير الحجم. وهي لا تخلو من الحفر لقِدَم عهدها. و لكن، في عام 1924، تمّ تجديّد رصفها عندما كان خير الدين عدره رئساً لبلدية طرابلس.

---

(56) محمد ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 58.

(57) محمد ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، المرجع السابق، ص 7 و 8.

"وكانت **المنازل والدور** تُنار ليلاً بمادة الكاز فقط، بمصابيح ذات درجات مختلفة من قوّة النور: اثنتين إلى ثلاثة إلى أربعة، إلى عشرة إلى أربعة عشرة، إلى عشرين، وأعلاها أربعون، وهذه المصابيح الأخيرة كانت تحتوي على ثريّات معلّقة في سقوف غرف الاستقبال، ونادراً ما يقتنيها إلاّ الأثرياء" (58).

وكانت **مواد طهي الطعام** مقتصرة على الحطب والفحم، وعلى هذا فقد كان في كلّ بيت موقدٌ مصنوعٌ خصيصاً لذلك، ولم تظهر بوابير الكاز (البريموس) إلاّ في أوّل الثلث الثاني من القرن العشرين، وقد اعتبر الناس ظهور البوابير نعمةً من الله لكي تخلّصهم من متاعب استعمال الحطب في طهي الطعام. وكان وجود الخضار في الأسواق مقتصراً على فصول نُضجها، فلم تلبث بعد انتهاء موسمها حتّى تختفي بانتظار الموسم القادم (59).

(58) المرجع السابق، 8.

(59) المرجع السابق، 8.

إشكاليـــّــة التـــأريخ
للشخصيّات السياسيّة في المشرق العربي

في ظلّ غياب مراكز الأرشيف والتوثيق الدقيق للحراك الاجتماعي السياسي والثقافي، وللعلاقات السياسية والاجتماعية، أو للمبادلات الاقتصادية والثقافيّة في المشرق العربي. وفي ظلّ غياب المؤسسات الحزبية والمدنية الحكومية أو الخاصة التي تؤمّن الاستمرارية في إنتاج الفكر النهضوي، التحديثي والعلمي. في ظلّ كل ذلك، يتميّز العمل السياسي والثقافي في المشرق العربي، وحتى الإداري العام والخاص، باعتماده الشخصانيّة الأحاديّة، ورفض الآخر، مهما كان عمل هذا الآخر مفيداً ومساعداً في تخطّي صعوبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والثقافيّة للمجتمع العربي، أو في تأمين انتظام واستمرارية عمل الشخصية السياسية المشرقية وتطلّعاتها السلطوية المستقبلية.

إنّ الأحادية وحب الذات العائلية الخاصة والمجتمعية للشخصية السياسية، أو الدينية المذهبية، وأحياناً للشخصية الثقافية والإدارية، يفقد العمل، على اختلاف أنواعه ودرجات إنتاجيته، قيمته العلمية الدقيقة واستمراريته التحديثية التنمويّة من جيلٍ إلى آخر؛ مما أوقع المجتمعات المشرقية في التخلّف والتقهقر، وفي الشخصانيّة القاتلة لصاحبها ولتطلّعات مؤيديه ومحبّذي مواقفه السياسية المحليّة والإقليمية والعالمية.

وبما أنّ الشخصيّة السياسيّة، غالباً، ما هي، إلاّ استمرارية للعائلة المُتوارثة الزعامة، والعمل الاجتماعي والسياسي، أو الثقافي، وحتى الديني والإداري أبّاً عن جدٍ. فذلك يعني أنّ دخولها معترك النشاط السياسي، ما هو إلاّ إحياء لتقاليد عائلية متجددة دائماً بطموحات مستقبلية، في سبيل المحافظة على

إرثها وموقعها في البنية السياسية والاجتماعية، أو الطائفية المذهبية، وفي قيادة أتباعها ومؤيّديها من عامة الناس على مختلف انتماءاتهم الطبقية والطائفية المذهبية والاجتماعية والاقتصادية.

فكم من عائلة سياسية، توارثت الجاه والسلطة، على مرّ الأجيال، فقدت حالياً، في المشرق العربي، دورها القيادي السياسي، ووظيفتها الاجتماعية، بسبب ابتعادها الطوعي عن الشأن السياسي العام، أو لعدم توفّر الوريث الشرعي الكفوء للقيادة، أو لضعفها المادي والمعنوي في صراعها مع عائلة سياسية تقليدية أخرى، أو مع شخصية شعبيّة صاعدة استفادت من ثروة ماديّة محليّة أو بتروليّة، أو من وظيفة إداريّة كبيرة نافذة، أو من مهنة حرّة علمية أو ثقافيّة أو تجاريّة، أو من انتماء سياسي قومي، أو حزبي، أو طائفي مذهبي.

من هنا، ما أن يقرر مؤرخٌ ما، أن يكتب سيرة رجلٍ سياسي في بلاد المشرق العربي، فذلك يعني قمّة الصعوبة والخطورة المنهجيّة، حيث تواجهه مشكلات تقنيّة عدّة، وإشكاليات سياسية وأكاديمية علمية كثيرة.

أولاً ــ إشكالية التأريخ الاجتماعي

ركّزت الكتابات التاريخية العربية المشرقية، بغالبيتها العظمى على دور الفرد في صناعة التاريخ، متجاهلة دور الجماعة وتحرّكاتها ونضالاتها المتراكمة في كتابة تاريخها الاجتماعي الواقعي والموضوعي. لذا مهما علا شأن الشخصيّة السياسيّة المشرقيّة، ودورها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، فلا يمكنها صنع تاريخ شعبٍ ما، أو مجتمعٍ ما، بمعزل عن قوانين تطوّر هذا المجتمع الذاتية والخاصة، أو بمعزل عن تاريخ المجتمع المشرقي ككل، وارتباط هذا التطوّر بالخارج الجغرافي الإقليمي والعالمي.

من هنا؛ ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين، هل يُعقل التأريخ للشخصية السياسية المشرقية بمعزلٍ عن تطوّر مجتمع المشرق العربي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي؟ أم الأمانة العلمية تقضي بالتأريخ للمجتمع

ككل، ولكن دون إغفال دور الفرد كعنصرٍ فاعلٍ، وليس كعنصرٍ مهيمنٍ في عملية التطوّر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لوطنه؟ إذن فمن البديهي، أن لا يقعَ المؤرخ العربي الحالي في المحظور، وفي تكرار تجربة من سبقه من المؤرخين الذين تجاهلوا دور الجماعة في الحراك الاجتماعي، وفي الكتابة التاريخية من أجل الاقتراب من الحقيقة والواقعية، والتزام الموضوعية.

ثانياً – تقنيّة البحث في التاريخ الاجتماعي للشخصية السياسية:

مصادر البحث

من الناحية التقنيّة، تبدأ رحلة المؤرخ بالتفتيش عن المصادر الأصلية، من وثائق خاصة بالشخصية السياسية، ومن مخطوطات خام لم يُكشف النقاب عنها حتى الآن، أو من معلومات عن هذه الشخصية في المصادر والمراجع العامة، وفي المجلاّت والجرائد، وفي تقارير رجال السياسية والأمن، التي تناولت الحقبة التاريخية التي عايشتها تلك الشخصية السياسية. وقبل كلّ شيء على المؤرخ أن يلمّ إلماماً جيداً بقراءة مختلف أنواع الخطوط وأن يعرف طرق وأساليب فكّ رموزها، وذلك كي لا يقع في التردد، وفي عدم الدقّة والتأويل والترجيح لمعاني بعض الكلمات، ممّا يُفقدها معناها السليم، ويعرّض المؤرخ للنقد الشديد.

اليوميّـــات[60]

هي كنايةٌ عن تسجيلات يوميّة يدوّن فيها رجل السياسة أو الوظيفة الإداريّة، أو التاجر أو المثقّف، مشاهداته اليوميّة العيانيّة ونشاطاته المهنيّة، ومداخيله ومصاريفه، ومقابلاته وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية. وهي تختلف عن المذكّرات الشخصيّة، لأنّها أكثر دقةً وواقعيّةً في تصويرها للواقع المُعاش من قبل هذه الشخصيّة السياسية أو تلك، وفي احتوائها على خلاصة أعمالها

(60) وثيقة رقم (1) «يوميات 1923» و(2) «يوميات 1927».

اليومية السياسية والوظيفية الإدارية، والثقافية، ومجمل نشاطاتها الاجتماعية المختلفة، وكافة حساباتها اليومية.

المذكّرات [61]

هي عادةً مخطوطات كتبها الرجل السياسي أو الثقافي أو غيرهما، بعد التقاعد عن العمل طوعاً أو قسراً، أو كان على أهبّة الموت، أو على ضعفٍ في التركيز. وهذا ما يجعلها قليلة الأهمية، وغير موثوقة علمياً في الكتابة التاريخيّة، لأنّه يغلب عليها الرأي الشخصي لكاتبها، فيضمّنها حسنات أعماله دون السيّئات والموبقات والانحرافات الأخلاقية أحياناً، ويُكثر فيها المديح لنفسه وأعماله، والانتقاد لغيره.

مشاريع العمل والأوراق الخاصة [62]:

بالإضافة إلى الخطب السياسية الجماهيرية التي ألقيت في حياة الرجل السياسي، أم لم تُلق لسبب من الأسباب، تتضمّن وثائقه الخاصة، أو وثائق البيوتات والعائلات السياسية المشرقية، برامج أو تصوّرات سياسية واجتماعية، ومشاريع قوانين تمّ تقديمها إلى المجالس النيابية التمثيلية، إذا شغل الرجل السياسي منصباً نيابياً أو وزارياً، كما تحتوي على أوراق خاصة بحساباته الشخصية أو شركاته[63]. أو وصيته[64]، وديونه وخصوصيّات أسرته وأدبيّاته الشخصية الحميمة.

إنّ كلّ هذه الوثائق الخاصة، عادةً تكون ملك الورثة الفعليين، أو الورثة السياسيين للشخصية السياسية. وهي بالتالي تخضع للتقنين، وتقديم التعهّد تلو

---

(61) وثيقة رقم (3) «مذكرات الشيخ محمد الجسر» و(4) «مذكرات السفير خليل تقي الدين».

(62) وثيقة رقم (5) «مشروع البكالوريا» و(6) «نظام المعلمين» و وملحق رقم(1) بيان ناظر المعارف الشيخ محمد الجسر سنة 1925.

(63) وثيقة رقم (7) «فاتورة المعارف» و(8) (شراكته مع آل شقير).

(64) وثيقة رقم (9) (الوصية)، ورقم (10) (حصر الإرث).

الأخر حول أهمية الكشف عنها، والسماح بالإطّلاع عليها، واعتمادها في البحث التاريخي العلمي، تخليداً لدور صاحبها، ومساهماته الوطنية والاجتماعية والإنسانية. ولكن غالباً ما يصطدم عمل المؤرخ بتطلّعات الورثة السياسية والإجتماعية والاقتصادية، وطموحاتهم الانتخابية المستقبلية، حيث يمتنع هؤلاء الورثة، أحياناً كثيرة، عن تزويد الباحث بكل الوثائق والمخطوطات الخاصة العائدة للرجل السياسي أو عائلته، ولا سيّما تلك الوثائق التي تسبب اللوم والانتقاد لعمله، ولتحالفاته السياسية والانتخابية السابقة. أو تلك التي تصف بشكل دقيق وسليم الحالة الاقتصادية والاجتماعية السياسية، التي شغلت حيّزاً كبيراً من الحقبة التاريخية التي عايشتها هذه الشخصية السياسية أو تلك. لذا، تخضع كافة المستندات والمخطوطات الشخصية والعائليّة، في المجتمع المشرقي، في ظلّ غياب مراكز التوثيق المختصّة، للتمحيص والتشذيب، والأخذ والرد، ولأمزجة الورثة وتحالفاتهم الانتخابية العائلية والمناطقية الحزبية المستقبلية. والسبب في ذلك، أنّ الورثة، عادةً يريدون توجيه مسار البحث والكتابة التاريخية نحو الإيجابيات فقط، والمساومة على حجب السلبيات إذا وجدت، إلى جانب إبراز شخصيتهم العائلية السياسية شخصية فريدة في إخلاصها وأخلاقها ومسيرتها السياسية ونزاهتها المالية.

وثائق الأرشيف الرسمي[65]

بالإضافة إلى الوثائق الشخصية والعائلية الخاصة، على الباحث أن يعمد إلى التفتيش عن المصادر الأصلية في مراكز الأرشيف الحكومية والدينية والعائلية والفردية الخاصة، ومراكز التوثيق المتنوّعة من مدنيّة وأمنيّة استخباريّة محلّية وخارجية[66]: كمحاضر جلسات مجالس النوّاب والشيوخ والوزراء[67]،

(65) وثيقة رقم (11) «صفحة من الجريدة الرسمية»، (12) «صفحة من محاضر مجلس الشيوخ» و(13) «محاضر مجلس النواب».

(66) وثائق: رقم (14)، (15)، (16) و(17) «من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، والأمن الفرنسي».

وأرشيف الوزارات والبلديّات والكنائس والأديرة والرهبانيّات، ودوائر الأوقاف المختلفة، أو في المكتبات الخاصة بالشخصيات السياسية والثقافية، ولدى زعماء الطوائف والأحزاب ممن كان على علاقة حسنةٍ ووثيقةٍ، أو عدائيةٍ مع هذه الشخصية السياسية أو تلك.

أرشيف المجلات والجرائد(68)

على الرغم من ضعف مقالات المجلّات والجرائد السياسية اليومية والأسبوعية كمصدرٍ للحقيقة التاريخية، إلاّ أنّها تُعطي صورة للواقع السياسي المُعاش في أثناء صدورها، وتقدّم مادةً للتوثيق الرسمي والخاص من خلال نشرها القوانين والمراسيم والتقارير الرسمية الصادرة في حينها. لذا على الباحث زيارة مراكز بعض الصحف والمجلات للوقوف على معطياتها التاريخية أو السياسية، أو الإطّلاع على الكلمات والخطب السياسية، والمقابلات الصحفية التّي تناولت حدثاً تاريخيا ًمعيّناً أو عملاً ثقافياً كبيراً، أو قضية وطنية وقومية واجتماعية واقتصادية وثقافية ما.

المقابلات الشفوية (الشفهية)(69)

إنّ المصدر الشفهي الموثوق، هو المصدر الأهلي الحي المتمّم والمُساعد للمصدر التوثيقي المكتوب، في معطياته التاريخية ووصفه للواقع بدقّة من خلال تجربة حيّة، أو موقف سياسي وثقافي اتّخذه صاحبه. من هنا على المؤرخ للشخصية السياسيّة، أن لا يغفل من باله المقابلات الشفويّة الضرورية مع بعض

---

(67) وثيقة (11)، (12) و(13) و ملحق رقم 1.

(68) وثيقة رقم (18)، (19) و(20) الجرائد.

(69) لتأليف كتاب عن **الشيخ محمد الجسر**، اعتمدنا على أكثر من خمسين مقابلة شفهية أجراها ابنه باسم. راجع عبدالله سعيد: **الشيخ محمد الجسر من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان**، الطبعة الأولى، دار النهار للنشر، بيروت 2005.

الشخصيات السياسية والدينية والحزبية، ومع بعض الباحثين والمثقّفين ورجال الصحافة الّذين رافقوا جانباً من جوانب حياة هذه الشخصية أو تلك، إن كانوا مؤيّدين لها ولمواقفها، أو مناصبيها العداء السياسي والثقافي.

وفي مضمار المقابلات الشفويّة، يُصاب المؤرخ أو الباحث، أحياناً كثيرة، في خيبة الأمل، وذلك عندما يقسو عليه باحثٌ ما، أو مؤرخٌ ما، أو رجلٌ سياسيٌ أو صحافيٌ معيّن، فيكيل له كل شخصٍ من هؤلاء النصائح والإرشادات في السياسة والثقافة والأخلاق، وأصول الكتابة عن الشخصيات السياسية، وضرورة إبراز الإيجابيات فقط، إذا كان صاحب المقابلة من أنصار الرجل السياسي، أو إبراز السلبيات والموبقات والفضائح الأخلاقية، إذا كان المتكلم من أخصامه، انتخابياً وسياسياً، أو إقامة التوازن، بين الإيجابيات والسلبيات، واعتماد الموضوعية في الكتابة. أو ينصحك بعضهم بعدم الكتابة وجلب وجع الرأس. فالشخص الّذي تكتب عنه كان عميلاً لدولة أجنبية، أو تابعاً لهذا السياسي الكبير أو ذاك، أو إنّه كان يقبض من السفارات العربية والأجنبية أو البترولية، أو من أحد المصارف الكبيرة، أو عاش مُتسكّعاً أو مُتزلّفاً، يطلب المال ويبيع المواقف السياسية والوطنية أمام أبواب السفارات، أو في البيوتات السياسية الكبرى. وذلك، كي لا تُتّهم بالمحاباة والانحياز السياسي الأدبي والأعمى إلى الرجل السياسي موضوع دراستك. فبنظر البعض، كيف يحق لك أن تكتب عن شخصيةٍ سياسيةٍ مشكوكٍ في أخلاقها ومسلكيّتها ونزاهتها، ومطعونٍ، أحياناً كثيرةً، في وطنيّتها وانتمائها السياسي والثقافي الحضاري.

ثالثاً ــ خطّة التأليف

إنّ صعوبة الحصول على الوثائق الخاصة والعامة في المشرق العربي، تُحتّم على الباحث الأكاديمي الموضوعي أن يوازن في عمله التأليفي بين كل المعطيات التاريخية المتوفّرة لديه، وبين الآراء السياسية والثقافية العلمية الصحيحة والواقعية من جهةٍ، أو المنحازة والمُعرقِلَة لعمله من جهةٍ أخرى.

فيعمد بعد تجميع مادته كلمةً كلمة، ووثيقةً وثيقة، إلى تشذيب معطياته ومعلوماته وتنقيتها من الشوائب، وإقامة المقارنة والمقاربة والمقابلة العلمية بين مختلف الوثائق والأوراق الّتي حصل عليها، والتي تكون عادةً متناقضة. فيدرسها بدقّة وموضوعية على ضوء تقاطع معطياتها وتكاملها فيما بينها، وبين المقابلات الشفهيّة الّتي أجراها، وبين المصادر والمراجع المكتوبة عن الحقبة التاريخية والسياسية المدروسة، ويستخلص منها الفرضيات والمعطيات الضرورية لوضع الأسس السليمة لبناء كتابةٍ موضوعية وواقعية.

الفرضيّات وتصميم البحث

بعد اكتمال المادة التاريخية بكل جوانبها الجغرافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسية والثقافية والفلسفية، يضع الباحث تصميماً علمياً، أو خطّةً واقعية لعمله، شرط أن يدرك الغرض التأريخي العلمي لبحثه، والصعوبات الجمّة الّتي ستواجهه في أثناء الكتابة والانتقادات الإيجابية والسلبية الكثيرة الّتي ستلاحقه، أو سوف يتعرّض لها بعد انجاز عمله. ولكي ينال هذا العمل رضى بعض الباحثين الجدّيين والعلميين والموضوعيين من رجال السياسية والفكر والثقافة، يعمد إلى وضع الفرضيّات العامة، الجغرافيّة والتاريخية، والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والوطنية، الّتي غطّت نشاط الرجل السياسي موضوع الدراسة؛ ومن ثمّ الفرضيّات الخاصة بهذا الرجل من حيث مولده وعائلته ومنبته الطبقي، والاجتماعي-الاقتصادي، وتراثه الثقافي السياسي والحضاري، ومستواه العلمي، وغناه المادي الموروث أو المُكتسب، وطريقة اكتساب هذا الغنى، إن كان مشروعاً أو غير ذلك. بالإضافة إلى الفرضيّات عن سلوكه الإداري والوظيفي، وعن أخلاقه الشخصية والمسلكيّة الخاصة والعامة، وأخلاقه السياسية، أي آرائه ومبادئه، وقدرته على تحقيق المشاريع الإصلاحية التحديثيّة، ومقدار احترامه لمؤيديه وأنصاره وناخبيه، ولوعوده السياسية

والإصلاحية الإنمائية. كما لا بدّ من دراسة قدراته القيادية التنويرية التجديّدية، أو الرجعية المحافظة.

دراسة وتحليل المخطوطات الخاصة

بعد استعراض الفرضيّات، ينتقل الباحث في السيرة الذاتيّة للرجل السياسي، إلى دراسة وتحليل أوراق ومخطوطات الرجل السياسي الخاصة: من يوميّاته ودفاتر حساباته، وكلماته السياسية ومشاريعه الإصلاحية ومراسلاته السريّة إذا وُجدت، بالإضافة إلى مذكّراته، والكتابات عنه في الكتب والجرائد والمجلاّت. فيصنّف هذه اليوميّات ومعلوماتها إلى ما هو وطني محلّي أو إقليمي أو دوليّ، وإلى ما هو سياسي بامتياز أو إنساني وأخلاقي أو إداري. ويحذف من فرضيّاته كلّ ما يُسيء إلى شخص هذا الرجل السياسي وعائلته من الناحية المسلكية والأخلاقية الخاصة، أو إلى علاقاته الإنسانية الكبرى الّتي تركت أثراً حسناً في نفوس مؤيديه وأنصاره. ولكن دون أن ينسى تحليل بعض مفاسد عصره وانغماسه في تلك المفاسد، أو اقترافه فعل الخيانة العظمى، مع الانتباه لعدم التعرّض لحياته الشخصية الحميمة والخاصة، لأنّ الهدف من دراسته، هو كتابة سيرة الرجل السياسية والاجتماعية العمليّة، وليس دراسة علاقاته العائلية الخاصة والحميمة. مع العلم، أنّ هذا لا يعني أن ينتقي من وثائق الأرشيف فقط ما هو إيجابي ويُهمل ما هو سلبي، فيقع عندها المؤرخ بالانحياز والمحاباة، ويفقد بالتالي مصداقيته العلمية الموضوعية.

الموضوعية في العمل

إنّ العمل التأريخي للشخصيات السياسية يتطلّب أخلاقيات وأدبيات خاصة، موضوعية ونزيهة على المؤرخ إتّباعها، كي لا يقع في الغرضيّة والعصبيّة، أو في الحزبيّة الضيقة، أو في المحاباة وجعل الشخصية السياسية إلهاً

في السياسة والمواقف النزيهة. كما على المؤرخ أن يلتزم أقصى درجات الحذر والحياد ليقترب من الحقيقة التاريخية كما هي، لا كما يريدها هو أو منتقدوه أو مادحوه: حقيقة ناصعة بيضاء خالية من الشوائب والنواقص. وعليه أن يتذكّر، دائماً، أنّه مؤرخٌ ينشد الموضوعية النسبيّة والحياد، وإذا اضطرّ للانحياز والتحزّب، فعليه التزام جانب الحقيقة التاريخية، وذلك بعد الوصول إليها، وتقديمها بأسلوبٍ سهلٍ ممتنعٍ جميلٍ، يجمع الكتابة التاريخية العلمية إلى الرواية الواقعيّة. وفي سبيل تحقيق ذلك، ومهما كان موضوعياً، عليه أن يبتعد عن كتابة نصٍ تاريخي مخصصٍ لتمجيد شخصيةٍ سياسيةٍ معيّنةٍ، أو يصلح لكل شخصيةٍ سياسيةٍ، كما يصلح لكل مكان وزمانٍ (حتّى ولو حمل عنوان كتابه اسم شخصيةٍ سياسيةٍ ما). بل يعتمد التأريخ الاجتماعي لحقبةٍ زمنيةٍ بكل تفاعلاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومن خلال دراسة هذه الحقبة التاريخية، يُبرز دور هذه الشخصية السياسية أو تلك، ارتباطاً بدور كافة الفئات الاجتماعية مهما كانت أعمالهم وضيعةً وصغيرة.

منهج التأليف:

خلال مرحلة التأليف والكتابة عن الشخصيّة السياسيّة، على المؤرّخ أو الباحث أن يدخل إلى عمق مكونات تلك الشخصيّة، فيدرس ملامحها الخارجيّة، جمالاً وقبحاً، طولاً وقصراً، نحافةً وبدانةً، ويتفرّس في تلك الملامح ليقيم العلاقة الجدليّة بينها وبين صاحبها. فيقف على وقاره وقوّة شخصيّته، وثقته بنفسه، وسطوته الإدارية والسياسيّة، وإمكانياته القياديّة، وعلى طموحه وتصميمه على تحقيق الأهداف والغايات الّتي عمِل من أجلها.

ويستتبع منهج التأليف التأريخي إقامة العلاقة الجدليّة بين مكونات الرجل السياسي الشخصيّة والنفسيّة، وبين نشاطه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وذلك من حيثُ تواضعُه وقدرتُهُ على الانخراط في مجتمع الفقراء، أو مجتمع الأغنياء، على السواء، مع المحافظة على عدم التحزّب الطبقي، أو

الغرضي العصبيّ (من عصبيّة وقبليّة عشائريّة وعائليّة)، أو الطائفي المذهبي، أو من حيث تعاطفهُ مع مطالبِ الطبقات الشعبية الدنيا، ومدى التزامه في الدفاع عنْ حقوق المظلومين وصغار الموظّفين. أو من حيث جُرأتُه الأدبيّةُ والسياسيّةُ، وإخلاصُهُ الوطنيُّ، وتصميمُهُ على محاربة الفساد والهدرِ المالي للدخل القومي، ومقدارُ سمعته الحسنة، ونفوذه السياسي القيادي في محيطه وطائفته، وفي منطقته ووطنه. أو من حيث ضعفُهُ النفسيُّ، وتردّدُهُ في اتخاذ القرارات الوطنيّة أو السياسيّة المصيريّة، مما يوقعه في الفخ السياسي والتبعيّة والارتهان المالي والسياسي لغيره من أصحاب الثروة والنفوذ.

وفي سبيل تحقيق غايته التأليفيّة الموضوعيّة، على المؤرّخ أن يعتمد النص المُسند، أولاً، إلى وثيقةٍ رسمية، ومن ثمّ إلى مخطوطةٍ خاصة بصاحب العلاقة ثانياً، وإلى مراسلاته المالية والاقتصادية والاجتماعية والأدبيّة ثالثاً، وإلى المقابلات الشفهية رابعاً، ثمّ إلى المجلات والجرائد خامساً، وأخيراً إلى المذكّرات والمصادر والمراجع المعاصرة لشخصيّته السياسيّة. كما عليه أن يقيم العلاقة الجدليّة بين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السياسيّة للمجتمع الّذي عاش فيه الرجل السياسي، وبين البيئة الاجتماعية والاقتصادية له، أي واقعه الطبقي ومصادر ثروته المالية والعقارية، وبين تربيته البيتيّة والدينيّة، والتعليميّة والسياسيّة، وبين مشاريعه التحديثية الإصلاحية، إذا وُجدت. بالإضافة إلى تطلّعاته المستقبلية التقدّمية أو الرجعيّة المحافظة، وعلاقاته بمناصريه ومخاصميه، ومقدار احترامه للفئات الّتي يقودها .ويحمل قضاياها الإنسانية والخدماتيّة، وبين أمكنة إقامته، صيفاً وشتاءً، في المدينة أم في الريف، ونوعيّة مسكنه؟ هل كان يُقيم في وسط أحياء مؤيديه ومحازبيه؟ أم في مناطق بعيدةٍ عن مراكز إقامتهم وسكنهم ومناطقهم الانتخابية؟ أي في مناطق إقامة السياسيين عادةً، تلك المناطق المغلقة الّتي يصعب على عامة الناس الدخول إليها. كما يوازي بين الواقع الفعلي المعاش للشخصية السياسيّة، والكتابة الموضوعية عنها في نصٍ تاريخي قريبٍ من الواقع، نصٍ متماسكٍ علمياً ومنهجياً، نصٍ يجمع بين

التحليل والتعليل والنقد والانتقاد، وبين السيرة الذاتية الخاصة والرواية التاريخية الموثوقة، مع الابتعاد قدر الإمكان، عن الأسطورة والملحمة والنص الإنشائي. فلا يجعل شخصيته السياسية إلهاً فوق الشبهات والاتهامات السياسية والأخلاقية، كما لا يظلمها أو يطمُس معالمها الثقافية والوطنية والحضارية الحقّة.

وأخيراً عليه أن يبتعد عن السطحيّة في كتابة سيرة الرجل السياسي. فيصوّره على حقيقته الصادقة، ويشير إلى انجازاته ومشاريعه الإنسانية الإيجابية، وإلى إخفاقاته وهفواته السياسية والإدارية السلبية. فتأتي السيرة آيةً في الدقّة العلمية والجمال اللغوي، والعمل الأكاديمي الموثّق والموثوق في آن معاً.

عائلـــة الجسر في طرابلس

الـــدور الدينـــي

أصل العائلة وتسميّتها

آل الجسر أسرةٌ مصرية الأصل من أشراف مدينة دمياط، وتدعى ببيت **المائي**. من المرجّح أنّها انتقلت من الديار المصرية إلى الديار الشامية حوالي سنة 1170هجرية/1756- 1757م[70]. وأوّل من انتقل منها مؤسسها وجدّها في طرابلس الشام الحاج مصطفى الجسر. أمّا أبرز رجالاتها الدينية والدينية السياسية حتّى عام 1980، فهم: الشيخ محمد ابن مصطفى الحاج الجسر الملقّب بأبي الأحوال الطرابلسي، وابنه العلاّمة الشيخ حسين... وحفيداه سماحة العلاّمة الشيخ محمد الجسر، رئيس مجلس النواب اللبناني (1926- 1932)، والشيخ نديم المستشار القانوني، والنائب عن طرابلس عام 1957[71]، ومفتي طرابلس (1961-1980).

وفي كتابه: **نزهة الفكر في مناقب مولانا العارف بالله تعالى... الشيخ محمد الجسر**، يبرر الشيخ حسين الجسر سبب انتماء أسرته إلى آل المائي بقوله: «إنّ أسرته الّتي هي فرعٌ من آل الرفاعي، كانت تقوم بالإشراف على توزيع فائض مياه نهر النيل على الأهالي، فدُعِيَ أفرادها بالمائي، أي صاحب الماء»[72]. وكان القطب السيّد محمد الصيّادي الرفاعي أوّل من اكتسب لقب

---

(70)عبدالله حبيب نوفل: **تراجم علماء طرابلس وأدبائها**، مرجع سابق، ص167.

(71) المرجع السابق، ص45.

(72) حسين الجسر: **نزهة الفكر في مناقب مولانا العارف بالله تعالى قطب زمانه وغوث أوانه الشيخ محمد الجسر**،المطبعة الأدبية، بيروت 1306هـ/1888، ص36.

«المائي»، عام 1410 تقريباً[73]. وتشير إحدى الروايات القديمة إلى طريقة اكتساب هذا السيد لقب المائي، عندما انتشل رجلاً من أتباعه من نهر النيل، حال دون غرقه، وكان الغريق قد استنجد به قائلاً: «أدركني أيّها المائي»، فأدركه السيد محمد قائلاً: «جاءك المائي».

وتأكيداً لانتساب بيت «المائي» إلى آل الرفاعي، يذكر الشيخ محمد يمن الجسر (الّذي أصبح رئيس مجلس النواب اللبناني في ظل الانتداب الفرنسي 1926 ــ1932)، في مذكّراته عن والده الشيخ حسين ما يلي:« لمّا ذهبت في خدمة سيّدي الوالد إلى الأستانة في ربيع الأول سنة1312هــ (1894 ــ1895م)، دعانا السيّد أبو الهدى (الصيّادي)[74]، رحمه الله إلى تناول الطعام في منزله، وأعاد عليّ ذكر اتصال نسب بني الجسر ببني الرفاعي، وأكد لنا أنّنا أنسباء وأقارب. ثمّ التفت إليّ وقال: «أنت شاب لا تُؤمن حتّى تنظر بعينيك إلى الدليل المستند». وأشار إلى الأستاذ توفيق الأيوبي، وكان مولىً بحفظ مكتبة الشيخ الصيّادي، أشار إليه بإحضار كتاب عقد الهلال منها، وهو كتابٌ مخطوطٌ في جزأين وضع منذ أكثر من قرن جاء بها ودلّني على مكان الفقرة الّتي تتحدّث عن نسب بيت المائي، ونسبتهم إلى آل الرفاعي»[75].

أمّا كيف انتقلت كنية «**المائي**» وشهرته، إلى «**الجسر**»، فلذلك طرفة نادرة أو قصّة قصيرة، وهي: «أنّه كان لوالدة الحاج مصطفى، الجد الأول للعائلة في طرابلس الشام، ولدان: واحدٌ بدين الجسم(ضخم وسمين) وطويلٌ، وآخرٌ ضعيفٌ ونحيلٌ. فأطلقت على الأوّل لقب الجسر لضخامته وقوّة بنيته،

---

(73) راجع شجرة عائلة آل الجسر المنشورة في كتاب عبدالله سعيد: **الشيخ محمد الجسر**....، مرجع سابق، ص342.

(74) كان أبو الهدى الصيّادي من كبار علماء الإسلام في عاصمة السلطنة العثمانية الأستانة آنذاك، وهو صديق للشيخ حسين الجسر، والد الشيخ محمد صاحب رواية تأكيد انتساب آل الجسر بالنسب إلى آل الرفاعي. لذا تُعتبر عائلة الجسر فرعا من آل الصيّادي، الّذين يعودون بنسبهم إلى آل الرفاعي. محمد يمن الجسر: **مذكرات الشيخ محمد الجسر**، المخطوطة والمحفوظة في مكتبة ابنه باسم في بيروت، غير مطبوعة، ص17.

(75) مذكرات الشيخ محمد الجسر، مصدر سابق، ص18.

وللدلالة على أنّه عماد البيت وركن الأسرة القوي والمتين، والمدافع عنها في مجتمع كان يعتمد القوّة أساساً للمحافظة عل الحقوق العائلية. ويُقال إنّ الناس شبّهوا جسده بالجسر لضخامته»(76). وأُطلق على الثاني، لقب العَظْمَة لرخاوته وضعفه وقصره. وهناك روايةٌ أخرى حول إطلاق شهرة **الجسر** على عائلة **المائي** في طرابلس، وهي: أنّ والد الحاج مصطفى المائي، كان له ولدان، ولدٌ قصيرٌ وضعيفٌ مات في عمرٍ مُبْكرٍ، دُعيَ «**باليسر**»(77)، وآخرٌ طويلٌ وبدينٌ بقيَ حياً سُمّيَ «**بالجسر**»(78). وهكذا اكتسب الحاج مصطفى، جد آل الجسر في طرابلس، كنية **الجسر** التي حملها أفراد عائلته من بعده منذ أواسط القرن الثامن عشر وحتى اليوم.

---

(76) **الجسر** كلمة تُطلق على الطويل والضخم من الناس، وعلى الرجل الشُجاع والمِقدام. وكلمة الجسر، في الأصل، ما يُعبر عليه النهر، وغيره مبنيا كان أو غير مبني من حجر أو من خشب، أو هو اسم لما يوضع ويرفع مما يكون متخذا من الخشب والألواح، والقنطرة من الحجر. ومنه جسر الخشب الّذي يُوضع في سقف البيت، أو في صدر الغرفة الأساسية (العلّـيّـة) في المنازل اللبنانية القديمة ليكون الدعامة القوية الّتي تحمل جسور السقف.

(77) اليسر، جمع أيسار، مصدر يسر وييسر، تعني السّهل والهيِّن، المغلوب دائما. الرجل السهل والمُنْقاد دائما من الّذي أشجع وأقوى منه.

(78) Wajih AKKARI: Shaykh Muhammad Al-Jisr A Sunni Muslim in Lebanese Politics, A Thesis of the Degree of the Master of Arts, Department of History and Archaeology, American University of Beirut, Beirut, Lebanon, 1992, p1- 2(no edited)

الشيخ محمد ابن الحاج مصطفى الجسر الطرابلسي الحنفي الملقّب بأبي الأحوال[79](1793 ـ 1846)

دراسته ونيله إجازة الطريقة الخلوتية

هو العالم الفاضل الورع الصالح المشهور في طرابلس وغيرها بكرم أخلاقه وغزارة فضله وصلاحه. وُلد الشيخ محمد في شهر ربيع الأول من سنة 1208(تشرين الأول1793)، وتربّى على الشيخ عبدالله دبا النقبشندي الولي الشهير باني المدرسة النقيشندية الّتي عُرِفت، في طرابلس، باسمه، حيث تعلّم محمد القرآن الشريف والكتابة. ولمّا بلغ الثامنة عشرة من عمره، أستأذن أباه لزيارة قبر الصوفيّ السلطان إبراهيم بن أدهم في جبلة على الساحل السوري[80]، فأذن له. ومن هنالك توّجه إلى مصر للمجاورة في الجامع الأزهر الشريف للدراسة وطلب العلم، وأرسل فأخبر والده بذلك. وفي أثناء مجاورته تُوفّيَ والده، فعاد إلى طرابلس لرؤية والدته وأخوته، ثمّ عاد للمجاورة في الأزهر[81]، حيث تتلمذ على عددٍ من المشايخ أبرزهم: محمد الكتبي، ومحمد نشّابة، وعمر الحلبي، ومحمد الحلبي، ومصطفى المبلط، وأحمد المرصفي، وإبراهيم الباحوري،

(79) للمزيد من التفاصيل عن حياة الشيخ محمد الجسر(أبي الأحوال) الصوفية وأعماله، يراجع الكتاب الهام من تأليف ولده الشيخ حسين: **نزهة الفكر في مناقب...الشيخ محمد الجسر**، مصدر سابق.

(80) **جبلة**: مرفا في سورية، وهي أيضا مركز قضاء في محافظة اللاذقية.

(81) حسين الجسر: **نزهة الفكر**....، مصدر سابق، ص29ـــ32.

ومصطفى البولاقي[82]. وبعد اختبارات عديدة أخذ إجازة العلم من الشيخ العالم محمد الكتبي، وإجازة الطريقة الخلوتية على الشيخ أحمد الصاوي أبي الإرشاد، وإجازة فقه الإمام أبي حنيفة النعمان. ومما يذكره الشيخ حسين عن والده الشيخ محمد: أنّه سلك الطريقة الخلوتية على الشيخ عمر اليافي الصدّيقي قبل سلوكها على الشيخ الصاوي المالكي المذهب في الفقه والإجتهاد. ولكنّ الشيخ محمد امتنع عن أخذ العهد الخلوتي على أحد في البلاد الشامية، وذلك بناءً لنصيحة الشيخ الصاوي الذي قال:"أنا ربّيت محموداً(الرافعي أبي الأنوار) لبرّ الشام وربّيت محمداً(الجسر أبي الأحوال) لبرّ الحجاز"[83].

وبعد نيله الإجازتين من مصر انتقل الشيخ محمد، بطلبٍ من الشيخ سليم الدجاني، إلى يافا وأراضي الفتوح في فلسطين، حيث أقام في قرية بيت جنّ، وعاش في خلوةٍ صغيرةٍ بجوار مسجد القرية، وأسس هناك مدرسة ابتدائية، يدرّس فيها العلم والعلوم الإسلامية التقليدية. وكان من تلاميذه فيها الشيخ عبد القادر أبو رباح الدجاني اليافي(نسبة إلى مدينة يافا في فلسطين)، والشيخ حسن سليم الدجّاني[84]. ثمّ عاد إلى بلده طرابلس واشتغل بالعلم والتدريس في مدارسها وجوامعها. وكان يقرأ الدروس الدينية العامة في الجامع المنصوري الكبير، وفي المدرسة الرجبية. وكان من تلاميذه، في طرابلس، شاكر آغا العثمان وإسماعيل وأمين المقدّم أولاد محمد المقدّم نقيب الأشراف في طرابلس آنذاك[85].

موقفه من حملة إبراهيم باشا المصري

مع دخول جيش إبراهيم باشا المصري طرابلس الشام، عام 1831، ظلّ الشيخ محمد وفياً للسلطنة العثمانية، فانخرط في التجمّعات والحركات المناهضة

---

(82) المصدر السابق، ص 31ـ 32.

(83) المصدر السابق، ص 30 و 34 و 53 و62. ويراجع أيضاً، محمد درنيقة: **الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس**، الطبعة الأولى، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس ـ لبنان 1984، ص 265.

(84) حسين الجسر: **نزهة الفكر....**، مصدر سابق، 26 و 27 و 59 و 60 و 67.

(85) المصدر السابق،ص59 و60؛ وعبدالله نوفل: **تراجم علماء طرابلس....**، مرجع سابق، ص45.

للحكم المصري الّذي احتكر تجارة الحرير، وفرض التجنيد الإجباري، وسمح بفتح حانات المسكّرات والخمرة وشربها، وقوّض اقتصاديات طرابلس. وفي سبيل محاربة الجيش المصري، تورّط في خطّةٍ سريّةٍ لإرسال وفدٍ من أبناء المدينة إلى اسطنبول للمطالبة بإعادة سريعة للجيش العثماني إلى طرابلس وعكّار وتخليصهما من الحكم المصري(86).

ويذكر الشيخ حسين في كتابه: **نزهة الفكر في مناقب الشيخ محمد الجسر**: «إنّ إبراهيم باشا بعد إقامته في البلاد الشامية مدّة ثلاث سنوات، شاع في طرابلس أنّ أهالي فلسطين أو بالأحرى جبل الخليل ثاروا وقبضوا عليه وهزموا عساكره، فظهر على أهالي طرابلس السرور، وأقاموا الأفراح، كراهةً لتسلّط حكم إبراهيم باشا الّذي أباح المحرّمات، ورغبةً منهم في رجوع حكم الدولة العليّة العثمانية. وصدر من بعضهم كلمات التشفّي، وأخذ عدد منهم يقرأ قصة المولد النبوي الشريف تيّمناً برجوع الحكم العثماني، مما أدى إلى حصول بعض الاضطرابات في البلدة.. ولكن ظهر فيما بعد أنّ محمد علي والد إبراهيم باشا جاء إلى يافا وأنقذ ولده. ولكن بعض المفسدين حرروا لإبراهيم باشا بما حدث في طرابلس ونقلوا إليه أسماء أكابر علمائها ووجهائها ومشايخها، ومنهم اسم والده الشيخ محمد الجسر الّذي اضطر إلى الاختفاء، مع الشيخ محمود الرافعي، أبي الأنوار، في جرود منطقة الضنية، ثمّ الهرب إلى قبرص(87).

وكان قد بلغ محمد علي باشا ثورة أهالي طرابلس على جيش ولده إبراهيم باشا، فأرسل إلى الأمير بشير الشهابي الثاني بتوجيه ولده الأمير خليل على رأس ألف مقاتل من جبل لبنان لتأديب الثائرين. فنزل الأمير خليل برجاله إلى طرابلس، في 3 تموز 1834، حيث اتّحد مع قائد الحامية المصرية، وألقيا

---

(86) عبدالله سعيد: **الشيخ محمدالجسر**...،مرجع سابق، ص 44.

(87) حسين الجسر: **نزهة الفكر**....، مصدر سابق، ص 73 و 72. ويُراجع أيضا سميح وجيه الزين: **تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر**، دار النفائس، بيروت 1969، ص 304 و 304؛ ومحمد كامل البابا: **طرابلس في التاريخ**، تحقيق فضل المقدّم وعمر عبد السلام التدمري، وضع فهارسه وأشرف عليه عبد الله البابا، الطبعة الأولى، جرّوس برس،طرابلس، ص 233ـــ234.

القبض على 25 شخصاً من المتهمين بالمشاغبات ونشر الشائعات، وزجهم في سجن القلعة، وكان أكثرهم من أعيان المدينة وزعمائها ووجهائها[88]. وبعد إجراء التحقيقات الشكليّة مع الموقوفين، جاء أمرٌ من إبراهيم باشا بوجوب التشدد في معاقبة المشاغبين على حكمه، فعُوقب الطرابلسيون بقتل ثلاثة عشر رجلاً من أعيانهم وعلمائهم[89]، وقد جرى ذبحهم ظلماً كالغنم وقطع رؤوسهم وصفّها على بركة الملاّحة الباقية في مكانها لليوم، وأُلقيت جثثهم في الأسواق من سوق العطّارين حتّى الملاّحة، كما طرحت جثثهم في الشوارع لمدّة ثلاثة أيام، وبعدها نُقلت الجثث ودُفنت في محلة باب الحديد، بالجبّانة المسماة جبانة الشهداء قرب خان الخيّاطين في طرابلس[90].

سفره إلى قبرص واسطنبول

كان الشيخ الجسر صائب الرأي بعيد التفكير، لذلك فإنّه تنبّأ بما سيكون مصير الوجهاء والعلماء الطرابلسيين من جرّاء شماتتهم بانكفاء إبراهيم باشا في فلسطين. فيقول الشيخ حسين الجسر: "إنّ والده الشيخ محمد الجسر... كان

---

(88) جرجي ينّي: **تاريخ سوريا**، مرجع سابق، ص 334.

(89) **ملاحظة:** لقد اختلف المؤرخون حول عدد شهداء أعيان طرابلس الّذين أعدمهم إبراهيم باشا المصري، فمنهم من ذكر أنّ عددهم 13 شهيدا، كما جاء في كتاب سليمان أبو عز الدين: **إبراهيم باشا في سورية**، المطبعة العلمية، القاهرة ـ مصر 1929، ص 183، وعند داود بركات كتابه: **البطل إبراهيم الفاتح وفتحه الشام 1832**، المطبعة الرحبانية، بدون تاريخ، ص127، وعند سميح الزين في كتابه: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص306ـ307، أو70 شخصا كما ورد عند الشيخ حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدرسابق، ص72، ونقلها عنه محمد البابا في كتابه: طرابلس في التاريخ...،مرجع سابق، ص243. بينما في الواقع بلغ عددهم 16 شهيدا؛ وهم:أحمد آغا الحجة، إبراهيم الحاج حسن النابلسي، والبهلوان بن الرفاعي، شاكر الشهال، عبدالله علم الدين، وحسن علم الدين، وطالب حمزة، وعبد الله عدره وقد صدر أمرٌ خاصٌ بقتله، والشاعر إسحق الأدهمي، وشاكر المطرجي والحاج أحمد الدويدي وكانا موظفيّن في الديوان، ومحمد رفاعية(الرفاعية) وكان يصرخ عند ذبحه "مظلوم.. مظلوم..."، فأطلق العامة على أحفاده لقب المعاليقي لبقاء لسانه يقول كلمة مظلوم لمدّة بضعة ثوانٍ حتّى بعد الذبح، عثمان محسن وواحد من كل من عائلة سيفا ومنقاره ومستو شمس). سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص306ـ307؛ ومحمدالبابا: **طرابلس في التاريخ...**، مرجع سابق، ص و 243ـ234.

(90) سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص 301 و 302 و 307.

ساهراً في دار عبدالله علم الدين وإنّه في خلال السهرة أشار إلى باب الدار ومنها إلى الساحة الّتي أصبحت فيما بعد المقبرة الّتي دُفِن فيها شهداء طرابلس، و قال: «إنّ عبدالله علم الدين سيكون من جملة مَنْ سيُلقى القبض عليهم». فلذلك، منذ تلك الليلة اختفى الشيخ محمد الجسر أبو الأحوال مع الشيخ محمود، أبي الأنوار، الرافعي، عن أنظار جواسيس إبراهيم باشا، وخرجا إلى منطقة الضنيّة، ومن ثمّ إلى عكار. وبعد أسبوعٍ نزلا ليلاً إلى القرية القلمون، الملحقة بطرابلس من ناحية الجنوب، ومنها استأجرا مركباً وسافرا إلى جزيرة قبرص... وفي أثناء إقامته في قبرص هرباً من إبراهيم باشا، تنبّأ الشيخ محمد، أيضاً، باسم الشخص الّذي فَسَد على الطرابلسيين ووشى بهم لدى إبراهيم باشا. وبعد مدّةٍ ظهرت حقيقة الأمر لإبراهيم باشا، وأنّ أولئك المتهمين أخذوا ظلماً. فأصدر أمره بالعفو عن المتغيّبين. كما صدر أمره أيضاً بشنق رئيس المفسدين (نعمة نوفل)[91] الّذين وشوا عنده على أولئك المنكودين تطيباً لخاطر الطرابلسيين، وورد الأمر فنُفّذ في سوق الملاّحة من أسواق طرابلس»[92].

وهكذا، أدى فرح أهالي طرابلس لإشاعة فشل إبراهيم باشا في بلاد الشام، واكتشاف خطّة إرسال وفدٍ من الطرابلسيين إلى الأستانة من قبل إبراهيم باشا، إلى شنق عدد من شركاء الشيخ محمد الجسر (أبو الأحوال) في طرابلس. أمّا هو فقد نجا بهروبه إلى جزيرة قبرص عام 1835، ومنها إلى اسطنبول في العام 1836، وحلف اليمين بأنه لن يعود إلى بر الشام ما دامت الحكومة المصرية فيه. وخلال إقامته في اسطنبول، تزوّج الشيخ محمد الجسر، أبو

---

(91) بينما يذكر سميح الزين: «أن الطرابلسيين أوغروا صدر يوسف باشا شريف متسلّم طرابلس، (الجديد بعد خروج المصريين)، وحمّسوه على طلب قتل نعمة نوفل بسبب أنّه هو الّذي نقل لإبراهيم باشا أسماء الطرابلسيين، وإنّه هو السبب المباشر لإعدام من أعدم من وجهاء وعلماء طرابلس». سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص307.

(92)حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص 73، وتراجع ص89؛ وعبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**، مرجع سابق، ص167.

الأحوال، من السيدة خديجة ابنة تاجرٍ عثماني من آل رمضان، المتصل نسبهم إلى آل رمضان الّذين كانوا حكاماً في جهّات أضنه[93].

وكان والد السيدة خديجة، السيد علي بن محمد رمضان رئيس الجند لدى والي عكـا عبد الله باشا (1822ـ1832)، ولكن عندما استولى إبراهيم باشا المصري على بر الشام ذهب بعائلته إلى قبرص ثم إلى الأستانة حيث التقى به الشيخ محمد الجسر وخطب ابنته[94]. ولقد عُرِف بنو رمضان كعائلةٍ قديمةٍ في بيروت، هاجرت إليها من بلدة أضنه التركية عام 1170هـ/ 1757م، عندما استولت السلطنة العثمانية على تلك المقاطعة، وأزاحت الدولة الرمضانية عن كرسي الحكم فيها. وذلك بعد أن حكمت دولة آل رمضان مائة وتسعين سنةٍ، أي من سنة 780 إلى 970هـ/ (1378ـ1563م). ولا تزال أوقاف بني رمضان ماثلةً للعيان في تلك المقاطعة[95].

عودته إلى طرابلس

بعد خروج المصريين من بلاد الشام، عاد الشيخ محمد، أبو الأحوال، إلى طرابلس عام1842، ليصبح فيها شخصيةً محترمةً، ووجيهاً بارزاً من وجهائها، ووليّاً صالحاً من أولياء الله، ومتصوّفاً، من كبار متصوّفي عصره. ولكنّه ابتعد عن السياسة، وكرّس كلّ وقته للشؤون الدينية والتعليمية، وقيادة المنظّمة «الخلوتيّة» الصوفية، واتّباع الطريقة الرفاعية[96] على مسلك الإمام الشيخ أحمد الرفاعي، بعد أن أجازه بها صديقه ورفيقة الشيخ محمد الرافعي أبو الأنوار، وقراءة الصلوات الدرديرية على طريقة الأمير للمعارف الشيخ أحمد الدردير[97]

(93) حسين الجسر: **نزهة الفكر**...،المصدر السابق، ص 74.

(94) الشيخ حسين الجسر: المصدر السابق، ص76.

(95) عبدالله سعيد: **الشيخ محمد الجسر**...، مرجع سابق، ص 44و 74و72.

(96) لمعرفة تسلسل منح الاجازة الرفاعية، يراجع ملحق رقم (2).

(97) الشيخ أحمد الدردير(أبو البركات)،(7113/هـ /1724م ـ 1201هـ / 1786م) ولد في بني عدي، وعاش في جو ملؤه التقوى والزهد،حفظ القرآن الكريم، ثمّ قصد الجامع الأزهر وتتلمذ على الشيخ شمس

العدوي المالكي، وسند السيد عبد الرحمن الكزبري، ونشر مسالك ومبادئ هاتين الطريقتين بالتعاون مع صديقه ورفيقه في الدراسة والطريقة الخلوتية، الشيخ أبو الأنوار محمود الرافعي، على السواحل السورية وفي بلاد عكار واللاذقية وبيروت وصيدا وعكار وفي نفس دمشق الشام، ويروي الشيخ عبد القادر أبو رباح الدجاني: أن الشيخ محمد الجسر أبا الأحوال كان يسلك اثنتي عشرة طريقة في زمانه[98].

وبعد استقراره في طرابلس، عرض عليه حاكمها العثماني، يوسف باشا، توسيع داره وبناء منزل إضافي له في الحديقة الملحقة بمسكنه، رفض الشيخ محمد ذلك، ورغب إلى الباشا بأن يرمم المدرسة الرجبية القريبة من منزله لتستوعب المريدين للطريقة الخلوتية. لقد كان الشيخ محمد يقيم أذكار الخلوتية في تلك المدرسة، وعندما هرب إلى قبرص، حوّلها إبراهيم باشا إلى ثكنة عسكرية، ومخزنٍ لمؤن عساكره. فتشققت جدرانها وتَلِفَت أخشابها. فقام يوسف باشا بإصلاح تلك المدرسة من ماله الخاص، وعاد الشيخ محمد إلى إقامة الأذكار فيها وقراءة الصلوات وتدريس الطلاّب[99].

وفاتـــه ورثــــاؤه

وفي عام 1845، سافر بزيارةٍ إلى فلسطين حيث فاجأه المرض، فتُوفّيَ في 23 جمادي الآخرة من سنة 1262هـ/ 1846م، ودُفِن في مدينة اللّد، حيث يعتبر قبره مزاراً ومحجّةً للمؤمنين المسلمين إلى اليوم[100]. فرثاه أكابر الشعراء

الدين الحنفي الذي انتهت إليه تربية مريدي الخلوتية في مصر، وأخذ الفقه عن الشيخ الصعيدي. وبعد وفاة الشيخ الصعيدي عيّن الدرديري شيخا للمالكية ومفتيا على المذهب المالكي. وقف الدرديري نفسه للاهتمام بمصالح الناس، فلقّبه أهل مصر بأبي البركات. ولمّا بلغ الثالثة والثلاثين من عمره انصرف كليا إلى سلوك طريق الخلوتية، وظلّ ملازما للشيخ الحنفي حتّى نال منه الإجازة في الخلوتية. راجع مجلة "منبر الإسلام"، شباط1975، ص224—226؛ ومحمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 288 و289.

(98) حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص36و55و 56 و57 و68 و60.

(99) المصدر السابق، ص 139؛ومحمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق،265.

(100) عبد الله سعيد: **الشيخ محمد الجسر...**، المرجع السابق، ص44.

كالشيخ حسين الدجاني مفتي يافا، والشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني والشيخ حسن سليم الدجاني،والشيخ عبد الغني الرافعي[101]. وتأكيداً لموقع عائلة الجسر الديني في طرابلس، ولمدى احترام إخوان الشيخ محمد في الطريقة الخلوتية لمكانته العلمية، ولقيادته الصوفية، ننشر فيما يلي، بعض الأبيات الشعرية المقتطعة من قصائد رثائه والمنشورة في كتاب ابنه الشيخ حسين: **نزهة الفكر في مناقب...الشيخ محمد الجسر**.

أولاً: من قصيدة الشاعر الشيخ **عبد الغني الرافعي** الطرابلسي[102] الّتي جاء فيها[103]:

خطبٌ لديه خطيب البين قد صدعا — أم سيّدٌ فيه هذا الدهرُ قد فُجعا

أم حـــادثٌ صبحُه بالبين روّعَنـــا — ليت الصباح صباحُ البين لا طَلِعا

أم الإمامُ أبو الأحوالِ قد وخدت[104] — به قلوصُ[105] النوى أم حادثٌ وقعا

فإن يكن لا يكن جسرُ الطريق وهَى — وقد تهدم ركنُ المجدِ وانصدعا

فاسفحْ نجيعَ فــؤادٍ مفعمٍ حزنـــاً — فما أرى مدمعَ الأجفان قد نجعـــا

---

(101) حسين الجسر: **نزهة الفكر**...، مصدر سابق، ص 201 و 204 و 208 و 210.

(102) **الشيخ عبد الغني الرافعي**، هوعالم دين وشاعر، وُلد في طرابلس سنة 1236هـ/ 1820 ــ1821م، قرأ القرآن الكريم على الشيخ مصطفى الحفّار، وتلقّى العلم على الشيخ إبراهيم الزيلعي والشيخ نجيب الزعبي الجيلاني. وكان حاد الذهن، سريع الخاطر قويّ الذاكرة والحفظ، سافر إلى دمشق الشام وأخذ عن مشاهير علمائها وأدبائها، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الله الحلبي. ثمّ توجّه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فقرأعلى الشيخ محمد الكتبي مفتي مكّة المكرّمة. عاد إلى طرابلس حيث أخذ الطريقة الخلوتيّة عن مرشدها آنذاك الشيخ محمد رشيد ميقاتي، ثمّ لازمه وتفرّغ لإلقاء الدروس الدينية في الجامع الكبير المنصوري، فتخرّج عيه الكثيرون، ومن أشهرهم الشيخ إبراهيم الأحدب...عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس**...مرجع سابق، ص83؛ سميح الزين: **تاريخ طرابلس**...، مرجع سابق، ص493.

(103) حسين الجسر: **نزهة الفكر**...، مصدر سابق، ص210-213؛ وعبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس**...مرجع سابق، 46-47.

(104) وخدت: أسرعت

(105) قلوص النوى: سرعة وطول البعد.

وقف بمنزلةِ المضنى[106] مخاطبــه فحبّذا مربعُ الأحباب مرتعـــا

فكم معان بدت من درٍّ منطقه وكم طريق على ذا الجسر قد قطعا

وكم معالم أحيـــا بعدما درست دروسها فاستحالت كوكباً سطعا

ثانياً: من مرثاة الشيخ عبد القادر أبو رباح الدجاني[107]:

يا أيها العارف المكحول ناظره بالسير مهلاً لقد مزّقت أحشائي

يا جسر من لدروس العلم ينشرها كالدرّ تحسم ما في القلب من داء

يا جسر من لطريق الهدي يوضحها بالسر بعدك في أرجاء أرجاء

يا جسر مَنْ لليتامى والعواجز[108] مِنْ شهم يواسيهم في حال لأواء

يا جسر من لذوي الحاجات يسعفهم حكيم يبري بعزم داء دهماء

يا جسر من لأبي الأنوار يُؤنسه من بعد فقدك في ساحات أنداء

شيخ الطريقة بدري المقام كذا محمدي الإرث في سرٍ وأسداء

وزان أهل طرابلس بحكمتِهِ كاللاذقية مع يافــا وصيـــداء

هذا الإمام الهمّام الحَبرُ جسرٌ ولا محمد الفعل كشاف لاذمـــاء

هذا الذي شهدت عرب كذا عجم بفضلـــه واكتسى أثواب آلاء

هذا ابن خير عباد الله سيّدنا محمد المصطفى الساقي لصهباء

---

(106) المضني، من ضني يضنو، أي النكوس في المرض، فكلما ظنّ المريض أنّه سيشفى عاد ومرض من جديد.

(107) حسين الجسر: **نزهة الفكر**...، مصدر سابق، ص 205ـــ206.

(108) العواجز: جمع عجز، بمعنى ضعيف وغير قادر على إعالة بفسه.

ثالثاً: من قصيدة الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا، الأبيات التالية(109):

شهمٌ تقيٌّ نقيٌّ فاضلٌ فطنٌ ... متى تصدّى لأمرٍ غامضٍ يصب

عالي الجناب الذي شاعت مناقبهُ ... كأنّهُ الشمس قد لاحت من الحجب

جسرٌ غدا لأهل الله طود وفا ... سحابُ نفعٍ أتى من خيرة النجب

قد كان شمساً بقطر الشام بهجته ... بهِ يغاث بهِ الرحمات من وصب

ونال من تحف الجنّات منزلة ... لم يلقَ من لغب فيها ولا نصب

أيا جسر أهل الله يا مركز السعد ... ويا بهجة الأخيار يا معدن الحمد

ويا من لطرق الحقّ يرشد في الملا ... على قدره السامي على ذروة المجد

رابعاً: أمّا مرثية الشيخ حسن سليم الدجاني فجاء فيها(110):

وبحــر علمٍ وحلمٍ ما لساحلــه ... حدّ وكم في بحار الرشد قد غرقــا

لقد بكتهُ ربوع الذّكر وانتحبت ... لمّا خَلَتْ منهُ أمسى صُبحها غسقــا

يا كوكباً نوُره قد غاب عن نظري ... وشمسُهُ لا أرى من بعدها شفقــــا

يهنيك مشهدك الأسمى الذي وردت ... باللذ فيهِ بشارات بحسنٍ بقــــا

والباز الأشهب والصاوي واحمدهم ... وابن الرفاعي هم كانوا لك الرفقــا

محمد الذات والأفعال كنزُ وفا ... من لاذَ في حبّهِ لا يخشى تفليسا

سليل خير الورى جسر الولا فلقد ... همى نداه كمزن الغيث أن قيســا

لهُ الكراماتُ والأسرارُ قد بهرت ... فاقصد لحي علاه تكتفي بوســا

(109) حسين الجسر: نزهة الفكر...، مصدر سابق، ص202ــ204.

(110) المصدر السابق، ص 309ــ311.

وعند وفاة الشيخ محمد الجسر، أبي الأحوال، كان ابنه الشيخ حسين ما زال صغيراً، فلمّا كَبُرَ، وكان بصدد تجميع مادة كتاب عن والده، رثاه في هذا الكتاب قائلاً:

تّمت منك ولكن في رضاك ومِني   تقواك لاقيّت يتم الدرّ من صغري
مَن يتّقِ الله يهنأ بالبنين كما   قد جاء ذلك في آيِ من السرور
ربيت في نعمةٍ أرجو الإله لها   شكراً وأرجوه نعماه مدى العمر
وأرتجي منه تنوير الفؤاد فذا   عين السعادة هذا مطمح النظر (111)

كتاباته الشعرية

ألّف الشيخ محمد عندما كان مجاوراً في الأزهر كتابا، ولكنّه فُقِد. كما وُجِدت في مكتبته عدّة كتابات علمية تعليقاً على بعض الكتب في علومٍ شتّى، من شعريةٍ وعلميةٍ ولغويةٍ. وكان ينظم الشعر قليلاً، ومن نظمه قصيدةٌ يمدح فيها الشيخ **أحمد الصاوي**. جاء فيها ما يلي(112):

دهري رمــاني بأسهــم الأحــزان   مذ خضت بحر الغي والعصيان
كم ليلةٍ تمضي عليّ منَ الأسى   أرعى النجوم بطرفي الوسنان(113)
أمسيتُ مُحتاراً أهيمُ كفاقدٍ   لأليفــه أو عــاشقٍ ولهــــــان
ناديت يا ربّـــاه غوثـــاً سيدي   ارحم لحــالي بالنبي العدنــاني
من بعد ذا ألهمت أن لا مخلّص   إلاّ بمدح العـــالم الربّـــاني

---

(111) حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص215؛ وعبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**مرجع سابق، ص173.

(112) حسين الجسر، المصدر السابق، ص240 و241 و242؛ وعبد الله نوفل، المرجع السابق.ص 46؛ وسميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص476.

(113) الوسنان: النعسان.

مقدام أكرم عارفٍ ومسلك باب الوصول لحضرة الديّـــان
وإذا اغتدى قطباً لإرشاد الورى كنّي أبا الإرشــاد عن برهـــان
أعني به الصاوي كنز معارف ودقــائق وحقـــائق العرفـــان

وقال مادحاً الشيخ **حسين الدجّاني**(أبي رشيد) من يافا[114]:

هو سيبويه هو الخليل وسعدنا كشّاف أسرار الكتاب المحكم
هو قطبُ دائرة العلوم جميعها هو مركزُ التحقيق مظهر مبهم
شمس المعارف والمطالع ذوالبها برّ المقـــاصد ملجـأ للمحتمي
هو حاكم الحافظ كنز دقائق بحر محيط حدّه لم يعلم
فهو المراقي للفلاح حقيقة أوج المعالي من رقاها يغنم
ماذا أقول بمدحه ولقد حوى لكنوز أوصاف الجمال المحكم

أبرز مريديه

أما أبرز مريدي الشيخ محمد في الطريقة الخلوتية وحلقات الذكر في قبرص واسطنبول وبيروت وصيدا وغيرها، ممن لم يرد ذكرهم في متن هذا النص، فهم: خضر ومحمد الدبوسي ومحمد الحنفي وباكير جلبي آغا القباقيبي، أحد تجار الشام المقيمين آنذاك في الأستانة، ومحمد المنزلي، منشد المدائح النبوية في زاوية اسطنبول الخلوتية، ومحمد ديب الدمشقي الذي تولّى مشيخة الطريقة الخلوتية وإدارة حلقات الذكر في زاويتها بعد عودة الشيخ محمد الجسر إلى طرابلس، ومحيي الدين الفاخوي وسعد الدين البربير من بيروت وإبراهيم سبانو، وزكريا كنعان وأخوه ياسين من صيدا، والحاج محمود المجذوب أحد

---

(114) حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص243.

أعيان صيدا وتجارها، وبكري حتيتو، وعبد السلام الجرّاح ومحمد أباظة الذي يعود له الفضل في إنشاء زاوية الخلواتية في صيدا. أمّا في عكار وطرابلس والشمال، فكان من مريديه أحمد العمر، ونجيب الزعبي الجيلاني القادري وابنه محمد، ومحمد مراد، ومصطفى آغا الأظن(الأذن)، وعبد الله المطرجي منشد الأذكار في زوايا الخلوتية زمن الشيخ محمد الجسر، ومصطفى الهندي ومحمد وعبد الفتاح القرق، وعلي وعبد الرزاق ومصطفى الرافعي ومحمد البيزة، ابن أخت الشيخ محمد الجسر ونقيب الأذكار في الطريق الخلوتية، وغيرهم[115].

وهكذا وضع الشيخ محمد الجسر، أبو الأحوال، أسس التصوّف الديني لعائلته من بعده. وذلك من خلال الإجازات العلمية والفقهية الدينية الّتي نالها من أعلى المراجع الدينية والصوفية في الجامع الأزهر الشريف والأستانة، ومكّة المكّرمة والقدس الشريف والشام. وبمقتضى هذه الإجازات أصبح يُعرف بالشيخ محمد الجسر الطرابلسي الشامي منشأً، الحنفي مذهباً، والبكري طريقةً ومشرباً، وسُمِح له بإعطاء الإجازات العلمية والفقهية، وباطلاع أولاده وأولاد أولاده وأولادهم عليها، وعلى مسالك الخلوتية والطرق الصوفية عامةً[116].

وأخيراً، "كان الشيخ محمد محباً للعلم سالكاً منهج الإستقامة والهدى ملتزماً الصلاح والتقوى، مراعياً آداب الشريعة، زاهداً في المناصب الدنيوية، متّصفاً بالأخلاق المُستمدَّة من الزهد والورع والكرم والتوكّل والرضى والتسليم، وحب الفقراء والمساكين والنصيحة لعباد الله والشفقة عليهم وإرشادهم إلى منهج الخير وسلوك طريق الحق ..."[117] حيث كان يهبهم كل ما يصل إلى يده من أموال ومساعدات وإكرامات." مما دفع البعض إلى الطلب إليه أن يقتني لأولاده، من بعده، بعض العقارات، وأن يترك لهم أموالاً تعينهم على الدهر... لكن محمداً ردّ على هذا الفريق بأن ولده إن نشأ تقياً فإنّ الله لا يحوجه إلا إليه. وإن كان

---

(115) المصدر السابق، ص 38و 72 و73و 99و100و103و105و 119و120 و125و 126 و134 و173 و182 و183 و187 و221 و225؛ ومحمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 267.

(116) حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص38.

(117) المصدر السابق، ص 229 و230.

بخلاف ذلك، فهو لا يريد أن يعينه بما يقتنيه له على معصية الله"[118]. وزيادةً في الزهد والتقشّف، رفض عروضات حاكم قبرص ببناء التكيّات والزوايا الصوفيه له ولأتباعه، واكتفى بأخذ مقدار القوت الضروري من البرغل والزيت من بيت المؤونه(كرار أميني). كما رفض، عندما كان في اسطنبول، هدية وزير الأوقاف العثماني في الأستانة البالغ مقدارها خمسة عشر ألف قرشٍ، وقبِل فقط، بعد الإلحاح عليه، أخذ خمسمائة قرشٍ لتوزيعها على الفقراء. وامتنع أيضا عن قبول عرض الوزير المذكور له باستلام مشيخة التكيّة القادريّة في الأستانة التي كانت مْن أغنى الزوايا الصوفية في عصرها[119].

(118) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 266.
والشيخ حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، 237 و238.
(119) حسين الجسر، المصدر السابق، ص 230 و231 و 234.

الشيخ حسين
ابن الشيخ محمد ابن الحاج مصطفى الجسر
(1845– 1909)

تربيته ومجاورته في الأزهر الشريف

وُلد... في طرابلس في دار بني الجسر في محلّة بوّابة الحدّادين[120] ليلة الأربعاء في 23 رمضان سنة 1261هـ/1845م من أبوين أحدهما الشيخ محمد المعروف **بأبي الأحوال**، الشيخ الصوفي المتبع الطريقة الخلوتية والمشهور بفضله وصلاحه وعلمه...، ووالدته السيدة خديجة من بني رمضان المعروفين، والمتصل نسبهم بآل رمضان الّذين كانوا في جهات أضنة.

نشأ الشيخ حسين يتيماً، إذ تُوفي والده، وهو لم يُكمل السنة الأولى من عمره. فاعتنت به أمّه حتّى السن العاشرة، وبعد وفاتها كفله عمّه الشيخ مصطفى الجسر، فأحسن الوصاية به، وأنشأه تنشئةً حسنةً. فقرأ الكتاب الكريم القرآن، وتعلّم الخط، ثمّ تلقّى دروسه العلمية الأولية على الشيخ أحمد عبد الجليل[121] الّذي كان صديقاً مقرّباً إلى والده. كما قرأ على الشيخين الشهيرين عبد القادر[122] وعبد الرزّاق الرافعيين. "ثمّ انتقل إلى حلقة الشيخ أحمد عرابي الذي

---

(120) محمد الجسر: **تاريخ حياة الشيخ حسين الجسر**، مخطوطة غير منشورة ومحفوظةفي منزل باسم محمد الجسر في بيروت، كتبها عن والده، الشيخ محمد يمن الجسر. ويراجع أيضا عبد الله سعيد: **الشيخ محمد الجسر...**، مرجع سابق، ص44 و 45 و 46.

(121) **الشيخ أحمد عبد الجليل**، من علماء اللاذقية، تلقّى علومه في الجامع الأزهر في مصر، سكن في طرابلس واهتم بالتدريس والخطابة. سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص 554.

(122)**عبد القادر الرافعي**، هو إمامٌ وعالمٌ من علماء المشايخ الحنفية، يعود بنسبه إلى عائلة البيساري، وُلد في طرابلس سنة 1248هـ/ 1832–1833م، وتلقى علومه الأولية فيها، ثمّ التحق بجامع الأزهر الشريف في مصر فنال إجازته العلمية، مما أهّله ليكون مدرسا في الأزهر عام 1275هـ/1858–1859م. وفي سنة 1280هـ/ 1863–1864م، تعين شيخا لجناح الدارسين والوافدين من بلاد الشام، ومفتيا لديوان الأوقاف، ثمّ عضوا في مجلس الأحكام. وبعد وفاة العلاّمة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عام 1905م، عيّن

كان يعتبر من أشهر علماء طرابلس في اللغة، فتلقّى حسين عنده مبادئ الصرف والنحو والفقه"[123]. ولكن الشيخ حسيناً الّذي ورث عن والده الإنتماء إلى الطريقة الخلوتية، وحظي بثقافة دينية عالية اندفع لمتابعة دراسته في مصر، والمجاورة في الجامع الأزهر الشريف منذ سنة 1279هـ (1862م). فانكبّ على التحصيل الديني والعلمي، حيث مكّنه ذكاؤه من التغلّب على الصعاب،حتّى فاق جميع أقرانه في مختلف العلوم الدينية والعقلية واللغوية، واشتهر اسمه بين الأساتذة والطلاب في الديار والمصرية والشامية[124].

وفي أثناء مجاورته في الأزهر، لمدّة خمس سنوات، حضر دروس كتب الحديث على الشيخ مصطفى المبلِّط، والعلوم العربية والعقلية على الشيخ حسين المرصفي الّذي أثّر في تلميذه الشيخ حسين تأثيرا كبيراً. وكان المرصفي، وهو ابن الشيخ أحمد أستاذ والده الشيخ محمد، "واحداً من المشايخ المنفتحين الذين آمنوا بضرورة الإنفتاح وتحصيل العلوم الحديثة"[125]. ولقد تتلمذ على عدّة مشايخ، منهم صهره عبد القادر الرفاعي الذي أصبح مفتياً للديار المصرية، وأحمد الرافعي، وعبد الرحمن البحراوي، وسليمان الخاني، وحسين منقارة الطرابلسي[126]. كما نال من أستاذه، وتلميذ والده، الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافي، إجازةً "بجميع الأوراد[127] الخلوتية والقادرية والدسوقية والمحيوية والشاذلية، وبجميع أسماء الله الحسنى وباستعمال كل اسم منها،

الشيخ عبد القادر الرافعي مفتيا للديار المصرية بطلب من الخديوي عباس. عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...** مرجع سابق، ص88 و89 و90(بتصرّف).

(123) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 268.

(124) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**، مرجع سابق، ص168.

(125) حسين الجسر: **الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية**، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية، بيروت 1888، والطبعة الثانية 1933، والثالثة تقديم وتحقيق خالد زيادة منشورات جرّوس – برس، والمكتبة الحديثة، طرابلس – لبنان، دون تاريخ. من تقديم خالد زيادة، ص10.

(126) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 268.

(127) **الأوراد**، جمع ورد، كلمة تعني بلغة الصوفيين:قراءة الأدعية وآيات الذكر بعد تحديدها بتقسيمها أدوراعلى رزمة من حبات مسبحة كبيرة، أي قراءة الدور تسبيحا.

وبالبسملة بأعدادها وبالحسبانية بعدّتها وبآية الكرسي بعدّتها وبسورة يس بعدّتها وبكل ما يجوز له روايتهُ في الطريقة الخلوتية وغيرها"[128].

اشتغاله بالتدريس والإرشاد

وفي سنة1284 هـ(1867-1868م) عاد إلى طرابلس، بالنظر لاشتداد المرض على عمّه، فما إن وطأت قدماه أرضها حتّى تُوفّي عمّه، فاضطر إلى البقاء فيها رغم ميله الشديد للرجوع إلى الأزهر. وفي طرابلس أخذ مكانة عمّه الثقافية والدينيّة، وكمّل التقليد الّذي بدأه والده الشيخ محمد، فتسلّم رئاسة المنظمة «الخلوتية» الصوفية، وأخذ يرعى شؤونها الدينية. ومن أجل خدمة واجبات هذه الطريقة، قام ببناء منزلٍ خاصٍ في حديقة داره لإقامة الذكر الخلوتي وقراءة الصلوات باجتماع أخوان الخلوتية[129]. واشتغل كما اشتغل والده من قبل في التدريس، والإرشاد في جامع الطينال، والتعليم الواسع في طرابلس وفي بعض مدارسها الدينية، وتحضير بعض التلاميذ لمهنة العلماء في المدينة. تهافت عليه الطلاب، من سائر المناطق والنواحي السورية واللبنانية، وذلك من سنة 1284 إلى سنة 1323هـ(1867- 1905م)، لسماع الدروس الّتي كان يلقيها في المدرسة الرجبية التي ورثها عن والده، والتي لم يفارقها مدّة سبع عشر سنة[130].

وكانت لوالده، "زاوية أخرى بالقرب من الجامع المعلّق، فحولها إلى مركز لاستقبال المهنئين أيام الأعياد والمناسبات الدينية. وظلّ يدرّس العلوم الشرعية وعلم الكلام، ويلقّن مسلك الإمام فخر الدين الرازي، ويقيم حلقات الذكر ويربي المريدين، ويمنح الإجازات في الطريقة الخلوتية"[131].

---

(128) حسين الجسر: **نزهة الفكر...**، مصدر سابق، ص 36.

(129) المصدر السابق، ص13.

(130) المصدر السابق، وعبد الله سعيد: **الشيخ محمد الجسر...**، مرجع سابق، 44ـ45.

(131) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**مرجع سابق، ص169.

إصلاحه التعليمي وتلامذته

ولقد قاد الشيخ حسين الجسر حركة تعليمية إصلاحية تجديدية في صراعها مع التعليم التقليدي. حيث فَهِم، من خلال صداقته لرائد الإصلاح العثماني مدحت باشا، أهمية الإصلاح والتغيير في المجتمعات المشرقية. ورأى أنّ هذا الإصلاح يجب أن يبدأ في التربية والتعليم، وذلك بضرورة استبدال طرائق التعليم التقليدية بطرائق عصرية حديثة. ولكي يُظهر التزامه بالإصلاح الثقافي والتعليمي، أسس في طرابلس، عام1880، «**المدرسة الوطنية**»، أخذت على عاتقها تطبيق الأساليب والطرائق الحديثة في التعليم، وإدخال برامج جديدة، برامج تجمع بين العلوم الشرعية والإسلامية التقليدية واللغوية، وتعليم اللغات العربية والتركية والفرنسية والرياضيات والعلوم العصرية الطبيعية والعامة[132]. وبفعل هذا المنهاج التعليمي المتطوّر والحديث آنذاك، نالت«**المدرسة الوطنية**» إعجاب جميع أبناء طرابلس والملحقات، واستقطبت بذلك تدفّق الطلاب إليها، من بيروت وصيدا والمناطق الفلسطينية، بالإضافة إلى طلابها من طرابلس وجوارها. وكان الشيخ حسين يعلّم بنفسه اللغّة العربية والدين والشريعة الإسلامية والعلوم العقلية والفلسفة. وهكذا كانت مدرسته أوّل مدرسة إسلامية عصرية في طرابلس تطبّق الطرائق الحديثة والعصرية في التعليم والتربية، وتدرّس اللغتين العربية والفرنسية والرياضيات والعلوم الطبيعيّة. ومن أشهر من تخرّج عليه، ومن مدرسته، نخبة أبناء طرابلس منهم: الشيخ عبد الكريم عويضة[133]، والشيخ رشيد رضا، منشئ وصاحب «المنار»، الّذي درس على

---

(132) محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول..**، مرجع سابق، ص103.

(133) وُلِد **عبد الكريم عويضة** في طرابلس، وتعلّم على الشيخ حسين الجسر، ثمّ سافر إلى القاهرة حيث التحق بالجامع الأزهر وقضى عدة سنوات ملازما الدرس والتحصيل...ثمّ عاد إلى طرابلس ليمارس التعليم وإلقاء الخطب والدروس في الإصلاح الديني الاجتماعي والتفسير والحديث...، مدّ يد العون إلى الشيخ صبحي الصالح، فأرسله على نفقته إلى الأزهر الشريف، ومن ثمّ إلى جامعة السوربون(Sorbonne) في فرنسا... تُوفيّ عام 1955'. سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص522. ومحمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول..**، مرجع سابق، ص106.

الشيخ حسين الجسر، العلوم العربية والشرعية والعقلية[134]، وفضيلة الشيخ أمين عز الدين[135]، قاضي طرابلس، والشيخ إسماعيل الحافظ[136]، والشيخ عبد القادر المغربي[137]، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، الشيخ عبد المجيد

---

(134) رشيد رضا: **المنار والأزهر**، مطبعة المنار، القاهرة، مصر 1353هـ/1934، ص141. والشيخ **رشيد رضا** (1282هـ/1865م ـ 1354هـ/1935م)، هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة «المنار»، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. وُلِد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلّم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف والمجلاّت. أشهر آثاره مجلّة «المنار»، أصدر منها 34 مجلداً، وتفسير لقرآن الكريم، طُبع منه أثنا عشر مجلّدا ولم يكمله، ويسر الإسلام، والخلافة أو الإمامة العظمى. خير الدين الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء السادس**، ص361ـ362. وأنيس الأبيض: **الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس** خلال القرن التاسع عشر، منشورات جروس ـ برس، طرابلس لبنان 1985، ص24.

(135) **الشيخ أمين عزالدين**: زاول التدريس لمدة قصيرة في المدرسة الرسمية، وبعدها امتهن المحاماة، تولّى القضاء الشرعي، ثمّ رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية في طرابلس. محمد نورالدين عارف ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، 105 و 107.

(136) الشيخ **إسماعيل الحافظ**: هو " إسماعيل بن عبد الحميد بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ أحمد الأحمدي الملقّب بالحافظ، نسبه إلى قبيلة بني أحمد، المولود في قرية بني أحمد التابعة لمديرية المنيا في مصر، والذي امتاز بقوّة الذاكرة الحافظة واستظهار الكثير من متون العلم وأصوله، حتّى يُقال إنّه حفظ غيبا القرآن الكريم وصحيح البخاري بأسانيده. والشيخ إسماعيل تلميذ الشيخ حسين الجسر، قضى حياته في الوظائف الدينية العالية خارج طرابلس، «حيث شغل حتّى تاريخ انسلاخ البلاد العربية عن السلطنة العثمانية عضوية المجلس الإسلامي الأعلى في العاصمة استانبول، وعضوية المنتدى الأدبي فيها. وبعد الحرب العالمية الأولى انتقل إلى طرابلس وتعاطى المحماة، ثمّ انتقل إلى القدس وتولّى فيها رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية حتّى قبيل ولادة دولة إسرائل بقليل، ليعود بعدها إلى طرابلس ويتقاعد عن العمل حتّى وفاته». محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، 104و105.

(137) كان الشيخ **عبد القادر المغربي**: من أشهر علماء طرابلس في القرن العشرين. " وُلِد في طرابلس، وتعلّم على الشيخ حسين الجسر، وأتقن اللغة العربية كل إتقان،...، سافر في إلى الأستانة حيث تلقّى دروسا على الشيخ جمال الدين الأفغاني.وعندما عاد إلى طرابلس أخذ يعارض سياسة السلطان عبد الحميد الثاني، فلاحقته الإدارة العثمانية، مما اضطره إلى الهروب إلى مصر حيث التحق في عداد محرري جريدتي «الظاهر» و«المؤيد» المصريتين... بقي في القاهرة حتّى إعلان الدستور العثماني عام 1908م. ثمّ عاد إلى طرابلس وأصدر جريدته "البرهان"، وأخذ يناضل في سبيل الإصلاح وتحرير المرأة المسلمة من قيود الجهل، وكان من دعاة رفع الحجاب، فقاسى في ذلك الكثير من مظالم ذوي اضطهاد علماء زمانه ورجال الدين المحافظين... وعندما اشتدّت عليه الحملة بسبب آرائه الحرّة... رحل عن طرابلس واستوطن في دمشق. وفي أيام الحرب العالمية الأولى رأس بأمر من جمال باشا تحرير جريدة " الشرق"، وبعد انتهاء

المغربي[138] والشيخ محي الدين عبس[139] وجرجي ينّي[140] وغيرهم، ونجله الشيخ محمد يمن الجسر رئيس مجلس النواب اللبناني (1926ـ1932). ويقول الشيخ رشيد رضا الذي درس في المدرسة الوطنية وتتلمذ على الشيخ حسين الجسر: "دخلت المدرسة الوطنية الإسلامية، وهي أرقى من المدرسة الرشدية، وجميع التعليم فيها باللغة العربية إلاّ اللغتين التركية والفرنسية، وتُدرّس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية. وكان أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الأزهري هو المدير لها بعد أن كان الّذي سعى هو لتأسيسها، لأنّ رأيه أنّ الأمة الإسلامية لا تصلح وترقى إلاّ بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوربية مع التربية الإسلامية الوطنية تجاه التربية الأجنبية في مدارس الدول الأوربية والأميركانية..."[141].

وفي عام 1882، وبعد عزل مدحت باشا من رئاسة الوزراء العثمانية (الصدارة العظمى)، قوِيَ التيّار المحافظ المعادي للحركة الإصلاحية العثمانية ونهضتها التعليمية والثقافية. فأُقفِلَت معظم المدارس الّتي طبّقت المناهج الجديدة، ومنها «**المدرسة الوطنيّة**» في طرابلس. وبعد إقفال مدرسته، انتقل الشيخ حسين

الحرب، انصرف للتدريس في الجامعة السورية، وشغل عضوية المجمعين العلميين في كلّ من دمشق ومصر، له عدّة مؤلفات في اللغة العربية والقضايا الاجتماعية. سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص532. و محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 106 و 107.

(138) تولّى الشيخ **عبد المجيد المغربي**، زمنا طويلا، أمانة الفتوى في طرابلس حتّى نحّاه عنها الفرنسيون بسبب معارضته لهم. اشتهر بإضطلاعه الواسع في علم الفرائض، وترك في هذا العلم عدّة أبحاثٍ مطبوعة. كان خطيبا مفوّها، إذا تكلّم بموضوع تمنّى السامع أنْ لا يسكت. محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 107.

(139) وُلد الشيخ **محي الدين عبس في** ميناء طرابلس(الأسكلة قديما ومدينة الميناء حاليا)، «تلقّى العلم على الشيخ حسين الجسر...، اتخذ التدريس مهنة، وكان من حفظة القرآن الكريم، ترك مجموعة شعرية فُقدت بعد وفاته عام 1945». سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، المرجع السابق، ص547.

(140) جرجي يني: هو الكاتب والمؤرخ، وصاحب مجلّة «المباحث»، وُلد وتعلّم في طرابلس، وضع تاريخا لسورية، يُعدّ من أوفى المراجع في نوعه آنذاك، صدر عن المطبعة الأدبية في بيروت، عام 1881. اشترك مع أخيه صموئيل في تحرير مجلة «المباحث»، حيث أخذا على عاتقهما نشر البحوث التاريخية العلمية، والمواضيع الجديدة والنادرة في حينها.سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، المرجع السابق، ص545-546.

(141) شكيب أرسلان: **الشيخ رشيد رضا وإخاء أربعين سنة**، دمشق 1927، ص 26.

إلى بيروت، حيث استلم إدارة المدرسة **السلطانية** التابعة لجمعية **المقاصد الإسلامية الخيريّة**، الّتي لم يشملها قرار الإقفال، كالمدارس الأخرى، لأنّها لم تكن تنتمي إلى برنامج التنظيمات للإصلاح والتحديث. ولأنّ أعضاء مجلس إدارتها كان لهم نفوذٌ واسعٌ في اسطنبول آنذاك[142]. وهناك التقى بالشيخ محمد عبده المنفي من مصر،الّذي كان يدرّس فيها كأستاذ زائرٍ، وبأحمد عباس الأزهري مؤسس الكلية الإسلامية[143].

وفي بيروت، مكّنه بقاؤه فيها، من قراءة معظم الكتب المتوفّرة باللغة العربيّة آنذاك، والمترجمة إلى اللغة العربية في الكليّة **الإنجيلية السورية** (الجامعة الأميركية لاحقاً)، وخصوصاً المترجمة في مجالات الطب والطبيعيات والأحياء والفيزياء، ومقابلة العلماء البيروتيين، وحضور المناقشات والندوات والمؤتمرات[144].

آثاره الفكرية ومؤلفاته

عندما عاد الشيخ حسين، عام 1882، إلى طرابلس للتعليم فيها، أخذ بتأليف الكتب الّتي كان بعضها، على الرغم من تعاليمه الإصلاحية، ذات طابعٍ إسلامي. فلقد ترك من الآثار الثقافية والكتب المطبوعة وغير المطبوعة ما يزيد على الخمسة عشر مؤلفاً. وأشهر المطبوع منها[145]: **نزهة الفكر في مناقب مولانا العارف بالله تعالى قطب زمانه وغوث أوانه الشيخ محمد الجسر**، (المطبعة الأدبية 1888)، الّذي كان باكورة أعماله التأليفيّة، تكريماً لوالده الشيخ محمد وسيرة حياته الصوفية العلمية؛ و**الرسالة الحميديّة في حقيقة الديانة**

(142) حسين الجسر: **نزهة الفكر**....، مصدر سابق، ص139؛ وعبد الله سعيد: الشيخ محمد الجسر...، مرجع سابق، ص 45.

(143) صبحي صالح: **نثر اللآلي**، طرابلس 1956، ص 11– 12.

(144) حسين الجسر: **الرسالة الحميدية**...، تقديم خالد زيادة، ص 11.

(145) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس**...، مرجع سابق، 168 و 169؛ محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك: **ولاية بيروت، القسم الشمالي**، مرجع سابق، ص257 و 258؛ وسميح الزين: **تاريخ طرابلس**..، مرجع سابق، ص 474؛ وأنيس الأبيض: **الحياة العلمية**...، مرجع سابق، ص 333

الإسلامية و حقيقة الشريعة المحمّديّة(المطبعة الأدبية 1888)، الّتي تُرجمت إلى اللغات التركية والفرنسة و«أردو» الباكستينية. ولقد جاء هذا الكتاب دفاعاً عن الإسلام ديناً وشريعةً، وكان الهدف منه الإثبات أنّ الإسلام هو لكلّ زمان ومكان، ولا يُناقض العلوم الحديثة. و**الهدية الحميدية لمحافظة العقائد الإسلامية**، و**إشارة الطاعة في حكم صلاة الجماعة**، (مطبعة البلاغة 1891) و**البدر التمام في مولد خير الأنام** (مطبعة البلاغة 1897)، و**مهذّب الدين**، و**الذخائر في الفلسفة الإسلامية**، و**علم تربية الأطفال سعادة النساء والرجال**. وبعد زيارته الأولى لاسطنبول، عام 1894، بدعوةٍ من السلطان عبد الحميد الثاني، ألّف كتابه:**الحصون الحميدية في قصر يلديز**. يضاف إلى هذه المجموعة من الكتب الدينية والفلسفية المطبوعة، مقالاته في جريدة «**طرابلس**»، وقد جُمعت وطُبعَت تحت عنوان **رياض طرابلس الشام**، فبلغت عشرة مجلدات، وهي مقالاتٌ في مختلف المواضيع، وكلها بليغة العبارة غزيرة المادة عميقة الأبحاث.أمّا مؤلفاته غير المطبوعة فأشهرها: **الجوهر المكنون**، و**الكواكب الدرّية في الفنون الأدبية**[146]. وهو من أبدع ما كُتِب وأُلِّف في الأدب العربي لأنّه يبحث في علم البديع والعروض والإنشاء.

نظم الشعر الرائع، وهو ابن سبع عشر سنةٍ[147]. وكان من أوّل منظوماته مقطعٌ غزلي قال في مطلعه:

أقول لشادن[148] والناس سكرى   بما قد حاز من زهرٍ وزهرِ
ألا يا بدر لو تُصغي لحالي   إذن لعذرتني وحمدت أمري

---

(146) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**، مرجع سابق، ص169.

(147) المرجع السابق، ص 169 و 170.

(148) شادن هو ولد الغزال والظبية.

كما نظم القصائد الواسعة الشهرة، والمقاطع الطنّانة في سائر مواضيع الشعر، وبلغ ما يُحفظ له أكثر من ثلاثة عشر ألف بيتٍ من الشعر المنتخب.

ومن ألطف شعره الأدبي في التورية[149]:

وشريف ســـاق فعـــلاً حسنـــاً ثمّ أبدى سيئـــاً طول الزمن
كلّمـــا رمت مجـــازاة لـــه بقبيـــحٍ ذكرت نفسي الحســـن

وقال في التورية المهيأة[150]:

نزل اليراعُ على الصحيفة واغْتَدَت[151]
يُذري عليها الرملَ حتّى ظَلّلَت
فكأنّه زوجٌ لها سكن الثّرى لبِسَت عليه حدادَها وترمّلَت

ومن بديع[152] وجميل غــزَله:

يا قمراً ضاء به الغيهَبُ[153] أوجَهُك المشرقُ أم زينبُ
تلك الّتي عند عذيب اللقا أظمأ قلبي ثغرها الأشنبُ[154]
وعن شذا الزهر روى ثغرها أيّ حديث نشرُهُ طيّبُ

وقال في قصيدةٍ حماسية:

تُركيّةُ اللحظ ولكن إلى آل صباح وجهُها يُنسبُ
تروي عن ألبانة أعطافِها[155] حديـــثَ لهـــنّ كلّـــه معجبُ

---

(149) التورية هي مصدر ورّى، وهي في البديع أن يؤتى بلفظ له معنيان، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويُراد به البعيد ويورّى عنه بالقريب، أي يُستَعار عنه بمعنى آخر، ويُقال له أحيانا الاستعارة.

(150) الموافقة، أو الإبدال الموافق. والمهايأة عند البديعيين، هي أن يُطلق لفظٌ له معنيان أحدهما قريبٌ والآخر بعيدٌ، فيُراد بالبعيد منهما، ويورّى عنه أي يُستَعار عنه بالقريب.

(151) اغتدت اغتداء: أي بكّرت.

(152) البديع في الأدب والشعر من العلوم العربية، وهو علم يُعرف به أساليب ووجوه تحسين الكلام.

(153) الغيهب الظلمة والليل الشديد السواد.

(154) الأشنب: هو الأبيض الأسنان ورقيقها، وحسنها.

العـــزُّ يشري بالنفـــوس فيُحْمَــلُ والذلّ لا يرضى به من يعقلُ
والموتُ في ظلّ الصوارم[156] والقنا عين الحياة صفا لديها المنهلُ
يَستَعْذِبُ البطـــلُ الكَمِيُّ[157] وروده ويُوَدُّ لو منه يَعِلُ[158] وينهلُ
والعيشُ في ظلّ الجبانَةِ قد غــــدا مرُّ المذاقِ يَقِلُّ عنه الحنظلُ[159]

وله قصيدةٌ عامرةٌ في محاسن طرابلس ومنتزهاتها عدد أبياتها 106، تُعتَـــبر من درر الشعر وبديعه، نقتطف منها هذه الأبيات[160]:

يـــا قاصداً داراً بهـــا يطربُ فؤادُهُ دونَكَ مـــا تطلبُ
عرّج على الفيحاءِ واقصدْ بها منازِهاً عيشي بها طيّبُ
منـــازل تبسِمُ عن بهجـــةٍ وثغرُهـــا عن فـــرحٍ أشنبُ
يسلو بها الصبُّ جمال الدُمى ينشدُ ما دعدُ ومـــا زينبُ

وتتجلى القمة الروحية الصوفية في شعر الشيخ حسين الجسر في كتابه، المنظومة المولديّة[161] المسمّاة «البدر التمام في مولد الأنام»، الّذي نشره عام 1898م. وهو كتابٌ يتضمّن قصّة المولد النبوي بشعرٍ منظومٍ، ومما جاء في مقدّمته[162]:

حمداً لمنْ بعثَ النبي رحيما
بالمؤمنيـــن وزادَهُ تكريمـــا

---

(155) البانَة: واحدة البان، في الأصل، شجرة من فصيلة البانيّات ذو أوراق طويلة، بيضاء الزهر، وهنا يقصد بها الفتات الجميلة الممشوقة القوام.أعطافها: جانبيها.

(156) الصوارم: السيوف القواطع.

(157) البطل الكَميُّ:أي الشجاع، أو لابس السلاح الواقي.

(158) يعلّ وعلّ: شَرِب بعد الشربة الأولى مرّة ثانية وثالثة، أو سقاه بعد الشربة الأولى ثانية وثالثة.

(159) الحنظل: نبات يمتدّ على الأرض كالبطيخ، ثمره يسمّى بالهميد يشبه ثمر البطيخ، إلاّ أنّه صغير جدّا، وهو شديد المرارة يُضربُ به المثل.

(160) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**، مرجع سابق، ص 170.

(161) ذكرى مولد النبي محمد الشريف.

(162) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت**، مرجع سابق، ص 250.

أنشأه من أصلِ زها[163] تفخيما

وأنارَ فيه الكائنـــات عمومـــــا

صلّوا عليه وسلّمـــوا تسليمـــــا

أهــــلاً ببهجَتِهـــا وغرّةِ فجْرِهـــا

أهـــلاً بحكمَتِهـــا ونقطةِ سرِّهـــا

أهـــلاً بختـــمِ المرسَلينَ عمومـــا

وقد أضاف بعض الأبيات الشعرية المصنّفة قدوداً لتُنشَد في أثناء تلاوة المولد، قائلاً[164]:

أضـأتُمُ شُموساً بأفْقِ الحجازِ

وفيكُمُ أنارَتْ قلوبُ العبادِ

هداكُمُ دعانا لخيرِ المجازِ

ففزْنا جميعاً ونِلْنـــا المرادَ

إليكُمُ شكونا صروف[165] الزمانِ

وجورَ الرزايا وظلمَ الطَغَام[166]

وفيكُمُ رجونا بلوغَ الأمانِ

ونَيْلَ الأماني بدارِ السّلامِ

فيا آلَ طه[167] أغيثوا الدّخيـــلَ

ومُنّوا بوصلِ شفاءِ القلوبِ

بجاهِ التّهاميّ[168] العظيمِ الجليلِ

---

(163) زها: أشرق ونما وزاد.

(164) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت، مرجع سابق، ص 251 و 252.

(165) صروف الزمان: مصائبه ونوائبه.

(166) الرزايا: أرذال الناس، والرذّال هو الرديء في كلّ شيء؛ والطغام: هم أوغاد الناس وأوباشهم والحمقى منهم.

(167) طه هي بمعنى رجل في اللغة الحبشية، هو كنية النبي محمد أطلقها عليه أهل الحبشة (أثيوبيا) عندما استنجد بهم الرسول العربي.

شفيعُ البرايا[169] بيومِ الكَروبِ[170]

أخلاقه ومآثره الإجتماعية

ولقد كان الشيخ حسين في طرابلس من أكابر رجالاتها وعلمائها بعلمه وسعة معرفته واطلاعه، وغزارة إنتاجه الفلسفي والروحاني الديني والفكري الأدبي. كما كان عضدها الممتاز بسعة صدره وحلمه، وكانت داره تزدحم دائماً برجال الوجاهة والفضل والأدب من سائر الملل، وكان بعيداً عن التعصّب، داعياً إلى المحبة والتآلف بين أبناء الوطن، والحادثة الآتية الّتي يرويها عبد الله نوفل تؤكّد ذلك:

«تشاجر يوماً مسلمٌ ومسيحيٌّ، فقتل المسيحي المسلم، فاستاء بعض المسلمين، وخوفاً من الفتنة تدارك المترجم الأمر في اليوم ذاته، وكتب مقالة إضافية في جريدة «طرابلس» حضّ فيها على نزع بذور الشحناء والعدول إلى التحابب والتآلف بين أبناء الوطن الواحد، ورصّعها بالآيات والأحاديث الشريفة والحكم الرائعة من قلمه البليغ قائلاً: إنّ المسيحيين هم أخوانٌ لنا في السرّاء والضرّاء، وكنت إذ ذاك في أوائل الشباب، فثَمِلْتُ(سَكِرْت) بخمرة تلك المقالة الرائعة، ودهشت لمعناها ومبناها ولِما كان من تأثيرها الحسن عند الطائفتين، فنظمت في مدح منشئها هذين البيتين:

يا جسر إنّك بالحقيقة مفردٌ بعلومــه وبذاتــه وصفــاته
لو أنشأ الرحمن مثلك نافذا ارتدّ باغي الشرّ عن حركاته»[171]

---

(168) التِّهاميّ: هو المنسوب إلى تهامة في بلاد الحجاز، وتهامة بالأصل هي سهل ساحلي ضيق غربي جزية العرب، محصورٌ بين جبال السّارة والبحر الأحمر. ولكن المقصود بها هنا مدينة مكّة المكرّمة.

(169) البرايا:هي جمع البريّة أي الخلق والبشر.

(170) الكروب:جمع كَرب أي الحزن.

(171) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس**...مرجع سابق، ص 171 و 172.

... ويتابع عبد الله نوفل مدحه للشيخ حسين الجسر قائلاً: " وذهبت مع صهري لداره فرأيناها مكتظّةً بأفاضل القوم للثناء على غيرته وفضله، فقدّمت إليه البيتين فسُرّ بهما، وأجابني بردّ الله مثواه:

ما عملت يا بني إلاّ الواجب وما يأمر به دين الإسلام، وأنت حفظك الله أكبرت علمي وأثنيت على الواجب. فيا لله ما أشرف تلك النفس وأكرم أخلاقه"[172].

ومما يدل على تواضعه وكرم أخلاقه، هو حسن تربيته لأولاده، ولاسيّما الشيخ محمد الّذي يروي الحادثة التالية، عن صرامة تربية والده الشيخ حسين قائلاً: كانت من عادة والدي، أن يفتح الطابق الأرضي في منزلنا، في حي «بوابة الحدادين» في طرابلس، طيلة شهر رمضان، للفقراء والمحتاجين، كلّ سنةٍ في الإفطارات الرمضانية. وكان الشيخ حسين يتناول الطعام، بنفسه معهم، جلوساً على «طبليات» (طاولات صغيرة). وكنت أنا (القول للشيخ محمد)، في طبيعة الحال، في مطلع شبابي أشارك في هذه الإفطارات، وع الفقراء والمحتاجين، ولا أستطيع التغيّب، أو الاعتذار. وذات يومٍ، صادف أنْ دخل إلى حفل الإفطار أحد الشحّاذين، وجلس بثيابه الممزقة والرثّة والوسخة، وجلس بقربي، فتضايقت من منظره ورائحة ثيابه العفِنَة والمزعجة، وطلبت، بالسر، من الخادم في منزلنا، بأنْ ينْقُل صحني إلى مكانٍ آخر في الغرفة، بعيداً عن ذاك الشحّاذ. لاحظ والدي، الشيخ حسين، تصرّفي هذا، ولم يُعْجِبْه الأمر، فنهرني قائلا لي:«محمد! أبقَ جالساً مكانك ولا تتحرّك، فهذا الرجل قد يكون عند ربّك أفضل منك، لا أنت تحدد مكانته ولا تقديرك له، ولا قربك أو بعدك عنه. عندها خضعت لأمره، ومشيت على خطاه في تربية أولادي»[173].

---

(172) المرجع نفسه، ص 172.

(173) محمد الجسر: **تاريخ حياة الشيخ حسين الجسر**، مصدر سابق، ص 71.

ولقد حقق كتاب الشيخ حسين الجسر "**الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية...**"، شهرة إضافية وواسعة له، حيث انتشرت سمعته العلمية الطيّبة في البلاد السورية وجوارها، وفي مصر وفلسطين. وبسبب هذه الشهرة الّتي نالها كتابه هذا، دعاه السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1894، إلى العاصمة استانبول، حيث أقام الشيخ حسين في العاصمة العثمانية، تسعة أشهرٍ لأول مرةٍ، ثمّ عاد، بعدها، إلى طرابلس، وأسس مع صديقه محمد كامل البحيري جريدة «**طرابلس**» الأسبوعية المساندة لسياسة السلطان عبد الحميد، والمدافعة عن الخلافة وعن الجامعة الإسلامية. ولقد تولّى الشيخ حسين بنفسه رئاسة تحرير هذه الصحيفة حتّى وفاته سنة 1909، فتسلّم رئاسة تحريرها ابنه الشيخ محمد[174].

عاود الشيخ حسين زياراته المتكررة إلى استانبول. ولكنّه كان يمضي أكثر أيامه في طرابلس حيث اشتغل في تدريس العلوم الدينية والفلسفة والعلوم العامة في جامع «طينال» وفي عام 1901، أصر السلطان عبد الحميد على استضافته في قصر «يلديز»، لمدّة سنة كاملة. فذهب وألّف هناك كتاباً في التوحيد سمّاه «**الحصون الحميدية**» في قصر «يلديز». وقد بحث الشيخ حسين في هذا الكتاب عن الشبهات الدينية، وهو كتاب يجمع بين الفلسفة الحديثة والأسس الروحانية. وقد تُرجم إلى اللغة التركية العثمانية بقلم «يابان زاده مصطفى ذهني باشا»[175]. وكان أولاد الشيخ محمد الجسر يتحدثون باعتزاز عن نزول والدهم ضيفاً في قصر السلطان عبد الحميد الثاني.

ظلّ بعيداً عن الاشتغال في السياسة الداخلية والخارجية، فلم يقبل منصباً، كما رفض البقاء في كنف السلطان عبد الحميد وتحت رعايته الخاصة خشية أن يمسّ دينه وشرفه بشائبةٍ. ومع هذا كان له مذهبٌ سياسي خاص عَرَفه خواصه

---

(174) عبد الله سعيد: **الشيخ محمد الجسر...**، مرجع سابق، ص46.

(175) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت، القسم الشمالي**، مرجع سابق، ص257و258.

به[176]، وشرحه كبير أولاده سماحة الشيخ محمد الجسر في المخطوطة غير المنشورة للترجمة المفصّلة لأعمال أبيه وفلسفته ومذهبه وتصوّفه ونهجه في تربية أولاده[177]. ولقد جمع الشيخ حسين بين العلوم الدينية والعلوم العصرية، وتتطرق إلى شتى الموضوعات الدينية التوحيدية في سبيل الدفاع عن الإسلام واثبات وجود الله وما يتفرّع عن ذلك من قيم ومبادئ. فكان أشبه بالغزالي، إلى أي عالم آخر، ففي حين" كان الغزالي يؤمن بحقائق العلم الّتي تقوم على البراهين، ويستنكر القول بمنافاتها للدين، ويهاجم المنكرين الّذين يحسبون أنهم بهذا ينصرون الدين، ويعتبرهم من أشدّ الناس إضراراً بالدين. فإنّ الجسر يشدد النكير على علماء الدين الّذين لا يعترفون بحقائق العلم، ويعتبرهم عقبة في سبيل الإيمان لجهتهم قواعد الدين وأصوله وعدم مقدرتهم على التوفيق بين نصوص الدين والأدلة العقلية القاطعة"[178]. فالغزالي وضع كتابه" **تهافت الفلاسفة**"، والشيخ حسين الجسر وضع "**الرسالة الحميدية**". ويعتبر ابنه نديم أنّ الفرق بينهما يكمن في أمرين؛ الأول: أنّ الغزالي خص كلامه في التهافت على رد بعض أقوال الفلاسفة، ونم تناول رأي الماديين الطبيعيين المنكرين لوجود الله. الثاني: بينما وجد الشيخ حسين أنّ المذهب المادي أخذ ينتشر بفضل بعض العلماء الماديين في القرن التاسع عشر، فلذلك وجه كلامه في **الرسالة الحميدية** إليهم، وهاجم الآراء الّتي تنكر وجود الخالق، وتدّعي بأنّ الحياة إنّما نشأت من الجماد بالتولّد الذاتي. وهو ما عبّر عنه مذهب النشوء والإرتقاء أو النظرية "**الداروينية**" نسبة إلى تشارلز داروين Charles Robert DARWIN، وهذه الآراء لم تكن موجودة أيام الغزالي[179]. لذا دافع الشيخ حسين عن العقيدة الإسلامية ضد ما اعتبره أنّ النظريات العلمية الحديثة آنذاك يمكن أن تحمل معها بعض التشكيك في جوهر الشريعة الإسلامية، ونتيجة لمواقفه المدافعة عن العقيدة

(176) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس...**، مرجع سابق، ص 170.

(177) محمد الجسر: **تاريخ حياة الشيخ حسين الجسر**، مصدر سابق.

(178) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق،ص 271.

(179) نديم الجسر: **قصة الإيمان**، طرابلس 1961، ص 195 و 196.

الإسلامية لقّبه البعض **بأشعري** زمانه.كما كانت له آراء في ماهية الروح والحياة والعقل وقوى النفس، التي كان يعتبر أنّها مازالت غامضة آنذاك على أفكار العلماء وأذهان الحكماء، ولم تُكشَف خباياها، وغاية الماديين والمدعي لكشفه أن يأتوا بكلام غامض عام لا يشفي الغليل. لأنّ ستر هذه الحقائق عن العقول البشرية ما هي إلاّ إعجاز من الله الذي وحده خلق الإنسان ومكنوناته المادية والعقلية والروحية والنفسية، وبذلك التقى مع تطلّعات جمال الدين الأفغاني الذي كتب رسالة في الهند للردّ على الدهريين، أي الطبيعيين والملحدين والماديين(180).

نظرته في الإصلاح السياسي

ولم تكن للشيخ حسين "آراء محددة في القضايا السياسية المتلاحقة. وبشكل عام فقد التزم جانب الدفاع عن الدولة العثمانية الّتي تمثل مَلَك الإسلام ضد خصومها من الغربيين. وينطلق في موقفه هذا من مبدأ شرعي وهو الولاء للخليفة ومبدأ عملي وهو الوقوف إلى جانب الأمة في صراعها مع أعدائها. إلاّ أنّ الشيخ الجسر لم يكن منخرطاً في سياسات عصره، كذلك فإنّه رفض أن ينضمّ إلى حاشية السلطان، والدليل على ذلك الرسائل التي بعث بها الشيخ أبو الهدى الصيادي والّتي رفض ما تتضمنه من دعوةٍ للإلتحاق ركب السلطان "(181).

وكانت له آراء في الإصلاح السياسي، حيث دعا إلى المساواة بين أفراد الأمة الإسلامية في الحقوق والوظائف دون تمييز ديني أو عرقي. لذلك نصح المصلحين العثمانيين بالمبادئ التالية (182):

- الحفاظ على الخلافة الإسلامية في بني عثمان، شرط أن يكون بينهم وبين العرب علاقات وعهود ولاء، ومواثيق توحيدية تجعلهم كتلة واحدة.

---

(180) حسين الجسر: الرسائل الحميدية...، مصدر سابق، ص 214 و 215 و 266 وأيضاً تقديم خالد زيادة، ص 16.

(181) المصدر السابق، من تقديم خالد زيادة، ص 1.

(182) المصدر السابق، ص 43ـ 51؛ ويراجع أيضا محمد درنيقة: **الطرق لصوفية**...، مرجع سابق، ص 272.

- إصلاح بلاد الحجاز وجعل إدارتها منتظمة، وذلك عن طريق تحضير القبائل العربية والإسلامية المتواجدة في تلك البلاد.
- الإصلاح الديني على نطاق السلطنة العثمانية ككل، ويتمّ ذلك من خلال محاربة البدع والخرافات العالقة في الطقوس والقشور الدينية والقضاء عليها.

وكان يأمل الكثير من تحديث السلطنة وعمرانها بحيث تتقارب الأقاليم الإسلامية[183]. ومما يدلّ على بعد وعمق نظرته التجديدية في فنون السياسة والاقتصاد، ما كتبه في العدد العاشر من جريدة طرابلس الصادر في 15 أيار سنة 1893 بلزوم إنشاء **خطٍ حديدي** من الشاطئ الأسيوي على البوسفور حتّى ينتهي في دمشق، ومثله خطّ حديدي من البصرة ماراً ببغداد وينتهي في دمشق، ويمتدّ منهما خطٌ حديدي يصل الشام بمكة وبالديار اليمنيّة، مبيّناً فوائدها السياسية والعمرانية، محذّراً من مدّ يد الأجانب إلى إنشائهما. وبذلك يكون قد سبق السياسيين الألمان الّذين افتكروا بإنشاء خطّ استانبول – بغداد عام 1897، كما سبق، بتسع سنين، فكرة السلطان عبد الحميد بإنشاء خطّ سكّة الحديد من اسطنبول إلى الحجاز الّتي أعلنها سنة 1902، ولم يكن للخطّين حديثٌ في عالم السياسة والاقتصاد زمن الشيخ حسين الجسر آنذاك[184]. وكان يهدف من هذا الإقتراح إلى توحيد شعوب السلطنة العثمانية وتسهيل اتصالها وتمتين تعارفها، وذلك من خلال ربط البلدان الإسلامية والعربية بعضها ببعض بشبكة من الخطوط الحديدية، يكون مركزها الأستانة عاصمة السلطنة.

لذا يُعتبر "الشيخ حسين الجسر مفكراً إسلامياً من الطراز الأول، وقد انطبعت بعض مؤلّفاته بمسحة فلسفية كلامية، وقد مكّنه من ذلك اطلاعه العميق على أصول وأعمال الفلسفة والمتكلمين والفقهاء"[185]. بالإضافة إلى ذلك كان الشيخ حسين مفكراً تربوياً واجتماعياً، حيث كان يُؤمن بأنّ تربية الأجيال الجديدة

---

(183) حسين الجسر: **الرسالة الحميدية...**، مصدر سابق، تقديم خالد زيادة، ص 14.

(184) عبد الله نوفل: **تراجم علماء طرابلس**...مرجع سابق، ص 171.

(185) حسين الجسر: **الرسالة الحميدية...**، مصدر سابق، تقديم خالد زيادة، ص 12.

وتعليمها هو أعظم المهمات الّتي يمكنها أن تؤدّي إلى تقدّم الشعوب ورقيّها. كما اعتبر التربية والتعليم أساسين لطريق النهضة وإصلاح المجتمع(186). فمنذ سنواته العلمية المبكرة برز اهتمامه بالتربية، وذلك حين أنشأ المدرسة الوطنية التي خرّجت المتعلمين المتنوّرين من المسلمين المنفتحين على علوم ومعارف عصر التنوير الأوروبي. كما تجلّى اهتمام الشيخ حسين بالتربية والتعليم من خلال الكتاب الذي نشره، على حلقات، في الأعداد الأولى من جريدة "**طرابلس الشام**"، تحت عنوان: **تربية الأطفال سعادة النساء والرجال وعموم الشعب في المآل**(187).

وهكذا "أتيح للشيخ حسين أن يُمسك بيديه جميع أساليب الهداية والإرشاد بحذافيرها، ونجح في كل منها نجاحاً...كبيراً... حيث لم يسبق لأي عالم ديني، في بلاد الشام أو في مصر، أن جمع كل طرق الهداية والإرشاد والتعليم والتهذيب والتصوّف على اختلاف أنواعها وأساليبها، كما اجتمعت للشيخ حسين الجسر"(188). فهناك عالم اشتهر بالتأليف، وآخر بالتدريس في المساجد، وثالث بالتعليم الجامعي، ورابع بالإرشاد والوعظ، وخامس نشر فلسفته ومواعظه عن طريق الصحافة...إلخ. أمّا الشيخ حسين فقد أتيح له أن يجمع كل هذه الطرق والأساليب مجتمعة كلّها معاً في آن واحد. وإنّ كل من يتصفّح مقالاته في جريدة "**طرابلس**"، يقف على منهج مذهب فلسفته، واتجاه فكره التقدّمي المتحرر والمتطلّع إلى الأخذ بالعلم في كل الأمور الفلسفية والعلمية والأدبية، وإلى نبذ الخرافات والإعتقادات الخاطئة التي لا تقوم على المنطق والمفهوم العلمي الصحيح. من هنا اعتبر الشيخ حسين بحق موسوعة علم وفكر وأدب، لم تشهد طرابلس في تاريخها عالماً ومفكراً مثله(189).

---

(186) حسين الجسر: **الرسالة الحميدية**...، المصدر السابق، تقديم خالد زيادة، ص12ــ 13.

(187) حسين الجسر: **رياض طرابلس الشام**، المجلد الأول، ص 24.

(188) عمر عبد السلام تدمري: **تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك، من الفتح المنصوري حتى الآن (688-1394هـ/1289-1974م)**، الطبعة الأولى، دار البلاد للطباعة والإعلام، الشمال ــ طرابلس 1974، ص 182.

(189) عمر تدمري: **تاريخ وآثار مساجد**...، المرجع السابق، ص 182.

وهكذا، فبالرغم من أنّ الشيخ حسين، كان في طرابلس، من المدافعين الأوائل عن العلوم الشرعية، وتدريس الأدبيات والتعاليم الإسلامية، لكنّه كان رائد العلوم التجريبية، وتحديث البرامج التربوية والتعليمية على امتداد ولايات السلطنة العثمانية، ومن الداعين أيضاً إلى قراءة الفلسفات الأوروبية الحديثة، ودحضها من خلال علوم الشريعة الإسلامية.

زوجاته وأولاده

تزوج الشيخ حسين، في حياته، أربع نساء: ــ الأولى، هي جميلة رعد، تزوجها في 15 ذي القعدة سنة 1284هـ/ 1876م، إلاّ أنّ ضعف جسدها منعها من تحمّل أعباء ثقل الحمل، فكانت تُجْهِض كلّما حمِلَتْ، أو تضع وتولِد أولاداً ضعاف البنية ما يلبثون أنْ يموتوا حديثي الولادة... ولمّا تيقّن من استحالة معالجتها لتنجِب له ولداً يبقى حيّاً، تزوّج امرأةً أخرى مع الاحتفاظ بالأولى. وكانت الزوجة الثانية هي رقيّة ابنة عبد السلام الحلاّق من صيدا، وهي والدة الشيخ محمد. جمع الشيخ حسين بين زوجته الأولى والثانية، ولكن بعد ثلاث سنوات طلبت زوجته الأولى جميلة رعد الطلاق فاستجاب لطلبها. أمّا الزوجة الثالثة فهي سكينة ابنة الشيخ عبد الحميد الرافعي الطبيب الطرابلسي المعروف والشهير آنذاك. اقترن بها بعد وفاة زوجته الثانية، فأنجبت له أولاده: فاطمة ونديم وعبد الرحمن الّذي تُوفّي شاباً. وأخيرا بعد وفاة زوجته الثالثة، وكانت تقدّمت به السن، قصد ابنه الشيخ محمد إلى اللاذقية حيث كان مديراً ومدرّسا لمدرستها الإعدادية، وعقد قرانه على سيّدة من آل الحكيم لتعيش معه وتهتمّ به في شيخوخته[190].

(190) محمد الجسر: تاريخ حياة الشيخ حسين الجسر، مصدر سابق، ص 17.

وفـــاتـــه

أمضى الشيخ حسين العقد الأخير من حياته يشرف على تعليم أبنائه الثلاثة **محمد ونديم**، و**عبد الرحمن** الّذي مات فتياً. اعتلّت صحته في آخر أيام حياته، وتوفي ليلة الجمعة سنة 1327هـ(1909م) بالغاً من العمر خمسة وستين عاماً.

«رثاه الأديب **حكمت شريف يكن**، صاحب جريدة «**الرغائب**»، بقصيدةٍ طويلةٍ، جاء فيها:

خطب الحسين أرى أم جسرنا انتقضا   أم طود علم لجنّـــات النعيم مضى
أواه من زمنٍ قد دكّ جسر تقى   وهدّ ركناً من الآداب حين قضى»[191].

كما «نظم في رثائه الشيخ **إسماعيل حافظ**، مفتش المحاكم الشرعية في حكومة فلسطين، قصيدةً، من أبياتها ثلاثة أبياتٍ خاطب فيها نجله العلاّمة الشيخ **محمد يمن الجسر**، قائلاً:

أنت يا يمن وارث العلم عنـــه   فخذ التـــاج بعده والقضيبـــا
وقدِ الناس للهدى واعدهــــا   شرعة تترك الجديد خضيبها
أنت يا يمن صنوه في المعالي   إنما يعقب النجيب النجيبــــا

ورثاه أيضا الكثير من الشعراء والأدباء والعلماء، لا مجال للإطالة في ذكر أسمائهم هنا.

مات عن ولدين هما سماحة محمد يمن الجسر الّذي أصبح رئيساً لمجلسي الشيوخ والنوّاب اللبنانيين 1926ـ1932، والقانوني نديم الجسر الّذي شغل منصب مستشار محكمة الاستئناف في بيروت، وعضو المجلس العدلي، وقائمقام قضاء عكار، وقاضي الشرع الشريف في طرابلس.

---

(191) سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، ص 475.

التحوّل

من الإرشاد الديني إلى العمل السياسي

الشيخ محمد يمن الجسر [192]

(1881 – 1934)

تحصيله العلمي

ولد الشيخ محمد الجسر، في طرابلس الشام، في منطقة الحدادين[193]عام 1881. وتلقى تعليمه الأول، في المنزل، على يد والده الشيخ حسين، ثم دخل المدرسة «الوطنية» التي أسسها والده، في طرابلس عام 1880، فدرس اللغة العربية وتعاليم الإسلام والرياضيات، واللغتين العثمانية والفرنسية. وفي سبيل استكمال تحصيله العلمي والديني والأكاديمي، ذهب عام 1890، بأمر من والده، إلى الأزهر الشريف في مصر، فحضر دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية آنذاك[194]. لَبس الشيخ محمد الجُبّة والعمامة وهو في الرابعة عشرة من عمره، ولم يخلعهما أبداً، وذلك بعد أن رافق، عام 1895، والده إلى اسطنبول، ونزلا ضيفين في قصر «يلدز»، عند السلطان عبد الحميد الثاني. وفي اسطنبول، أُطلق على الشيخ محمد لقب «أستاذ اسطنبول»، وذلك عملاً بالتقاليد السلطانية أو البروتوكول السلطاني الذي كان يقضي، آنذاك، بأن يحوز من ينزل

---

(192) للمزيد من التفاصيل عن سيرة حياة الشيخ **محمد الجسر** وأعماله وتطلعاته الإصلاحية يراجع كتاب عبدالله ابراهيم سعيد: **الشيخ محمد الجسر...**، مرجع سابق.

(193) هي إحدى محلاّت طرابلس، تقع في قلب المدينة القديمة وتعتبر بوابتها مفتاح الطريق إلى القلعة باتجاه بيروت.

(194) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر....»، مرجع سابق، ص 55–57.

في ضيافة السلطان لقباً دينياً أو مرتبة علمية ما[195]. وممّا لا شك فيه أن هذا التكريم العثماني السلطاني، بالإضافة إلى ولادته في بيت ديني، يتوارث فيه الأبناء العلم عن الأجداد جيلاً بعد جيل، كان له أثرٌ كبيرٌ في نفس وتفكير الشيخ محمد الجسر الذي كان شديدَ التأثر بوالده، الشيخ حسين، وسيرته الدينية الصوفية، ومكانته العلمية والاجتماعية. فكان يَروي لأولاده العشرة، (حسن ورشاد وحسين وعدنان وسلمى وحازم وعاصم وباسم وسالم وناظم)، بعض المواعظ والمسالك الاجتماعية التي كان والده يُنشئه عليها، ليعلّم بذلك أولاده الإحسان والرحمة ومخافة الله.

تدرّج الشيخ محمد في مسالك العلم والوظيفة، وممارسة التعليم والصحافة والنيابة. فالتحق عام 1907 بسلك التعليم العثماني كأستاذ ومدير للمكتب الإعدادي العثماني في اللاذقية، ثمّ في مدرسة طرابلس العثمانية الإعدادية عام 1908، وكمدرّس للحديث الشريف في جامع «طينال»[196]، طرابلس منذ عام 1909 حتى انتقاله للإقامة الدائمة في بيروت بعد العام 1920. كما تسلّم الشيخ محمد، بعد وفاة والده عام 1909، المنظمة «الخلوتية» الصوفية الدينية التي وصل عدد أتباعها في طرابلس، في ظل قيادته لها حوالي أربعة إلى خمسة آلاف شخص، في مقابل العدد نفسه للطريقة القادرية، و100مريدٍ للرفاعية، و30 ـــ40 للشاذلية، و10 ـــ 15 شخصاً للنقبشندية [197].

التحوّل إلى العمل السياسي

وبسبب تأثّره بنظريات والده الإصلاحية للسلطنة العثمانية وببرامجه التربوية والتعليمية، ودفاعه عن السلطان عبد الحميد الثاني، وتمسّكه بالخلافة الإسلامية المتمثّلة في سلاطين بني عثمان. استهوته السياسة منذ مراحل شبابه الأولى. فبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام1908، قرّر ترشيح نفسه إلى

---

(195) محمد يمن الجسر: **مذكّرات الشيخ محمد**، مصدر سابق، ص 73.

(196) **جامع طينال**: بناه الأمير سيف الدين طينال الأشرف الناصري المملوكي، نائب طرابلس، عام 1337م.

(197) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت**، القسم الشمالي، مرجع سابق، ص 232.

مجلس المبعوثان عن طرابلس ضد مرشح جمعية **«الاتحاد والترقي»**. ولكن الاتحاديين استبعدوه ولم يرضوا بهذا الترشيح(198).

تولى الشيخ محمد، بعد وفاة والده الشيخ حسين، رئاسة تحرير جريدة «طرابلس» الأسبوعية التي أصدرها محمد البحيري بإيعاز من والده. فسلك خط معارضة التيار القومي التركي الذي هدّد الخلافة الإسلامية ووحدة السلطنة العثمانية. وكتب لهذه الغاية الافتتاحيات المدافعة عن السلطان عبد الحميد وسياسته الحكيمة في قيادة السلطنة العثمانية آنذاك. ساهمت تلك الافتتاحيات في إيقاظ الرأي العام الطرابلسي، وفي إظهار مساوئ الحكم الاتحادي، وإيجابيات العهد الحميدي العربية والإسلامية. كما لعبت دوراً هاماً في زيادة الالتفاف الطرابلسي الشعبي حول كلمته، والوثوق به، ومنحه ثقتهم له في أية انتخابات نيابية جديدة(199).

وما إن حان موعد الانتخابات الثانية عام 1912، حتى ترشح الشيخ محمد عن مقعد مدينة طرابلس إلى مجلس المبعوثان، وكانت الظروف قد تغيّرت لصالحه كثيراً ضد مرشح حكومة الاتحاد والترقي فؤاد خلوصي. سعى الاتحاديون بكل ما بوسعهم من نفوذ وقوّة وجهود لإنجاح مرشحهم فؤاد خلوصي، فلم يفلحوا، وفاز الشيخ محمد الجسر بالمقعد النيابي(200).

بعد انتخابه نائباً عن طرابلس في مجلس المبعوثان انتقل الشيخ محمد إلى اسطنبول لحضور جلسات ذلك المجلس الذي افتتح أعماله في الخامس من نيسان 1912. وفي اسطنبول استمر الشيخ الجسر في معارضته لحكومة «الاتحاد والترقي»، وفي إخلاصه للعهد الحميدي وللسلطنة العثمانية والخلافة الإسلامية. فالتفّ حوله مجموعة كبيرة من الإسلاميين والعرب المطالبين بعودة السلطان ليلعب دوره كخليفة للمسلمين. وبسبب إتّقانه اللّغة العثمانية قراءة وكتابة وخطابة، تزعّم الشيخ محمد في مجلس المبعوثان مجموعة من النواب

---

(198) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف...**، مرجع سابق، ص 150.

(199) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 233.

(200) المرجع السابق، ص 255.

المعارضين لحكومة الاتحاديين، عرفت باسم «**مجموعة العمائم**»[201]. وهكذا، بقي الشيخ محمد أميناً مخلصاً للسلطنة رمز الخلافة الإسلامية، فقارع أعضاء جمعية الإتحاد والترقّي وأنصارها من العرب، ووعى عن كثب تطلّعات هذه الجمعيـــة الشوفينيّة القمعيـــّة للروح القوميّة العربيّة، ولأيّة قوميّة أخرى على قاعدة الوحدة العرقيّة للدولة التركيّة وليس الوحدة الدّينيّة لها على قاعدة الخلافة الإسلامية...

دافع الشيخ محمد في مجلس المبعوثان وفي خارجه عن موقف طرابلس المعادي لحكومة «الاتحاد والترقي» وكبار موظفيها. وقاد لهذه الغاية حملات مطلبية كثيرة في سبيل التخفيف من الضرائب ومن أجل زيادة الأموال المخصصة لتحسين التعليم وتحديثه في السلطنة العثمانية، وإنشاء المدارس الجديدة لمحاربة الأمية وتحقيق التأثير المتزايد لمدارس الإرساليات الأجنبية الأوروبية[202].

وفي عام 1915، بعد حلّ مجلس المبعوثان، عيّن الشيخ محمد نائباً لرئيس مجلس ولاية بيروت، وأصبح بذلك قريباً من الوالي عزمي باشا ومن القائد العسكري جمال باشا ومن مفتشة المعارف خالدة أديب صديقة جمال باشا ومرافقة مصطفى كمال في معظم معاركه العسكرية. ثم أصبح فيما بعد بالإضافة إلى وظيفته الرسمية كنائب لرئيس مجلس ولاية بيروت، مفتشاً عاماً للمعارف[203] العثمانية في هذه الولاية، ومسؤولاً عن توزيع الإعاشة في مدينتي طرابلس وبيروت بهدف إغاثة المسلمين فقط بناء لطلب الوالي عزمي باشا. ولكن الشيخ محمد لم يوافق الوالي رأيه، بل أجابه: « دعهم جميعاً يعيشون،أو

---

(201)عبدالله سعيد:«**الشيخ محمد الجسر...**»، مرجع سابق، ص 60.

(202) Wajih AKKARI: *Shaykh Muhammad AL JISR*..., op. cit., p 21.

(203) وثيقة رقم(7)؛ إنّ مفتّش المعارف يعني مفتّش تربوي في وقتنا الحاضر. والمعارف من كلمة معرفة وتعني التعليم الرسمي العثماني. إذن هو مفتّش مدارس التعليم الرسمي (الناظر العام لمنطقة ما).

دع الجميع (مسيحيين ومسلمين) يموتون بمساواة»[204]، ووزع الإعاشة مناصفة بين الأولاد الأيتام المسلمين والمسيحيين.

غير أنّ هذا الاتجاه الإسلامي المُحافظ، إذا جاز التعبير لم يحل، بعد أن عُطّل الدستور العثماني، وتعينه نائباً لرئيس مجلس ولاية بيروت (1914ـ 1918 م)، دون أتباعه سياسة انفتاح وتعاون. بل ومساعدة للطوائف المسيحية ورجال الدين والرهبان المسيحيين في الولاية، ولا سيّما في مدّة الحرب العالمية الأولى، أي بعد إلغاء نظام متصرفيّة جبل لبنان وإعلان جمال باشا الأحكام العرفية في المنطقة الجنوبية من جبال الأناضول، أي المناطق التي تشمل، اليوم، سورية ولبنان وفلسطين. فلقد ساعد في ذلك الوقت الراهب يوسف الجعيتاوي بالإعاشة وإغاثة الأيتام المسيحيين، وساهم في منع نفي البطريرك الماروني الياس الحويك، وفي عدم مصادرة دير راهبات العازارية في بيروت، وفي إقناع جمال باشا بعدم التشدد في تطبيق قرار التجنيد الإجباري للمسيحيين في الجيش التركي. إذ قال له: «إذا كنت تعتقد أن المسيحي ليس موالياً للدولة التركية، وهو «خائن» لها، أو منحاز لأعدائها؟ فهل تعتقد بأن إدخاله في الجيش غصباً عن إرادته، مفيداً؟ أفلا تخشى على سلامة هذا الجيش منه وهو في داخله، أكثر مما لو كان خارجه؟»[205].

فاجأت الحرب العالمية الأولى بأحداثها، الشيخ محمد، وهاله سقوط الخلافة الإسلامية المتمثلة بالسلطنة العثمانية، وبروز العصبية الطورانية لدى الأتراك والحالات الطائفية في ولايتها، والتفرقة في توزيع المساعدات والإعانات الغذائية (الإعاشة)، وفرض التجنيد الإجباري على المسيحيين والاعتداء على كرامة الإنسان العربي في السلطنة والإساءة للديانة الإسلامية.

ولكن السؤال اللافت والمحيّر هنا: لماذا لم ينخرط الشيخ محمد في الحركة القومية العربية، ولا في الجمعيات السريّة التي تأسست في بيروت

---

(204) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر...»، مرجع سابق، ص 65.

(205) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر...»، المرجع السابق، ص 67.

وطرابلس ودمشق وغيرها من العواصم العربية، وفي العاصمة العثمانية اسطنبول بالذات؟ ولماذا لم ينضم إلى حركة الشريف حسين وثورته العربية كباقي الزعماء المسلمين آنذاك؟

فلقد شكّلت ثورة الشريف حسين صدمة بالنسبة للشيخ محمد الجسر، لأنه اعتبرها خيانة للإسلام من الشريف حسين والإنكليز، في وقت، كان بنظره، على المسلمين أن يعملوا سويّةً للمحافظة على الخلافة الإسلامية. فهو بقي وفياً للسلطنة العثمانية، باعتبارها ممثلة للخلافة الإسلامية، حتى انهيارها ومغادرتها سورية ولبنان في عام 1918. وبسبب ارتباط الشيخ محمد الوجداني، بالخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، وبالسلطان عبد الحميد الثاني بالذات، منذ سن الرابعة عشرة من عمره، أي منذ زيارته الأولى لعاصمة السلطنة اسطنبول، لم يكن من محبذي السياسة البريطانية في المشرق العربي التي حرّضت العرب المسلمين على الثورة بقيادة الشريف حسين وأولاده ضد السلطنة العثمانية والخلافة الإسلامية[206].

وفي المدّة التي فصلت، بين خروج العثمانيين ودخول الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين) إلى سورية ولبنان، استكان الشيخ، وابتعد بثاقب نظرته الواقعية عن السياسة ليتعاطى التجارة وإدارة شؤونه الخاصة، فشارك تاجرين من عائلة شقير الأرثوذكسية من الشويفات ولكنه لم يستمر طويلاً في هذه المحاولة.

الإخاء المسيحي الإسلامي في طرابلس

ومع انتصار الحلفاء، الانكليز والفرنسيين، وهزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، وبداية الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان عام 1920، فوجئ الكثيرون، ممّن عرفوا المكانة المرموقة التي احتلها الشيخ محمد في العهد العثماني على الصعيد الطرابلسي والعربي الإسلامي والعثماني، بقبوله الوظائف في إدارة دولة لبنان الكبير التي أعلنها الجنرال غورو(GOURAUD) في الأول من أيلول 1920. في الوقت الذي كان فيه

---

(206) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر...»، المرجع السابق، ص 68 و69.

المسلمون في سورية ولبنان، يرفضون مع قسم من المسيحيين هذه الدولة ويقاطعونها، نظراً لتطلّعاتهم إلى قيام دولة عربية - سورية مستقِلّة برئاسة الأمير فيصل ابن الشريف حسين، شريف مكة والحجاز آنذاك.

وظائفه في دولة لبنان الكبير

عُين الشيخ محمد رئيساً لمحكمة الاستئناف في بيروت عام 1920، ثم رئيساً لمحكمة الجنايات عام 1921. ثم مدعياً عاماً لمحكمة التمييز عام 1922، لينتقل بعدها إلى مديرية الداخلية كناظر لها برتبة وزير من أيار 1922 إلى أيلول 1923، وناظراً للمعارف من أيلول 1923 وحتى أيار 1926. وكان الشيخ محمد قد اتخذ من مدينة بيروت مقرّاً لسكنه الشتوي، ومن قرية بحرصاف قرب بكفيّا في جبل لبنان مصيفاً. وذلك مخالفاً زعماء وأعيان مدينة طرابلس الّذين كانوا يقضون الصيف في قرى قضاء طرابلس السنيّة السكان، مفضلاً عليها قرية بحرصاف المسيحيّة والجميلة الموقع والحسنة المناخ.

في نظارة الداخلية، ظهرت فلسفة الشيخ محمد الإدارية كمصلح إداري وقانوني يفرض العدل وينتقد مظاهر الطائفية. فتمتّنت علاقته بالانتداب الفرنسي كشخصية مستقلة تنشد الاستقلال اللبناني إدارة وسياسة والدعوة إلى الأمة اللبنانية، وإلى اندماج المجتمع اللبناني بكل طوائفه بدولة موحدة متميّزة عن جوارها. وفي عام 1924 تسلّم الشيخ محمد نظارة المعارف (وزارة)، فوضع مشروعاً للإصلاح التربوي، ما زال يُعمل بمعظم مواده حتى الآن، من حيث برنامج ومواد التدريس ونظام موظفي التعليم، ونظام البكالوريا اللبنانية بفرعيها العلمي والأدبي. كما وضع الشيخ محمد، عام 1925، نظاماً للمكتبة الوطنية اللبنانية[207].

(207) الوثائق ذات الأرقام.....، وعبدالله سعيد،المرجع سابق، ص 124—128، و 326—331.

وفي عام 1926، وبعد إعلان الدستور اللبناني عيّن الشيخ محمد شيخاً عن مدينة طرابلس، وأصبح رئيساً لمجلس الشيوخ. ومع ضم المجلسين (الشيوخ والنيابي) عام 1927، أصبح رئيساً لمجلس النواب وبقي في هذا المنصب حتى عام 1932. وفي مجلس النواب ظهرت شخصية الشيخ محمد القويّة في إدارة الجلسات من خلال الكلمة السحرية «قبلت» مهما كان عدد رافعي الأيدي من النواب الموافقين على أي مشروع يطرح. كما ظهرت قدرة ومهارة الشيخ محمد كمشرّع برلماني ديمقراطي وكمصلح انتخابي حريص على المال العام، وكمشرّع قانوني وتربوي واجتماعي وضريبي، ومدافع عن حق المرأة العاملة في الحماية من حوادث العمل، وكرائد في الإصلاح الإداري والوظيفي ومثال للنزاهة والتواضع. ليصبح بذلك من أقوى السياسيين في الجمهورية اللبنانية آنذاك (1926–1932). وهذا ما شجّعه، سنة 1932، على خوض معركة رئاسة الجمهورية كمرشح قوي يؤيّده 28 نائباً من أصل 45 نائباً كانت أكثريتهم من المسيحيين. لكن الفرنسيين رفضوا الموافقة على ترشيحه، وأخذوا برأي شارل دباس في تعليق الدستور اللبناني وحل المجلس النيابي ليعتزل بعدها الشيخ محمد السياسة حتى وفاته عام 1934 عن عمر 53 سنة[208].

وهكذا افتتح الشيخ محمد يمن الجسر عهداً جديداً في تاريخ **آل الجسر** في طرابلس. فلقد خالف والده، ودخل العمل السياسي من بابه الواسع. ورغم أنه ظل محافظاً على تصوّفه الديني وزهده، وممارسة شعائره الدينية حتى في أثناء رئاسته لمجلسي الشيوخ والنوّاب اللبنانيين (1926)، حيث كان يرفع الجلسات الرسمية للصلاة. ولكنه تخلّى عن قيادة الطريقة الخلوتية، وعن التدريس في المدرسة الرجبية التي ورثها عن والده الشيخ حسين وعن جدّه الشيخ محمد أبي

---

(208) راجع معركة رئاسة الجمهورية في كتاب:عبدالله سعيد، **الشيخ محمد الجسر...**، القسم الرابع، ص 235–278.

الأحوال، وعن تدريس الشريعة والإرشاد الديني في جامع طينال أو غيره من جوامع طرابلس، وذلك للتفرّغ كلياً للعمل السياسي. وبذلك مهّد الطريق لعائلته لتنتقل من التصوّف الديني الزاهد إلى التصوّف السياسي العقلاني الواقعي، وذلك من خلال الإعتراف بدولة لبنان الكبير، وبالأمة اللبنانية، والدعوة إلى اندماج المسلمين اللبنانيين، بشكل عام، والطرابلسيين بشكل خاص في المجتمع اللبناني الجديد، ومطالبتهم بالواقعية ودخول الوظائف الحكومية الرسمية، والتعاون مع سلطة الإنتداب الفرنسي وإدارته، على قادة: " **خذ وطالب**"، أو" **نَلْ المُتَيَسِّر وطالب بالمُتَعَسِّر**".

الشيخ محمد والخلافة الإسلامية[209]

في عام 1924، أعلن مصطفى كمال الجمهورية التركية،وقرر فصل الدين عن سياسة الدولة، فألغى بذلك مركز الخلافة الإسلامية ومشيخة الإسلام العليا في اسطنبول ونظارة الأوقاف والمحاكم الشرعية، واستولى على قصور السلاطين والمخلّفات الدينية، ونفى الخليفة الإسلامي الشرعي، السلطان العثماني عبد المجيد، بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين أميراً، وست وثلاثين أميرةً، إلى أوروبا ومصر ولبنان. فوقع نبأ هذا القرار، بنظر الشيخ محمد، كالصاعقة على رؤوس المسلمين، لأنّهم كانوا ينظرون إلى عمل إلغاء الخلافة بعين التحقير لهم، وينظرون إلى المستقبل بعين الخوف والخشية. فأي مرجع يبقى للمسلمين بعد زوال الخلافة التي كانت جامعة لكلمتهم. كما اعتبر أنّ الأتراك الجدد أخطأوا في انقلابهم علىَ الخلافة الإسلامية حيث ظنّوا أنّ بقاء الخلافة ينازعهم على استمرارية الجمهورية، فألغوا مقامها، وألغوا عائلة بني عثمان من بلادهم لكي يصفوَ لهم الجو السياسي والإداري، وتبق الأمة الإسلامية بدون رئيس ديني. وكان يرى أن الخلافة يجب أن تنتقل إلى أيدي أناس قادرين على حمايتها والقيام بواجبها، وحفظ سيف الإسلام.

ونتيجة لإلغاء منصب الخلافة الإسلامية في تركيا، نادى بعض زعماء العرب بالملك حسين الهاشمي، ملك الحجاز السابق، خليفةً للمسلمين في العالم

---

(209) يوميات الشيخ محمد الجسر لعام 1924، مصدرسابق، في4و6 و16وآذارو 3 و4 و12 و22 نيسان، ص 24 و 36 54 و 55 و 58 و 61.

العربي. ولقد أيّد الانكليز هذه المبايعة العربية ولكنّ الشيخ محمد الجسر، كان يعتقد بأنّ العالم الإسلامي الكبير لا يميل إلى هذا التعيين في منصب الخلافة، وذلك لأنّ الشخص المقترح لا يستوفي شروط العدل والعلم والإستقلال التام في الرأي والسياسة. فهو، في نظره، وكيل الدولة الانكليزية (بريطانيا) في المشرق العربي. وأيُّ استقلال سيكون لخليفة تابع لإنكليترا، وأولاده تابعون لها أيضاً، وهم منقادون، بنظره، إنقياداً أعميّ. وستأتي الأيام بعجائب وغرائب من هذه التبعية للانكليز والعمل بأمرهم، وسيصبح نجاح الشريف حسين بمنصب الخلافة أمراً بائساً وعسيراً.

في المقابل استدعى الفرنسيون الأمير سليم، ولي عهد السلطنة العثمانية، وشقيقيْه عبد القادر وجمال الدين، من أمراء آل عثمان وأقاموا لهم المآدب والولائم الفاخرة. وكان الهدف من هذه الدعوة هو إحباط خطّة الانكليز في تأمين الإجماع العربي حول مبايعة الملك حسين بمنصب الخلافة.

وفي حين كان الشيخ محمد، يرى أنّه من الضرورة أن يكون للمسلمين خليفةٌ، يقوم بشؤونهم الدينية والدنيوية. وهي مسألة في صلب شريعة دينهم. ولكن بسبب سقوط الخلافة الإسلامية في أسطنبول، انقسم المسلمون بين الشريف حسين، باعتباره من السلالة النبوية، والملك فؤاد الأول، ملك مصر. وكانت وجهة نظره، أنّ الشخصين غير مستوفيين الشروط الدينية والمادية الرئيسية لكي يلتفّ المسلمون حولهما، والأفضل للمسلمين أن يعاضدوا الخليفة العثماني المخلوع. كما كان يرى أنّ السياسة الانكليزية في المشرق العربي تسعى، أكثر من مئة سنةٍ، إلى اضمحلال الخلافة الإسلامية وتقويضها، وجعلها تحت سيطرتها لتقبض على أرواح المسلمين في الهند وفي جميع أنحاء العالم. لذا كان الشيخ محمد من شديدي الحماس لمبايعة الأمير سليم العثماني بالخلافة.

وبسب مواقفه الداعية للتصالح والتعاون مع الفرنسيين وإدارتهم في لبنان وسورية ورفضه مبايعة الشريف حسين للخلافة، تلقّى الشيخ محمد العديد من رسائل التهديد والوعيد بالقتل والتكفير. ففي 3 نيسان 1924، على سبيل المثال،

دخل مكتبه في وزارة الداخلية، فوجد كتاباً مرسلاً من جمعية تطلق على نفسها إسم "اليد السوداء"، تحقّره فيه بشتى أنواع الكلام الشتائم، وتهدده. وتطالبه بالتخلي عن منصبه في وزارة الداخلية، وإظهار العداء للفرنسيين بدلاً من التعاون مع إدارتهم الإنتدابية. كما تطالبه بإعلان المبايعة العلنية، في الجرائد والمجلاّت، للملك حسين كخليفة للمسلمين. وإنْ لم يستجب لمطالبها، ستنفّذ الجمعية بحقّه قرارها بإعدامه في مهلة أقصاها نهاية شهر نيسان من سنة 1924. وفي 12 نيسان، تكرر التهديد بحق الشيخ محمد من قبل أحد الشيوعيين في بعلبك، لأنّ الشيخ محمد لم يتوسط له للعودة إلى أحضان الفرنسيين، ففضل اللجوء إلى الحجازيين والانكليز. وفي 22 نيسان من السنة نفسها، وشى بعض المسلمين بالشيخ محمد لدى الفرنسيين، واتّهموه بأنه يبايع الملك حسين بالخلافة الإسلامية. وبالرغم من أنّ الشيخ محمد كذّب الوشاية، وفنّد رأيه بالملك حسين وأولاده، وبأنّ حزب الملك حسين يهدده ويرسل إليه بيانات الشتائم والتحقير بحقه، إلا أنّه كان يرى أنّ الفرنسيين خفيفو المشرب(أي قليلو العقل) يصدّقون الإشاعات. لذلك سئم التعامل معهم، واستاء من أسلوب وشاية بعض المسلمين ضده. كما استغرب أن يكون في الطائفة الإسلامية أناسٌ لا أدب لهم ولا أخلاق، وما همّهم إلاّ تحقير أبناء طائفتهم وإهانتهم، والطعن بمراكزهم ووظائفهم وأموالهم.

الشيخ محمد والكيان اللبناني

عاصر الشيخ محمد الجسر العثمانيين ومرحلة تداعي سلطتهم ونهاية سلطنتهم، وشهد تأسيس دولتهم التركية الحديثة. لذا خَبِر السياسة من بابها الواسع من خلال تحرير جريدة "**طرابلس**" وافتتاحياته اللاذعة لسياسة حزب الاتحاد والترقي، أو من خلال دخوله معترك مجلس المبعوثان كنائب عن طرابلس، ومن ثمّ كنائب لوالي بيــروت في مجلس ولايتها، ومن ثم رئيسًا لمجلس الشيوخ اللبناني ورئيسًا لمجلس النواب في عهد الانتداب الفرنسي 1927- 1932.

وإنّ دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، ووصول الفيلق الرابع بقيادة جمال باشا إلى قناة السويس، وعودته خائبًا بعد أن نكّل باللبنانيّين والسوريّين، قطع الأمل في نفس الشيخ محمد بانتصار السلطنة العثمانيّة في الحرب واستمرار الخلافة الإسلاميّة، لا سيّما بعد قيام الشريف حسين بمساعدة الانكليز بثورته ضد الدولة الإسلامية التركيّة، وما ترتّب على هذه المساعدة من خداع وضعف تقدير عند القيادة العربيّة آنذاك.

ومع تركيز السيطرة الفرنسية بعد معركة ميسلون في الانتداب على سورية ولبنان والسيطرة الإنكليزيّة في الانتداب على الأردن وفلسطين والعراق، تطلّع الشيخ محمد الجسر، بعد أن خَبِر حياة التجزئة والصراعات القوميّة والعرقيّة في مجلس المبعوثان، إلى الواقعيّة اللبنانيّة الجديدة من خلال إعلان دولة لبنان الكبير، وضرورة انفتاح اللبنانيين بجميع طوائفهم وميولهم السياسيّة

على عصر جديد انتهت معه الخلافة الإسلاميّة، وأُجهِضت الحركة القوميّة الجنينيّة وتراجعت تطلّعات طلائعها المُثقّفة من مفكرين ومنظّرين لها.

ومن خلال الإطّلاع على سيرة الشيخ محمد، وموقفه من الخلافة الإسلاميّة، وتأييـــده للسلطان عبد الحميد في وجه علمانيّة جمعية الإتحاد والترقّي. لا بدّ من التساؤل عن سبب واقعيّة الشيخ محمد الجسر، وعن سبب تعاونه مع الفرنسيين، وقبوله المناصب الكبيرة التي تسلّمها في السنوات العشر الأولى من الانتداب الفرنسي؟. فبعض الزعماء المسلمين السياسيين، كسليم سلام (أبو علي) ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي، كانوا يرفضون الكيان اللبناني المصطنع بنظرهم (دولة لبنان الكبير). وكانوا يطالبون بالوحدة السوريّة، أخذوا على الشيخ محمد تعاونه مع الانتداب الفرنسي. فلماذا لم يقاطع الشيخ محمد الانتداب الفرنسي كهؤلاء الزعماء السياسيين ؟ وهل استمرّ وحيداً في تعاونه ؟ أم انفتح بعض زعماء العائلات الإسلاميّة البيروتية كبيهم والداعوق والصلح والفاخوري وطبّارة وغيرهم، وعائلات الجبل وطرابلس وعكار والبقاع والجنوب السنّية والشيعيّة والدرزيّة على التعاون مع الفرنسيين ودخول المجلس التمثيلي أو والنيابي، فيما بعد، والانخراط في وظائف الدولة اللبنانية ؟.

وكيف يمكن تفسير هذا الحرص على مساعدة المسيحيين في الحرب من قبل سياسي إسلامي متديّن، عثماني الهوى والنزعة ؟ وكيف يمكن تفسير قبوله بوظيفة قضائيّة «أدنى» من المراكز التي احتلّها في عهد العثمانيين ؟ ولماذا تعاون مع الفرنسيين؟ مخالفاً بذلك التيار العربي لمدينة طرابلس التي كانت مركزاً للبرجوازية السنيّة والتجاريّة ولعدد من المثقّفين والسياسيين الشباب المعارضين للانتداب الفرنسي، ونشوء دولة لبنان الكبير، والمطالبين بالانضمام إلى حكومة مملكة فيصل في سورية.

لقد تعامل الشيخ محمد بواقعية مع قيام الكيان اللبناني، في دولة لبنان الكبير، مع كيان لا تضر وحدة شعبه واندماج تجمّعاته البشريّة والمذهبيّة، وتلاقي مناطقه ومقاطعاته، في وحدة سياسية تنهض في مجتمع انهكته الحروب

المذهبيّة وشرذمته التدّخلات الأجنبيّة. ولعل الشيخ محمد، في سبيل ترسيخ قناعاته الوطنية وأهمية الاندماج الوطني في كيان سياسي له شخصيّته الوطنيّة المميزة، استفاد من تجربتين، وكلاهما مرّ بالنسبة له: الأولى: تنفيذ تطبيق اتفاقية سايكس- بيكو، الموقعة بين فرنسا وبريطانيا عام 1916، وتأثير هذه المعاهدة السيئ على الأوضاع اللبنانية والعربية. والثانية: معركة ميسلون غير المتكافئة القوى بين العرب الاستقلاليّين والدولة الفرنسيّة وخسارة العرب الإستقلاليين فيها تطلعاتهم وأمانيهم القومية.

لقد كان الشيخ محمد من الداعين إلى المصالحة مع سلطة الإنتداب الفرنسي، وحاول لهذه الغاية إقناع دعاة الوحدة العربية بقيادة الشريف حسين، وأنصار الإتحاد السوري بضرورة التعاون مع السلطة الفرنسية في سورية ولبنان. لأنّه كان يرى بأنّ هذه السلطة لا تضرّ بمصالح المسلمين، إذا هم لم يخاصموها ويناصبونها العداء، أو يخلّون بقوانينها، ولاسيما بعد أن جاء المفوض السامي الفرنسي الجنرال ويغان(WEYGAND)، عام 1922، الذي أظهر، بنظر الشيخ محمد، كل عدل ومساواة ومعاملة جيدة ومتوازنة بين جميع اللبنانيين وطوائفهم[210].

كما كان يرى أنّ مقاومة فرنسا ــ التي كان يسميها القوّة القاهرة ــ هو خطأ محضٌ، خصوصاً إذا كانت هذه المقاومة طائفية، وبإسم طائفة بكاملها. لأنّه من حق الشخص الفرد أن يقاوم أيّة سلطةٍ، وأنْ يُقهر، ولكن لا يتعدى ذلك حدود نفسه وذاته. أمّا إذا قاوم بإسم طائفته وقُهِرَن فإنّه يجرّ الوبال إلى جميع طائفته التي فيها القوي والضعيف والغني والفقير. لذا فالأولى بزعماء المسلمين عدم المجازفة بمقاومة الفرنسيين بإسم الطائفة، بل الإتفاق مع حكومة دولة لبنان الكبير والسلطة الفرنسية المنتدبة في سبيل المنفعة العامة، شرط المحافظة على حقوق الطائفة الإسلامية، والمطالبة بكل ما ينقصها من وتفتقده من حقوق.[211]

(210) يوميات الشيخ محمد لعام 1923، مصدر سابق، الأحد في 13 كانون الثاني 1924، ص 6 و 7.

(211) يوميات الشيخ محمد لعام 1923، مصدر سابق، الأحد في 13 كانون الثاني 1924، ص 6 و 7.

كل ذلك أيقظ في الشيخ أهمية المواطنة، والاندماج الاجتماعي اللبناني ولو في دولة وكيان قرّرت الحكومة الفرنسيّة وأيّدتها عصبة الأمم في إنشائهما بدلاً من الضياع القومي في بحر من الصراعات الطائفيّة والمذهبيّة والعشائريّة السلطويّة، وتشكيل كيانات تُصنع خصيصًا لهذه العشيرة أو تلك، أو لأحد فروعها. وكان الشيخ محمد الجسر، بعكس باقي الزعماء السياسيين المسلمين، قد اعتبر إعلان غورو لدولة لبنان الكبير في الأول من أيلول 1920 بمثابة استقلال للبنان، وليس إنفصالاً عن سورية كما اعتبره عبد الحميد كرامي وغيره من العروبيين. ولقد عبّر صراحةً عن ذلك، عام 1923، عندما قلّد البطريرك الماروني إلياس الحويك باسم الحكومة اللبنانية وسام الإستحقاق النيابي، بقوله: "حضرة السيّد البطريرك إن ما قمت به من جليل الأعمال، ومن جميل الأيادي قد سطّر لك في بطون التاريخ صفة جميلة لا تتمكن أن تمحيها الدهور أو تطمسها الأيدي... لقد أنقذت أمّةً(الأمة اللبنانية) لأبنائها... وأمّا الأعمال الجليلة التي قمت بها فهي كثيرة ولا يمكنني أن ألّم بها جميعاً... ولكنني أشير إلى أعظمها إحتراماً وإجلالاً، وهو العمل الكبير الذي قمت به في سبيل إستقلال لبنان، إنْ قبل الحرب الكبرى (العالمية الأولى)، أو في أثنائها أو بعدها،... فلقد ألقيتم بأنفسكم للتهلكة مراراً في أثناء الحرب... وكلّ ذلك في سبيل إجتهادكم وسعيكم لنيل لبنان استقلاله... وبعد الحرب تحمّلتم مشقّة السفر إلى فرنسا حتى وضعتم بأيديكم...الصخرة التي يقوم عليها الآن استقلال لبنان الكبير... وهذا هو لبنان الذي استقل، والذي سيبقى مستقلاً، إنْ شاء الله... يعلق الوسام على صدركم يا صخرة لبنان... فأرجو لغبطتكم طول العمر وللبنان دوام الإستقلال..."[212]

إذن، لقد وضع الشيخ محمد الجسر الحجر الأوّل لأسس الاندماج اللبناني، بكل تجليّاته الوطنيّة فكراً وممارسة من خلال المناصب الإداريّة والنيابيّة التي تبوأها، فطبع بصماته الاندماجيّة الوطنية الوحدوية في الإدارة، والوزارة، وفي رئاسة مجلسي الشيوخ والنواب، وفي تطلّعه الحثيث إلى اندماج

---

(212) يوميات الشيخ محمد لعام 1924، مصدر سابق، الأحد في 22 حزيران، ص 89.

المسلمين الكلي في الكيان اللبناني المنفتح سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا على المحيط العربي. ويكون بذلك وعى المسألة اللبنانيّة بانتمائها العربي قبل غيره من زعماء المسلمين اللبنانيّين العروبيّين الذين اقتنعوا بالصيغة اللبنانية الكيانيّة بعد موته، واندمجوا فيها ودافعوا عنها وضحّوا من أجلها.

ولعلّ المرحلة الذهبيّة في حياة الشيخ محمد الجسر تمثّلت في رئاسته لمجلس النواب حيث كان "رجلاً واسع النفوذ، مرهوب الجانب، يخشاه الجميع، على لطفه وطيب أرومته، وتزلّف الكثيرين إليه لكثيرون"[213]. ويقول الشيخ خليل تقي الدين عن مرحلة نفوذ الشيخ محمد الجسر: "إن الدولة اللبنانيّة كانت في ذلك الحين، أي في الثلاثينات يحكمها ثلاثة رجال: شارل دباس رئيس الجمهورية، والشيخ محمد الجسر، رئيس مجلس النواب، ومسيو(السيّد) سولومياك(SOLOMIAC)، مندوب المفوض السامي لدى الحكومة اللبنانية. وكان هؤلاء الأقطاب الثلاثة يتقاسمون الحكم وتنازعونه ويليهم في النفوذ رؤساء الوزارة والوزراء والمستشارون الفرنسيون العاملون في كل وزارة من وزارات الدولة. وكان معروفاً أن الحكومات في لبنان تأتي وتروح بناء على رغبة الثلاثة مجتمعين أو على تغلّب أحدهم على الآخر. وكان الشيخ محمد أقواهم نفوذاً وأطولهم باعاً لأنّ كثرة المسلمين في لبنان كانت تعارض الانتداب الفرنسي، وتقاومه وتحنّ إلى تحقيق الوحدة بين لبنان وسورية... وكان الشيخ الجسر من الزعماء المسلمين الّذين يقولون بالتعاون مع الانتداب إلى أن تتهيأ الظروف للحصول على الاستقلال"[214].

فطالما كان الشيخ محمد، في الثلاثينات من القرن العشرين، أقوى الشخصيات اللبنانيّة نفوذاً وسطوة ونزاهة ونظافة كف. فلماذا لم يسمح

---

(213) خليل تقي الدين: **قصص من حياتي، مذكرات سفير**، سلسلة مقالات منشورة في 20 حلقة أسبوعية، في جريدة "الراصد" البيروتية، من 11 نيسان إلى 22 آب 1968، الحلقة الثالثة، الخميس في 25 نيسان 1968، ص 5.

(214) خليل تقي الدين، **قصص من حياتي**، المصدر السابق، الحلقة الخامسة، الخميس في 6 أيار، ص 5.

الفرنسيون بانتخابه رئيساً للجمهوريّة عام 932 ؟ ولماذا ترشّح هو إلى هذه الانتخابات وأصرّ على ترشيحـــه، رغم معرفتـــه بتوجّهات الدولة الفرنسيّة المنتدبة ورغبتها بعدم وصول مسلم إلى سدّة رئاسة الجمهوريّة؟ ولماذا لم يستعمل صلاحياته الدستوريّة كرئيس لمجلس النواب، بالدعوة إلى جلسة انتخـــاب رئيس الجمهورية ضمن المهلة القانونيـــة؟ ولماذا لم يتمرّد على قرار المفوض السامي المتضمّن تعليق الدستور وحلّ المجلس النيابي؟ ولماذا لم يَقُدْ حملة احتجاج ضد الفرنسيّين وقراراتهم التعسّفيّة كما حدث عام 1943 من قبل رئيس الجمهوريّة بشارة ألخوري ورئيس الحكومة الاستقلاليّـــة الأولى رياض الصلح ؟...

إنّ من يطالع لمجرّد المطالعة والتسليّة وليس من أجل البحث العلمي والوقوف على الحقائق التاريخيّة الّتي ما زال بعض المؤرخين والباحثين مصريّن على تجاهلها وتشويهها، لا بدّ له من أن يقف على حقيقة واضحة من إنّ الشيخ محمد كان في مقدّمة المدافعين عن الأمّة اللبنانيّة والكيان اللبناني وعن حرّية اللبنانيّين وسيادتهم الوطنيّة، واستقلال وطنهم. وكان من المشرّعين الأوائل الذين سهروا الليالي الطّوال يقرأون الأنظمة والقوانين الأوروبيّة العصريّة ويعرّبونها ويقتبسون منها ما يفيد الشعب اللبناني وتطوّره كشعب حضاري متعلّم متميّز عن الجوار الآسيوي والإفريقي، ومن الّذين سعوا إلى إيجاد قوانين تحمي الحرّيات والعقلانية والديمقراطية، وتدعم ركائز المواطنة الحقيقية البعيدة عن أهداف الاستعمار والمستعمِرين.

لقد عمل الشيخ محمد كرجل معمّم، (يلبس العمامة)، بكلّ ما أوتي به من قوّة وتفكير تقدّمي حرّ على ترسيخ المواطنة الحقّة وإقامة أفضل علاقـــات الأخوّة بين الطوائف اللبنانية على أساس الاحترام المتبادل والمساواة والعدالة وخلق الوطن النهائي لجميع أبنائه، وطن ينعم فيه المواطن بالأمن والاستقرار والعيش الكريم عملاً ووظيفة وقانوناً واقتصاداً؟

ألم يقف الشيخ محمد ضدّ كلّ مشاريع القوانين الطائفية التي تزيد من شرذمة الشعب اللبناني وتؤذي وحدته واندماجه، كإلغائه طائفية كل من المختار ورئيس المجلس البلدي وأعضائه للفوز في السلطة المحلية في القرية؟ وانتقاده نعوم لبكي عندما كان رئيساً لمجلس النواب عام 1924، على تصريحه الطائفي بأنه يمثل الطائفة المارونية، بالقول: "إن الأستاذ لبكي وقع في خطأ كبير، فإنّ رئيس مجلس نيابي لا يميل إلى طائفة من الطوائف ولا يشير من طرف خفي إلى الحكومة بأن تنصف الطائفة المارونية التي ينتسب هو إليها... مع أنّ الحقيقة بالعكس فإنّ الطائفة المارونية جميعها في دست الأحكام كبيرها وصغيرها فهم يشتغلون الوظائف الرئيسية وربما كان للطائفة الإسلامية عدد يزيد على استحقاقها غير أنّ السبب في ذلك استخدام الفنيين من الطوائف الصغيرة كمباشرين في أعمالهم وحرّاس في الكمرك (الجمارك) وبوليسية وأنفار جاندرمة (الدرك أو رجال الأمن) فإذا جمعنا رواتبهم وعددهم نجد أنهم لا يأخذون استحقاقهم..." (215).

أولم يكن الشيخ محمد المدافع الأول عن الدستور اللبناني نصاً وتطبيقاً علمانياً ديمقراطياً لا طائفياً في وجه محاولات الفرنسيين والرئيس شارل دباس خرق هذا الدستور والاستئثار بالسلطة على حساب توازن السلطات الذي نصّ عليه دستور 1926؟ ألم يرفض ارتباط لبنان بمعاهدة مع فرنسا تنتقص من سيادته الوطنية ؟ فالمعاهدة بنظره هي التي تعقد بين شعبين حرّين، ودولتين متكافئتين، لا بين دولة حاكمة قويّة متسلّطة ودولة محكومَة ومغلوب على أمرها.

ألم يتّهم بالتسلّط والتدخّل في شؤون الدولــــة (الحكومة) والإدارة، وذلك بسبب تشبّثه بالقوانين، والدفاع عن الدستور، وحقوق المواطن والمكلّف اللبناني، والسهر على موازنة الدولة في وارداتها ونفقاتها؟

فهل كان تعيين الشيخ محمد الجسر رئيساً لمحكمة الجنايات ثم لمحكمة التمييز وأحكامه المبرمة لصالح البريء دون النظر في هوية المذنب أكان مسلماً

---

(215) يوميات الشيخ محمد لعام 1924، السبت في 26 نيسان، ص 62.

أم مسيحياً، ومن ثم مديراً (وزيراً) للداخلية وناظراً للمعارف ونائباً معيناً عن بيروت أسوة بكبار رجال السياسة في لبنان آنذاك كإميل إده وبشارة ألخوري وحبيب باشا السعد، وانتخابه رئيساً لمجلس الشيوخ والمجمع النيابي، ثم المجلس النيابي الموحّد والوحيد (1927 – 1932)؟ هل كان كلّ ذلك إرضاءً للمسلمين في شخصه لقبول الانخراط في الانتداب، أم لصُدْقِيَّة هذه الشخصية المتديّنة المميّزة بتسامحها وتساميها والعالمة بكلّ شؤون الإدارة والتربية والتعليم والتشريع. تلك الشخصية القوية، صاحبة السطوة والحزم والحسم في البتّ بالأمور التوحيديّة التوافقيّة؟ أم لصداقتها مع المسيحيين وخاصة البطريرك الماروني الياس الحويّك والقس الأب يوسف الجعيتاوي وغيرهما ؟ أمْ كما يعتَبِر البعض، أنّ سماحة الشيخ محمد الذّي كان صديق المفوّضية السامية الفرنسية ليس هو إلاّ عميل للفرنسيين، مع أنّ الشيخ محمد لم يكن سوى متعاون مع الفرنسيين في سبيل تأمين الخدمات الضرورية لطرابلس والمسلمين. بل كان الصديق الندّ لهم، والمقارع العنيد لمشاريعهم ولسوء إدارتهم. ألم يقف سماحته عام 1924 عندما كان ناظراً للداخلية بوجه الحاكم الفرنسي لدولة لبنان الكبير وينعته بكلّ صفات التسلّط والدكتاتورية، ويجبره على احترام الموظفين اللبنانيين وذلك من خلال تقديم الشيخ محمد استقالته بصورة جافة وقاسية (22 آب 1924)؟[216]. إنّ واقعية الشيخ محمد بالتعامل مع فرنسا كدولة قويّة مُنْتَدَبَة بعد معركة ميسلون وقضائها على الحكم العربي الفيصلي في دمشق وتقسيم سورية ولبنان إلى خمس دويلات تحت الحكم الفرنسي المباشر، دفعت به للتعامل مع الفرنسيين في سبيل التقليل من الضرّر على المسلمين وأبناء بلده طرابلس الرافضين التعاون مع الفرنسيين، والإندماج بدولة لبنان الكبير شعباً وكياناً.

ولماذا يصرّ بعض المؤرخين الطائفيين، إلى أي طائفة انتموا، على أنّ معركة رئاسة الجمهورية كانت معركة مسلم يريد الوصول إلى منصب حدده وخصّه الفرنسيون بالمسيحيين؟ ولماذا لا يُفهم من هذه المعركة بأنّها كانت

---

(216) **يوميات الشيخ محمد لعام 1924**، مصدر سابق، الجمعة والسبت في و 22 و 23 آب، ص 110 و111.

تكريساً للبعد الوطني لا الطائفي لرئاسة الجمهورية، وإرساء أسس الوحدة الوطنية، واستقلالية الرئاسة عن تجاذب الطوائف والانتداب الفرنسي؟ ولماذا قام النوّاب الموارنة بمعركة سماحة الشيخ محمد للرئاسة الأولى ولحق بهم النواب والزعماء المسلمون ؟ ولماذا لا يقرأ الطائفيون ويتابعون آنذاك دور وتصرّفات البرجوازية اللبنانية الصاعدة، المسلمة والمسيحيّة، وتطلّعات الإقطاع السياسي – الطائفي المتحالف معها، في رفضهم لبناء دولة القانون والمؤسسات والدولة الديمقراطية العلمانية، دولة يحتكم فيها الشعب إلى القانون نصاً وتطبيقاً وممارسة، لا إلى نظام العشائر والمحسوبية والواسطة التي كان الشيخ محمد يتضايق منها كثيراً ويتحدّث عن تدخّل السياسيين في مواضع كثيرة من يومياته ؟ لذا يقول: "... لمْ أتمكن هذا اليوم من فضّ ظرف واحد أو إحالة استدعاء، والسبب في ذلك كثرة المراجعين، والزيارات. فقد أصيبت هذه البلاد بالذين يدّعون الرياسة (الرئاسة). والنواب فيها لا ينفكّون عن المراجعة والتوسّل لطلب الوظائف، فيصبح الموظف في حيرة من أمره فلا هو قادر على القيام بوظيفته ولا هو قادر عن ردّ هذا وصدّ ذاك فيعاديهم من يريد الإصلاح ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله..."[217].

إذن إنّ الإصلاحيين الحقيقيين وقفوا إلى جانب سماحة الشيخ محمد الجسر وآزروه في معركته لرئاسة الجمهورية، أمّا الطائفيون والمتضرّرون من الإصلاح فقد خذلوه، ووقفوا ضدّه بحجة أنه شيخ مسلم معمّم. فإنّ السماح، آنذاك، بوصول الشيخ محمد إلى سدّة الرئاسة، كان يعني التطوّر الطبيعي للإدارة اللبنانية وإصلاحها وإصلاح الحياة السياسية والسياسة الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية الثانية. فلو وصل الشيخ محمد إلى الرئاسة لربّما كان قضى على الفساد والإفساد الإداري والبرلماني اللّذين أرسى قواعدهما رجال المفوضية السامية الفرنسية وأعوانهم من اللبنانيين. فسماحته تدرّج من مدرّس بسيط إلى

---

(217) يوميات الشيخ محمد لعام 1924، مصدر سابق، الخميس في 3 كانون الثاني، ص 2 ؛ والأربعاء في 6 شباط ص 17؛ والإثنين في 23 حزيران، ص 90؛ والأربعاء في2تموز، ص 94. و يوميات 1927، الأربعاء في 19 كانون الثاني، 17.

رئيس لمجلس النّواب، واحتلّ بذلك رأس السلطة الثانية في الجمهورية اللبنانية، وخَبِرَ كافة القطاعات الإنتاجية والحقوقية والخدماتية والقضائية. فلذلك كان يختمر خبرة إصلاحية واسعة وليس مجرّد سياسي يأتي إلى البرلمان أو إلى الحكومة وسدّة الرئاسة من خارج قضايا الناس وهمومها ومتطلبات الإدارة اللبنانية ومصاعبها وواقعها المادي والمعنوي.

فهل يمكن لأي باحث أو مؤرخ محايد يتعمّق في تاريخ الانتداب الفرنسي وسيرة الشيخ محمد وتربيته في كنف والده وتأثّره بجدّه الشيخ محمد الأكبر أن ينكر قدرة الشيخ محمد العلمية وتطلّعاته العقلانية – العلمانية! إلى جانب تديّنه وإيمانه الشديد بعدالة الإسلام ومهامه الحضارية، وتسامحه كدين جامع متقبّل للأديان السماوية الأخرى؟ أو أن ينكر أيضاً مسار الشيخ محمد الإصلاحي منذ أن كان مدرّساً في مدارس المعارف العثمانية التي أدخل إلى مناهجها العلوم الوضعية الحديثة ومن ثمّ نائباً في مجلس المبعوثان العثماني، وتزعّمه حركة المشايخ المعارضة، أو الحركة المعممة، ثمّ رئيساً لتحرير جريدة **"طرابلس"** الأسبوعية ومقالاته المعارضة والمنتقدة لسياسة حزب الإتحاد والترقي والداعية إلى المحافظة على الخلافة الإسلامية كخلافة موحّدة للمسلمين والعرب في وجه انشقاقات وتشرذمات مفتعلة هنا وهناك أدّت لا محالة إلى تفكّك المسلمين والعرب وسمحت بنمو الأصوليات المتعدّدة؟

ولعلّ العلاّمة الشيخ محمد الجسر بشفافيته المفرطة وذكائه الحاد وخبرته السياسية وفلسفته التربوية وثقافته الواسعة، قرأ قبل غيره، مستقبل أمّته العربية والإسلامية وعلاقاتها الدولية مفضّلاً التعاون مع الإنتداب الفرنسي على "خداع" الإنكليز ومخططاتهم الإستعمارية لتفتيت الوطن العربي بمشاريعهم المتعدّدة من إتفاقية سايكس–بيكو إلى وعد بلفور إلى مشروع إيدن والوحدات الإقليمية الصغيرة والمحميات العربية البريطانية. كلّ هذا دفع بسماحته للإندماج في الواقع اللبناني وبناء شخصية الأمّة اللبنانية، وتشريع ميثاقها الوطني السليم العقلاني الديمقراطي لا نسخه في ميثاق وطني طائفي وعرفي يكرّس الأعراف

الطوائفية وتكاذبها السياسي التي أودت باللبنانيين إلى حروب أهلية متعدّدة كانوا بغنى عنها لو استمعوا إلى صوت عقل سماحة الشيخ محمد الجسر وضميره الحيّ وتحذيراته لزعمائهم الطائفيين وكبار موظفي الإدارة الإنتدابية بضرورة بناء الوطن المستقر وطن العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص لا وطن الطوائف المتناتفة للوطن أرضاً وشعباً وإنتاجاً. ألم يعترف الجنرال الفرنسي بيار روندو (الكاتب والمؤرخ) عندما هالته الحرب الأهلية اللبنانية عامي 1975 و 1976، بخطئه الفادح ضدّ وصول سماحة الشيخ محمد إلى سدّة الرئاسة عام 1932، بقوله: "كنت أشغل، أيام جرت معركة رئاسة الجمهورية في لبـــنان، عام 1932، والتي حرم فيها الشيخ محمد من الوصول إلى الرئاسة، مركز رئيس "الشعبة الثانية" في الجيش الفرنسي في لبنان، (أي رئيس المخابرات العسكرية). ولقد كتبت يومذاك إلى رؤسائي في باريس محذّراً من انتخاب رئيس مسلم للجمهورية اللبنانية، لأنّ ذلك يضرّ بمصالح فرنسا وبالمسيحيين في لبنان. واسمح لي (اعتذر من باسم الجسر نجل الشيخ محمد)، اليوم وبعد مرور ستين سنة تقريباً (1990) على هذه الحادثة أن أعترف لك بأنني كنت مخطئاً في رأيي. فلو انتخب مسلم رئيساً للجمهورية في لبنان، يومذاك، وسرت العادة أن يصل إلى سدّة الرئاسة أشخاص من كلّ الطوائف بالتناوب، وبنوع خاص، من المسلمين، لربما لم يحدث ما حدث ولما وقعت الحرب التي دمّرت لبنان"[218].

قد يكون الجنرال "روندو" على حقّ أو لا، تلك ليست هي المسألة. لكن ظاهرة الشيخ محمد الجسر في السياسة إن لم نقل في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، لم تكن ظاهرة عادية. ولم يكن الشيخ محمد الجسر مجرّد سياسي أو رئيس مجلس نيابي عادي. ففي الوقت الذي يتخبّط لبنان ويحـــاول الإنبعاث من جديد مستعيداً حرّيته ووحدته الوطنية، قد يجد الباحثون والدارسون الأمثولة في أداء سماحة الشيخ محمد الوظيفة وممارسته السلطة، وفي حياته السياسية

---

(218) مقابلة شخصية مع الكاتب والمؤرخ الفرنسي بيار روندو، أجراها باسم الجسر نجل الشيخ محمد، في باريس عام 1990.

التوفيقية بين إيمانه الديني العميق وإسلاميته ودعوته للخلافة الإسلامية، وبين تسامحه وتساميه، ونهجه في الحكم والإدارة، وفلسفته التربوية، مادّة حيّة لخلاص لبنان وتطوّره كوطن متوازن اقتصادا وإنتاجاً وخدمات، وطن ينشد الإصلاح الحقيقي قولاً وفعلاً لا مجرّد خطابات سياسية إستهلاكية.

فالدور الكبير الذي لعبه سماحة الشيخ محمد في السياسة اللبنانية والحكم آنذاك، يعود إلى عدّة عوامل شخصية وعامة، منها:

شخصية الشيخ محمد الذي كان يتحلّى بذكاء ثاقب وخبرة سياسية وإدارية طويلة، وثقافة عالية، وعلم واسع حيث كان كثير المطالعة للكتب والمجلاّت العربية والفرنسية. ووفاقاً لوصيته ترك آنذاك مكتبة حقوقية وأدبية ودينية عامة كبيرة عزيزة عليه، تجاوز عدد كتبها ومجلّداتها على الألفين من مختلف الكتب والمجلات باللغات العربية والتركية والفرنسية.

دراسته ومطالعته للمواضيع ومشاريع القوانين والملفّات قبل مناقشتها وابتعاده عن الإرتجال.

إلمامه بعلم الفراسة، حتى قيل أنّه كان يمتلك "حاسة سادسة"، حيث كان يمكنه قراءة ما في وجه محدّثه من طلب ومقصد قبل أن يتكلّم، أو إدراكه الغاية الحقيقية لمحدّثه وقاصده من وراء الحديث...

نزاهته ونظافة كفّه وترفّعه عن أي إغراء أو مطمع مادي.

احترام ممثّلي الإنتداب الفرنسي له، بسبب صدق تعاونه معهم وإخلاصه لوطنه لبنان، ونزاهته ومقدرته السياسية، وقدرته على صياغة مشاريع القوانين التوافقية التي تسهّل أمور الحكم.

كونه من الشخصيات المسلمة القويّة التي تولّت المسؤولية في دولة "لبنان الكبير"، ثمّ في "الجمهورية اللبنانية"، خلافاً لشخصيات إسلامية أخرى بارزة آنذاك.

إخلاصه وحفظ الودّ لرئيس الجمهورية والمفوّض السامي باعتبارهما رئيسيه. فكان سماحته يقرّ بمعروف شارل دبّاس عليه في تعيينه رئيساً لمحكمة الجنايات،

ويحترم رؤساءه.

دهاؤه السياسي، وإرادته القوية في تحقيق كلّ ما يصبو إليه إدارياً وسياسياً بالمناورة أو بالإلحاح.

طبيعته المرحة والمحببة من النواب ورجال السياسة وقدرته على تعيين النوّاب وتأليف الحكومات وإقالتها وتأليفه حزباً برلمانياً يسانده ويقف إلى جانبه في مساندة هذه الحكومة أو تلك أو في معارضتها.

إذن كلّ هذه العوامل مجتمعة ومتفاعلة جعلت منه الشخصية السياسية القويــّة، بل والأقوى، في الجمهورية اللبنانية خلال الخمس أو الست سنوات (1927 - 1932) التي بقي فيها رئيساً لمجلس النواب.

الشيخ محمد والمجتمع الطرابلسي

ولاء طرابلس للسلطان عبد الحميد

«كانت الحياة السياسة في طرابلس، كما في غيرها من المدن السورية الهامة، قبل إعلان الدستور (1908)، قائمة على مظاهر الإخلاص لجلالة السلطان والدعاء له بطول العمر في المناسبات الاجتماعية والحفلات الّتي تُقيمها الحكومة»[219]. حيث كانت «أكثرية الناس المطلقة في المدينة مُشْبَعَة بروح الخضوع لولي الأمر، ظل الله على الأرض، الخليفة المعظّم خاقان البرّين وسلطان البحرين عبد الحميد. ومن يولّيه السلطة نيابةً عنه في حكم الرعيّة، وكان الاعتقاد السائد عند معظم الناس أنّ الخروج على إرادة السلطان ورجاله خروجٌ على الدين»[220]. ويعود ذلك إلى أنّ السلطان عبد الحميد الثاني كان أكثر سلاطين آل عثمان اهتماماً بالصلات بين الحكومة وعلماء ووجهاء وأعيان طرابلس. وكان أحد كبار المقربين إليه، وهو الشيخ أبو الهدى الصيادي، الّذي كان يقيم بشكل دائمٍ في العاصمة العثمانية اسطنبول، في مقدمة العاملين في هذا السبيل. لذا توثّقت صلات السلطان، عن طريق الصيّادي بعلماء طرابلس، وفي

(219) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، 230.

(220) محمد عارف ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 137.

طليعتهم الشيخ علي العمري، والمفتي مصطفى كرامه، **والشيخ حسين الجسر**، ودرويش شنبور، وعبد القادر المنلاّ، وقيصر نوفل، وأحمد إسماعيل، كبير آل المقدم، ومصطفى الأنجا وعبد اللطيف الصوفي[221].

طرابلس ومجلس المبعوثان

نصّ القانون الأساسي على إيجاد مجلسين، الأول للمبعوثان أو النواب والثاني للأعيان، ويجري انتخاب أعضاء الأول من الشعب على درجتين، ويعيّن السلطان أعضاء المجلس الثاني من أرباب الوظائف العليا ومن الوزراء السابقين ووجهاء البلاد وأعيانها [222].

ولمّا كان عهد الانتخاب جديداً على الطرابلسيين، و«أتت الأوامر من الولاية بوجوب انتخاب رجلٍ مسلمٍ ولكن يحسن التركية، ولمّا لم يكن بين المسلمين مَنْ يُحسن التركية جيداً سوى نقولا لطف الله نوفل، وكانت جرت العادة بتكليفه بقراءة الفرامانات الّتي ترد من الأستانة بالتركية، يتلوها على الأهلين ويفسّرها لهم بالعربية، لذلك اتجهت إليه الأنظار وتمّ الاتفاق على انتخابه ممثلاً لطرابلس في مجلس المبعوثان العثماني، وكان انتخابه لأكبر دليلٍ على اتفاق المسلمين والمسحيين، وذلك أنّ طرابلس، البلد المسلمة انتخبت لتمثيلها في أول مجلسٍ للنواب نقولا لطف الله نوفل المسيحي الأرثوذكسي»[223].

ولما طلع فجر العهد الجديد، عهد الحرية والدستور، انتقل نفوذ الحكم من السلطان ورجاله إلى الوزارة الّتي تحوز على ثقة المجلس النيابي.لذلك نشطت جمعية الإتحاد والترقّي قبل البدء بالانتخابات النيابية، وأسست لها فروعاً في مراكز الولايات والألوية وبعض الأقضية الهامة. فكان فرع طرابلس جامعاً عدداً

---

(221) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص230 و 231.

(222) سميح الزين: **تاريخ طرابلس...**، مرجع سابق، 316.

(223) المرجع السابق.

كبيراً من المثقفين، من جميع طبقات الشعب وشبابها خاصةً، دون أن يكون هنالك حزبٌ آخر، فمن لم يكن اتحاديا كان مستقلاً في الظاهر[224].

ظلّ وجهاء العهد الحميدي السابق، وفي طليعتهم العلامة الشيخ محمد الجسر، بعيدين عن السياسة زمناً، دون أن تبدر منهم بادرة عداءٍ للعهد الجديد. كما ظل المفتي رشيد كرامي، محافظاً على وجاهته وشعبيته معاً، بينما كان نجله الأكبر الشاب عبد الحميد يتردد كثيراً إلى النادي الإتحادي فيبادل أصدقاءه الكثر فيه، الأحاديث السياسية الوطنية والأدبية، محافظاً على إخلاصه لجميع صحبه، على اختلاف نزعاتهم السياسية[225].

وما أن أُعلِن الدستور، حتى جرت الانتخابات النيابية في العاصمة والولايات، واجتمع أول مجلس عمومي (برلمان) في مطلع كانون الأول 1908، وفاز بالنيابة في لواء طرابلس الأستاذ فؤاد خلوصي، التركي الأصل، خريج معهد الحقوق العثماني، وابن أحمد خلوصي أستاذ التاريخ في المدرسة الإعدادية. كما فاز بالنيابة أيضاً عثمان باشا ألمحمد، من كبار وجهاء قضاء عكار، وكلاهما مع نائب اللاذقية ينتمون حزبياً إلى جمعية الإتحاد والترقّي[226]. «وكان من الطبيعي أن يلعب الإتحاديون لعبتهم في إنجاح مرشحهم فؤاد خلوصي، وكان هذا النجاح لعبة مكشوفة بالنسبة للرأي العام الطرابلسي، إذ لم يكن من المعقول، أن يفضل الطرابلسيون الغريب والمغمور (فؤاد خلوصي) على القريب والمشهور (الشيخ محمد الجسر)»[227]. ولكن لم تلن عزيمة الشيخ محمد الجسر لهذا الإخفاق، بل قام بحملة شديدة في جريدة «طرابلس» التي كان يرأس تحريرها بعد وفاة والده، ضد الإتحاديين أزعجت الحاكمين وقضت مضاجعهم[228].

---

(224) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 231.

(225) المرجع السابق، ص 255.

(226) المرجع السابق.

(227) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 150.

(228) المرجع السابق.

وبعد أن اجتمع المجلس العمومي المؤلف من الأعيان والنواب في دوراته السنوية الأربع، مع تمديد مدّة الاجتماع في معظمها لإنجاز المهام المعروضة عليه وفي مقدمتها دراسة الميزانية، حُلّ بإرادة سنيّة في 5 كانون الثاني 1912، على أن تجري انتخابات نيابية جديدة ويفتتح المجلس في الخامس من نيسان؛ وقد جرت الانتخابات الجديدة في طرابلس على أساس ثلاثة مقاعد نيابية، بفضل زيادة عدد السكان، وسعى الإتحاديون لإنجاح مرشحهم فؤاد خلوصي النائب السابق، وصرفوا في هذا السبيل كلّ ما بوسعهم من جهود، فلم يحرزوا النجاح المطلوب بإزاء المرشحَيْن علاّمة طرابلس، **الشيخ محمد الجسر**، والوجيه المعروف سعد الله بك الملاّ، خريج المعهد الملكي الشاهاني ومحمد باشا ألمحمد، نائب عكار السابق، وهو اتحادي صريح، بينما يميل الأول والثاني إلى الجهة الإئتلافية، الّتي تشكّلت أخيراً لمناوءة الاتحاديين؛ وأسست فروعاً لها في معظم الولايات والألوية[229].

ويروي محمد نور الدين ميقاتي، وسيلة فوز الشيخ محمد الجسر بالنيابة لعام 1912 بقوله: «بحلول موعد الإنتخابات الثانية في عام 1912، درس المتصرّف الجديد راغب بك الذي حلّ مكان عزمي باشا، وضاع المرشحين للنيابة، وأجرى مقابلة مع الشيخ محمد الجسر، خرج بنتيجتها على قناعة بوجهة نظر الشيخ الجسر، إلاّ أنّ ما يعيق نجاحه بالنيابة هو موقفه السلبي من جمعية الإتحاد والترقي، فسعى لإقناعه بالإنخراط في عضوية الجمعية ليسهل عليه إقناع السلطة المركزية بقبول ترشيحه، فرفض الشيخ ذلك بإصرار، وبعد وساطات عدة جرت مع الشيخ قبل بتمثيل الجناح المعتدل في الجمعية تحت شعار (الإتحاد الحقيقي)، وعلى هذا فاز بالنيابة بما يُشبه الإجماع...»[230].

وبعد إعلان فوز المرشحين الثلاثة، ابتهجت طرابلس لهذه النتيجة السارة. ومما زاد في الابتهاج، أن أركان جمعية الاتحاد والترقّي كانوا في طليعة

---

(229) المرجع السابق، ص 255.

(230) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص151

المهنئين، مشاركين إخوانهم الطرابلسيين في أفراحهم بنوابهم الثلاثة. ولقد تكاملت هذه الأفراح بزيارة صاحب الغبطة بطريرك الروم الأرثونكس، غريغوريوس حداد لأبرشيته القديمة طرابلس، الّتي حفظت لعهده أجمل الذكريات، مقرونة بخالص الود والإعجاب بمزاياه العالية. وقد أمر بإقامة مأدبة فاخرة على شرف النواب المشار إليهم ودعا إليها المتصرف ونخبة من القوم ونثر على المائدة المقامة في دار المطرانية ما جادت به قريحته الفياضة من آيات الحكمة والثناء على نواب الأمة، مشيداً بالنبوغ الّذي تميّز به العلاّمة **الجسر**[231].

وهكذا ما إن جاء عهد الدستور، شاملاً حرية تأليف الأحزاب السياسية وأجراء الانتخابات النيابية في أوقاتٍ معينة، أصبح أبرز التناظر السياسي في طرابلس، والإختلاف في وجهات النظر قائماً بين الحزبين الرئيسيين، وهما: حزب ألإتحاد والترقّي المعروف وحزب الائتلاف الّذي تأسس سنة 1911، وجمع في صفوفه شمل معظم نواب العرب مع مختلف العناصر المعارضة للاتحاديين توصلاً لضمان ما أمكن من فوز مرشحي كل منهما[232]. وكان من المعروف عن هذين الحزبين، أن الأول كان ذا ميولٍ تقدميةٍ بعد أن جعل شعاره حرية ومساواةٍ وإخاء، بينما كان الحزب الثاني ذا ميولٍ محافظةٍ. ولكن ما تبين للناس، بعد استلام الإتحاديين السلطة في تركيا، أن حزب الإتحاد والترقي هو حزبٌ يمثل العنصرية الطورانية التركية بأبشع مظاهرها، والثاني يمثل فكرة الجامعة الإسلامية التي وضع أساسها السلطان عبد الحميد الثاني في أثناء حكمه المديد[233]. وقد تأسس في طرابلس فرع لحزب الإتحاد والترقي، وآخر لحزب الإئتلاف. كما قام بعض أبناء طرابلس الشباب من الذين كانوا يدرسون آنذاك في معاهد اسطنبول العالية بتأسيس نادٍ لهم في قلب العاصمة التركية، عرف باسم "**المنتدى الأدبي العربي**" كتعبير عن تمسكهم بهويّتهم العربية، وكان من أبرز

(231) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 255.

(232) المرجع سابق، ص 234.

(233) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 148.

أعضائه الطرابلسيين: عبد الستار السندروسي ومصطفى سعدي المنلا ومصطفى عادل الهندي والدكتور حسن رعد وعزت المقدم وعمر زكي الأفيوني[234].

لذا، لم تخلُ طرابلس كغيرها من المدن وبلدان المشرق العربي من تناظرِ العلماء والوجهاء، واختلافهم في المسائل الدينية والسياسية والمدنية. وكان التناظر بين العلماء قائماً في الغالب على التسابق في المكرمات وعمل الخير والتصالح الاجتماعي، وإتباع المسالك الدينية الصحيحة، كإلقاء الدروس الدينية والأدبية على طالبي العلم والمعرفة، والإنضواء في حلقات صغيرة أو كبيرة، في منازل المتقدّمين علماً ووجاهةً، ومعاشرة جميع الناس، والتودد إليهم. بينما الوجهاء، كان أثر تناظرهم يظهر عندما يحين موعد انتخاب أعضاء مجلس الإدارة في اللواء أو القضاء، ومجالس البلديات في المدن والقرى الكبرى، ثمّ يزول أو يختفي بعد نهاية الانتخاب، بفضل ما امتاز به الطرابلسيون من رقي في الخلق والاجتماع[235].

ومع بداية الحرب العالمية الأولى، وعلى أثر خسائر السلطنة العثمانية لحروبها في البلقان والمشرق العربي، أخذ الناس في طرابلس يتتبعون بترقبٍ وحيرةٍ الأحداث الجارية في جوارهم، ومن الأمور اللافتة للنظر آنذاك أنّ أغلبية علماء المدينة والوجوه والأعيان وحتى عامة الناس فيها، لم يكونوا مرتاحين لخلع السلطان عبد الحميد الثاني، الممثل لفكرة الجامعة الإسلامية بصفته خليفة المسلمين. لذا لخص الكاتب محمد نور الدين ميقاتي الوضع السياسي في مدينة طرابلس كما يلي:

«- السواد الأعظم من الطرابلسيين يتبنون فكرة الجامعة الإسلامية التي أطلقتها جمعية الإئتلاف، وإن لم يكونوا منتسبين لعضويتها، كالشيخ محمد الجسر وغيره.

---

(234) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(235) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 234.

– فريق من الشباب المتحمس، ومن الذين نكبوا وعذبوا في العهد الحميدي، يتبنون الأفكار التقدمية التي أطلقتها جمعية الإتحاد والترقي، وذلك قبل ظهور نواياها الطورانية العنصرية.

– قلة من الشباب المتعلم المنتسبين إلى المنتدى الأدبي، أو المتشيعين له من الطلاب، كانوا ينتحلون فكرة استقلال البلاد العربية عن جسم السلطنة العثمانية»[236].

ولكن خلال سير معارك الحرب العالمية الأولى، لم تتأثر طرابلس كثيراً بنكبات هذه الحرب نظراً لبعدها عنها، "غير أنّ بعض الجهلاء المأجورين وزّعوا نشرات وعرائض مطبوعة لإثارة حماس الآهلين وبذلهم المال والدماء في سبيل نصر دولة الخلافة الإسلامية على أعدائها الكفرة (المقصود بهم هنا الطوائف المسيحية). فهب العلماء والوجهاء مستنكرين هذا التعبير وعهدوا إلى زعيم الثقافة والحضارة، **محمد الجسر**، ترؤس لجنة منهم لزيارة إخوانهم المسيحيين لمبادلة العواطف الودية وتأييد الروابط الأخوية. فكان للزيارة الوقع الحسن، وردد الجميع ما بدأه **العلامة الجسر** بأسلوبه البديع من أنّ إثارة النعرة الدينية، مهما كان الدافع إليها، لا تلقى إلا صدى الاستنكار من الرأي العام وإنّ الإخاء لإسلامي المسيحي كان وسيبقى إلى الأبد شعار طرابلس الشام "[237].

وبعد دخول الفرنسيين إلى لبنان كمنتدبين من قبل عصبة الأمم نشطت الحياة السياسية في المدينة. حيث رفضت طرابلس بزعامة عبد الحميد كرامي لهذا الانتداب، وبالتالي للتقسيمات الإدارية التي أعلنها المفوض السامي الفرنسي إذ ذاك الجنرال غورو(GOURAUD) في عام 1920 بإنشاء دولة لبنان الكبير، وضمّ أقضية البقاع الأربعة إليها أي بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا، بالإضافة إلى أقضية طرابلس والضنية وعكار وبيروت وصيدا وصور ومرجعيون. فمنذ

(236) محمد نور الدين ميقاتي: طرابلس في النصف الأوّل...، المرجع السبق، ص 149.

(237) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 254.

ذلك التاريخ بدأ الصراع بين الطرابلسيين والفرنسيين، ذلك الصراع الّذي استمرّ حتّى عام 1943، تاريخ جلاء الفرنسيين عن سورية ولبنان[238].

الثقافة

كان في طرابلس من معاهد التعليم والتربية ما هو حكومي مجاني وما هو خاص، يستوفي من طلابه أجور معتدلة. ومن أهمها: المكتب الإعدادي ودونه المدارس الرشدية والابتدائية. ومن القسم الثاني، المدرسة الوطنية الّتي أسسها الشيخ حسين **الجسر**، وقد اشتهرت بإتقانها تعليم النحو والبيان بالإضافة إلى مبادئ الفقه الشرعي. أما المدارس الخاصة، فمنها الابتدائية والإعدادية، لكل طائفةٍ من الطوائف المسيحية، والثانوية الأميركية للذكور والابتدائية للإناث، وقد قامت بفضل المحسنين من الأمريكان، حيث تُدرّس فيها العربية والإنكليزية على السواء، وثانويتان فرنسيتان يدير أوّلهما رهبان أخويّة المدارس المسيحية **(Les frères)** والثانية راهبات تعاونهن معلّمات وطنيات[239]. وكان كلّ من رغب من خريجي المدارس السالفة الذكر في التحصيل العالي يذهب إلى بيروت أو إلى العاصمة (اسطنبول)، حيث توجد كليات الحقوق[240] والطب والصيدلة والهندسة والعلوم الإدارية. وقد عاد معظم هؤلاء الراغبين إلى وطنهم حاملين شهاداتهم، وأخذوا يعملون بنجاحٍ كلّ في دائرة اختصاصه.

الصحافة

إن الصحافة هي مرآة الشعب، فإذا ارتقى ارتقت وإن تأخر تأخرت. وهي إمّا أن تكون مستقلة وعلى نسبة رقي القائمين عليها علماً وخبرةً وخلقا مما يضمن رقيها ويعلو شأنها، وإمّا أن تكون لسان جماعةٍ أو حزبٍ ومذهبٍ، أي تكون مختصّة بحزبٍ أو جمعيةٍ أو شركةٍ أو صاحب مالٍ وفيرٍ، فعندها تكون

---

(238) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 137.

(239) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 137

(240) المرجع نفسه.

لسان حال المرجع الّذي يغذّيها ويشرف عليها ويوجّه سياستها، ويصبح مصيرها مرتبطاً به رواجاً أو كساداً، علواً أو هبوطاً. وفي طرابلس كان معظم الصحف والمجلات من النوع الأول، فمجلة "**المباحث** "، لصاحبيها جرجي وصموئيل ينّي، قد ساهمت كثيراً في نشر النهضة العلمية في طرابلس وملحقاتها وكانت كثيرة الانتشار خارج قضاء طرابلس آنذاك(241).

أمّا الصحف اليومية الإخبارية، فأقدمها جريدة "**طرابلس**" لصاحبها محمد بك البحيري، المحافظة على إخلاصها للعهد ألحميدي، ولكن، بعد إعلان القانون الأساسي وتطبيقه عام 1908، أصبحت لسان حال حزب الائتلاف المعارض للاتحاديين، وقد راجت رواجاً كبيراً بفضل رئيس تحريرها العلامة الشيخ **محمد الجسر**، الذائع الصيت(242).

- وقد ظهر، بعد إعلان الدستور وتأسيس نادي ألإتحاد والترقّي في الفيحاء، جريدة "**البرهان**"، فكانت لسان حال النادي المذكور،وقد عهد بإصدارها ورئاسة تحريرها إلى الأديب اللغوي الشيخ عبد القادر المغربي، الّذي أصبح فيما بعد رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق (العاصمة السورية) وقدّم لأمّته العربية أجلّ الخدمات(243).
- ومع نهايةِ الحرب العالمية الأولى، كان يوجد في طرابلس ثلاثة مطابع هي: مطبعة "**البلاغة**" الّتي أسسها "محمد كامل البحيري"، سنة 1892م والثانية مطبعة "**الحضارة**" الّتي أسسها "جرجي ينّي" بعد إعلان الدستور(244)، والثالثة مطبعة "**تاصيف طربيه**". أمّا الجرائد فهي(245):

---

(241) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 232 ــ 233.

(242) المرجع السابق، ص 233.

(243) يوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص233 و 234.

(244) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت، القسم الشمالي**، مرجع سابق، ص 262.

(245) محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت: **ولاية بيروت، القسم الشمالي**، مرجع سابق، ص 262. ويوسف الحكيم: **سورية والعهد العثماني**، مرجع سابق، ص 234 و 233. و محمد نورالدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 147.

- جريدة "**طرابلس**"، أسسها "محمد كامل البحيري" صاحب مطبعة "البلاغة" سنة 1893، وهي جريدة دينية واجتماعية وسياسية وتاريخية وأدبية، كانت تصدر تارة يومية، وأخرى أسبوعية.
- مجلة "**المباحث**"، أسسها "جرجي ينّي"، وهي مجلة تاريخية واجتماعية وأدبية.
- "**الوجدان**"، وهي أسبوعية، سياسية اجتماعية، أسسها سامي صادق بعد إعلان الدستور. كانت وطنية تقدمية النزعة.
- "**الحوادث**"، وهي جريدة دينية وتاريخية اجتماعية، أسبوعية، أسسها "لطف الله خلاّط"، المعروف بصدقه في القول والتزام جانب الحق في السر والعلانية كانت وطنية النزعة معادية للعثمانيين. وقد ظلّت وطنية محافظة على حيادها بإزاء مختلف الأحزاب والنزعات، وكان في طليعة محرريها الأديب الشاعر سابا زريق.[246]
- "**البرهان**"، أسبوعية، أسسها "عبد القادر المغربي". كانت تناصر الإتحاديين، وتدعو إلى الإصلاح وتحرير المرأة.
- "**البيان**"، شهرية، وهي مجلة دينية اجتماعية، أسسها "جميل عدره".
- "**الرغائب**"، أسبوعية، أسسها "حكمت شريف". وكانت تدافع عن الإصلاح وعن حزب الإتحاد والترقي.
- "**المدلل**"، أسسها "الشيخ منير الملك"، وهي هزلية ومزاحية.
- " **الأجيال** "، أسسها "توفيق اليازجي". كانت لسان حال الشباب الحر الراقي في طرابلس وملحقاتها، لذلك كانت مناصرة للعهد الجديد، عهد الحرية والدستور
- "**السعدان**"، وهي مزاحية هزلية، أسسها صلاح الدين مراد.
- " **شمس الإتحاد**"، أسسها "عبد الرحمن عز الدين".

---

(246) يوسف الحكيم: سورية والعهد العثماني، مرجع سابق، ص 233.

وفي عهد الانتداب الفرنسي "صدرت عدة صحف مختلفة الإنتماء، منها المناوئ للفرنسيين كجريدة "**الصباح**" لصاحبها سليم غنطوس، و"**صدى الشعب**" لصاحبها الأمير أسعد الأيوبي، ولم تكن من جريدة تناصر الفرنسيين سوى جريدة "**الرقيب**" لصاحبها اسكندر نصر. ثم صدر بعد ذلك عدة صحف أسبوعية على التوالي منها "**صوت الفيحاء**" لصاحبها رهيف الحاج، و"**الحضارة**" لصاحبيها أنور عدره ورياض الدلبيز، و"**الرائد**" لمؤسسها جبر جوهر، جريدة "**الشباب**" لصاحبها سميح القصير، و"**صدى الشمال**" لمؤسسها فريد أنطون، و"**التمدن**" لصاحبها سليم المجدوب. أما الجرائد اليومية، فكانت جريدتين: الأولى "**الأخبار**" لياسر الأدهمي، والثانية "**الإنشاء**" لمحمود الأدهمي[247].

وهكذا نشأ الشيخ محمد الجسر ودرّس وعَمِل في مجتمع شهد تناظراً سياسياً كبيراً، كما شهد نهضة صحفية وثقافية وحركة تعليمية عصرية تحاكي الثقافات والفلسفات والحضارات الأوروبية الحديثة، بالإضافة إلى معايشته سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية وخلو مركزها لعدم توفّر الخليفة المؤهل لمنصبها الديني والإسلامي.

---

(247) محمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 156 و 157.

علاقة الشيخ محمد بأهالي طرابلس

لم يكن الشيخ محمد من أنصار الوحدة مع سورية، كما هي حال بقية الزعماء المسلمين، وعلى رأسهم الزعيم الطرابلسي عبد الحميد كرامي الذي كان الشيخ محمد، في البداية، ينسّق معه ويدعوه مع غيره من أعيان طرابلس إلى ضرورة الاندماج في دولة لبنان الكبير، لما في هذا الاندماج من مصلحة للمسلمين في طرابلس خاصة ولجميع أهاليها عامةً. لذا كان الشيخ محمد يحاول دائماً احتواء المعارضة الطرابلسية للانتداب الفرنسي وتوجيهها نحو مسارها السليم الهادف إلى اندماج طرابلس، مدينة ومواطنين في المجتمع اللبناني الجديد، ومحمّلاً السياسة الفرنسية في البلاد السورية مسؤولية تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المدينة، ونكوثها بالوعود التي أغدقتها على اللبنانيين في سبيل كسب تعاونهم وعدم محاربة انتدابها.

وكان الشيخ محمد يرى بأن حركة الإنفصال التي يقودها بعض أطراف المعارضة لدولة لبنان الكبير في كل من طرابلس وبيروت وصيدا وجبل عامل، ما هي إلا حركة للمطالبة بمراكز ووظائف حكومية[248].

وفي مجال معارضته وشجبه للمواقف الطرابلسية المطالبة بالإنفصال عن دولة لبنان الكبير، ينتقد الشيخ محمد مواقف صبحي بركات، قائد حركة الإتحاد السوري، الذي يشجع الطرابلسيين على التمرد والإنفصال عن دولة لبنان الكبير

(248) يوميات الشيخ محمد الجسر لعام 1923، 9 كانون الثاني، ص 4 ، 5.

والإنضمام إلى حركته. كما ينتقد، أيضاً، مواقف المفوضية الفرنسية العليا على تعاطيها السلبي مع مدينة طرابلس، ومع جدية مطالبة بعض زعمائها بالإنفصال، وعدم الاهتمام بإنصاف أبناء المدينة ببعض الوظائف الحكومية اللازمة لاندماجهم بالمجتمع الجديد. ولقد اعتبر الزيارة التي قام بها المفوض الفرنسي والحاكم الإداري لمدينة طرابلس بتاريخ 23 كانون الثاني 1923، خطأً إدارياً وسياسياً، لأنها هيَّجت الشارع الطرابلسي ضد الفرنسيين وزادت من حدة مطالبة الأهالي بالإنفصال عن دولة لبنان الكبير والإنضمام إلى الإتحاد السوري المزمع إقامته. وهكذا أضرت الزيارة بعلاقة المدينة وأهاليها بدولة لبنان الكبير[249]. وبالفعل، لقد خرج سكان طرابلس والميناء في تظاهرةٍ كبيرةٍ إلى ساحة السراي، محتجين على زيارة المفوض السامي الفرنسي والحاكم الإداري العام، وطال احتجاجهم مسألة ارتباطهم بدولة لبنان الكبير. كما قام وفدٌ من المتظاهرين بمقابلة الحاكم العسكري، حيث قدّم له مذكرة تطالب بانفصال طرابلس الفعلي عن دولة لبنان الكبير، وانضمامها إلى الداخل السوري. وفي المقابل، قام وفدٌ آخر من أبناء المدينة، بتقديم مذكرة تعاكس الإنفصال، وتطالب باندماج طرابلس بدولة لبنان الكبير، وإنصافها في الوظائف الحكومية، كباقي مناطق بيروت وجبل لبنان[250].

وفي مجال انتقاده للإنفصاليين في طرابلس، يكرر انتقاده للإدارة الفرنسية الانتدابية لعدم تفهّمها مطالب المسلمين وإنصافهم في الوظائف الحكومية، وفي الإدارة اللبنانية. كما يكرر انتقاده للإنفصاليين المسلمين، ولانقسامهم إلى حزبين: حزب يريد الإلتحاق بالعرب وبالخلافة الإسلامية على طريقة الخلافة التركية السابقة، ولكن بنظره كان عدد أعضاء هذا الحزب قليلاً. وحزبٌ آخر يحبذ الوحدة مع سورية لأن زعماءه متضررون من سيطرة الموارنة آنذاك على الإدارة اللبنانية في دولة لبنان الكبير[251].

---

(249) **يوميات 1923**، مصدر سابق، الخميس والثلاثاء في 18 و23 كانون الثاني، ص 11 و 16.

(250) المصدر السابق، الأربعاء في 24 كانون الثاني، ص17.

(251) **يوميات 1923**، مصدر سابق، الأربعاء في 24 كانون الثاني، 17.

لذا كان يرى أنه من الخطأ استمرار إصرار الطرابلسيين على مطالبتهم بالانفصال عن دولة لبنان الكبير. لأنّ هذا الإنفصال، لن يؤدي إلا إلى المزيد من خسارة أبناء طرابلس للوظائف الحكومية والخدمات الاجتماعية والإدارية. ولأنّ لا فائدة للطرابلسيين من المطالبة بالإنفصال، فالفائدة لهم ولمدينتهم أن يطالبوا بتشكيل متصرفية شمالية، قوامها: طرابلس والميناء وعكار والضنية[252] ويكون مركزها طرابلس، وترتبط مباشرة بنظارة الداخلية[253]. فعندئذ تدخل طرابلس لبنان الكبير راضية مرضية، وتضمحل فيها الخلافات الطائفية، ويصبح شمالي لبنان لواءً مستقلاً (محافظة)، وذلك بعد أن تضمّ إليه أقضية البترون وبشري وزغرتا والزاوية. وتأكيدا لصدق موقفه هذا قدّم الشيخ محمد، عام 1923، بصفته ناظراً للداخلية(وزير)، إلى الحاكم الفرنسي العام مشروعاً بهذا الخصوص[254]. فأصدر الحاكم الفرنسي قراراً بتاريخ 19 آذار1923، بجعل طرابلس متصرفية (محافظة) مستقلة ترتبط مباشرة بوزارة الداخلية. وذلك لأن اللجنة الإدارية (المجلس التمثيلي اللبناني – النيابي عام 1923) لم توافق على جعل منطقة لبنان الشمالي التي هي الآن محافظة إدارية، أن تكون آنذاك محافظة مستقلة. وما كان من الشيخ محمد، كوزير للداخلية، إلا أن خصص لهذه المحافظة الجديدة ميزانية مالية محترمة[255]. وهكذا منذ لحظة دخوله نظارة الداخلية عام 1922، وضع الشيخ محمد نصب عينيه مسألة إعلاء شأن مدينة طرابلس، وتحقيق اندماجها في الكيان اللبناني الجديد.

وترصد يوميات الشيخ محمد مواقفه المدافعة عن حقوق المسلمين في طربلس، ومطالبته بضرورة اندماج أهالي المدينة في مجتمع دولة لبنان الكبير، وإدارتها كي ينالوا حقوقهم الوظيفية والمدنية الأساسية، على قدم المساواة مع

---

(252) الضنيّة: هي إحدى أقضية طرابلس تقع شمالي شرقي طرابلس.

(253) **يوميات 1923**، مصدر سابق الأربعاء في 24 كانون الثاني، ص17

(254) **يوميات الشيخ محمد لعام 1923**، الخميس والاثنين في 18 و24 كانون الثاني، والجمعة والسبت في 9 و 10 آذار، ص 18، 21 و 23 و 59 و 61 و 62.

(255) **يوميات الشيخ محمد لعام 1923**، الخميس في 25 كانون الثاني، ص 18، والسبت في 10 آذار 61 و 62.

سائر الطوائف اللبنانية الأخرى، ولا سيما المسيحية منها. وعلى سبيل المثال، في 10 كانون الثاني سنة 1923، اتصل عبد الحميد كرامي بالشيخ محمد، ليخبره أن المستشار الإداري الفرنسي في طرابلس، أنبأه عن إشاعة صادرة عن المفوضية الفرنسية العليا في بيروت، تهدف إلى اعتقاله وزجه في السجن. وبسبب هذه الإشاعة تم توقيع العرائض في طرابلس المطالبة بالإنفصال عن دولة لبنان الكبير، وإنه، أي عبد الحميد كرامي، يريد أن يخرج من طرابلس، كما يريد من الشيخ محمد مقابلة الحاكم الإداري الفرنسي في بيروت والسعي لديه لاستيضاح الأمر[256].

وفي يومياته، يتابع الشيخ محمد، انتقاد خطة المفوضية الفرنسية، بوعودها المتكررة للطرابلسيين بالانفصال عن دولة لبنان الكبير والانضمام إلى الاتحاد السوري. حيث اعتبر الشيخ محمد، بناءً لنصيحة عزمي باشا والي طرابلس إبّان الحكم العثماني للمدينة، أنّ الحكومة اللبنانية العاملة بتوجيهات المفوضية الفرنسية، عمدت إلى تغذية الخلافات والنعرات الطائفية الطرابلسية، وإلى تشجيع الانفصال الطرابلسي في سبيل تذليل العقبات أمام قيام الوطن القومي المسيحي. ويفنّد الشيخ محمد مواقف المفوض السامي بالوكالة روبير دي كيه (Robert de CAIX) العامل على تحقيق الوحدة السورية وإنشاء الوطن القومي المسيحي في جبل لبنان، وذلك بعد سلخ مقاطعات طرابلس وعكار والبقاع وجبل عامل عنه، وإعادتها إلى الإدارة السورية الموحدة، وإنشاء ما يعرف بالاتحاد السوري[257].

كما يفرد في يومياته أيضاً، صفحات كثيرة لوصف زياراته المتكررة إلى طرابلس وإعادة التواصل مع أهاليها وأصدقائه فيها، وفي زغرتا وبشري واهدن والكورة والبترون، ومع صديقه البطريرك الياس الحويّك في الديمان[258]. وكان دائماً يوصي أهالي طرابلس بإقامة أفضل علاقات حسن الجوار والاندماج الوطني مع القرى المختلطة الطوائف (الإسلامية-المسيحيّة) المحيطة بطرابلس

---

(256) **يوميات الشيخ محمد**، مصدر سابق، 10 كانو الثاني، ص5 و 6.

(257) المصدر السابق، الاثنين في 5 شباط، ص 29.

(258) الديمان: هو المقر الصيفي للبطريرك الماروني قرب بشرّي شمال لبنان.

في أقضية زغرتا والضنية والكورة وعكار. كما كان يوصي المجلس البلدي فيها بالمحافظة على أخلاقيات المدينة، والتشدّد في السهر على مراقبة المقاهي والملاهي الليلية وردع كل ما ينافي الأخلاق ويخدش الآذان من الكلام البذيء[259].

وفي طرابلس، كان الشيخ محمد ينشد الحنان والأخوّة والصداقة ويأنس لأهاليها، فيبات لياليه في داري أخيه نديم وأخته فاطمة، ويتنقّل في أزقة المدينة مسترجعاً ذكريات طفولته وصباه وشبابه، ومستسلماً لحفاوة أهل المدينة وضيافتهم ومآدبهم الشهية وحلوياتهم العربية الطيبة، ومعرجاً على جوامع طرابلس متعبداً مصلياً وملتقياً بإخوانه ومريديه وأتباعه السابقين في الطريقة الخلوتية الصوفية. ولأنّه كان يحن دائماً إلى بلدته أو بلده طرابلس، كما كان يسميها لذا تكررت زياراته إليها[260]، ليتفقد أماكنها الأثرية، وجوامعها ومساجدها والصلاة فيها مع أترابه وأصدقائه. كما يزور سراي المدينة ويجتمع إلى حاكمها الإداري ورئيس البلدية والمسؤولين في المدينة، ويرشدهم بأهمية إقامة أفضل وأحسن العلاقات مع الجوار المسيحي في بلدات زغرتا والزاوية، وبضرورة إعطائهم قسماً من مياه الشرب التي تصل إلى المدينة من نبع رشعين. وفي كل مرة يزور طرابلس كان ينزل في بيت أخيه نديم أو أخته فاطمة، ويجتمع بأصدقائه ورفقة صباه وشبابه كالشيخ منير الملك، وأمين عز الدين، ووديع نوفل، وأحمد الرافعي، وعثمان باشا، والدكتور بيبي، والشيخ أمين الحافظ[261].

وقبل أن يعود إلى طرابلس في السابع عشر من أيار، سعى لدى وزيري الصحة والمالية في دولة لبنان الكبير إلى تامين ملجأ ومستوصف للمسلمين في

---

(259) **يوميات 1923**، السبت في 10 آذار والسبت في 21 آذار، ص 61 و 62 و 78.

(260) **يوميات 1923**، مصدر سابق، الجمعة والسبت في 30 و 31 آذار، والأحد والاثنين في 1 و 2 نيسان، والخميس والجمعة والسبت والأحد والإثنين في 17 و 18 و 19 و20 و 21 أيار، والأحد والاثنين والثلاثاء في 3 و 4 و 5 حزيران، والخميس والجمعة والسبت والأحد والاثنين في 13 و 14 و 15 و 16 و 17 أيلول، والاثنين والثلاثاء والأربعاء في 15 و 16 و 17 تشرين الأول، ص 77 و 78 و 79 و 105 و 106 و 107 و 133 و 134 و 172 و 173 و 174 و 175 و 197 و 198.

(261) المصدر نفسه والصفحات نفسها.

طرابلس وطبيب دائم مسؤول عنه[262]. وفي هذه الزيارة الأخيرة التي اصطحب معه أولاده الصبيان عدنان وحسين وحسن ورشاد، وجد أن أهالي طرابلس خائفون على مستقبل مدينتهم من الفرنسيين وسياستهم الإدارية تجاههم. ورأى أن لا سبيل لهم سوى التشكي من معاملة دولة الانتداب لهم، وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة. وفي هذه الزيارة، التي امتدت لمدة خمسة أيام، تناول، بعد صلاة الجمعة في الجامع المنصوري الكبير، طعام الغداء إلى مائدة آل البحيري، أصحاب جريدة "**طرابلس الشام**"، التي كان يرأس تحريرها بعد وفاة والده الشيخ حسين. واجتمع في منزل آل البحيري بصهرهم الجديد الأمير أسعد الأيوبي صاحب جريدة "صدى الشعب"، ثم قام بجولة زيارات مجاملة لأصدقائه، فشملت منازل كل من: توفيق ناجي، ووديع نوفل، وأحمد الرافعي، وعثمان باشا، والدكتور بيبي، والشيخ أمين الحافظ. كما زار المولوية[263]، وتناول العشاء في منزل المفتي عبد الحميد كرامي. وقبل عودته إلى بيروت في مساء 21 أيار 1923، زار منزل ابن عمه مصطفى الجسر[264].

وفي3 حزيران1923، عاود الشيخ محمد زيارة طرابلس من أجل بحث قضية شركة الميناء الفرنسية (الكورنبلات) مع المسؤولين في المدينة، وخاصة مع محافظها وحاكمها الإداري عبد الحليم الحجار، حيث طلب منه الاهتمام بتعيين موظفين ومأمورين من الطرابلسيين في ملاك الشركة. وفي يومياته يتحدث عن مدة الرحلة التي استغرقت ثلاث ساعات آنذاك، وعن نوعية وسيلة النقل المعتمدة لذلك وهي سيارة صديقه الشيخ منير الملك، وعن مباحثاته مع عبد الرزاق مراد، والإقامة في منزل أخيه نديم والنوم فيه بعد السهر في المولوية[265].

---

(262) **يوميات 1923**، المصدر السابق، الأربعاء في 25 نيسان، ص 93.

(263) **المولوية**: بناء قديم قائم في محلة أبي سمرا على ضفة نهر ابي علي، وهو كناية عن منزل كبير عادي في وسطه قاعة مربعة الشكل مخصصة لإقامة حفلات الفتلّ على طريقة جلال الدين الرومي مؤسس الفرقة المولوية في طرابلس.

(264) **يوميات1923**، المصدر السابق، من ظهر الخميس الواقع فيه 17 أيار إلى مساء الإثنين في 21 أيار، ص105 و 106 و 107.

(265) **يوميات 1923**، المصدر السابق، الأحد والإثنين في 3 و4 حزيران، ص 114.

وكدليل على اهتمام الشيخ محمد بطرابلس وأهاليها، يكرر زياراته للمدينة وتأمين اصدار القرارات اللازمة لذلك من الحاكم الفرنسي وإدارة دولة لبنان الكبير، أو تهيئة الظروف الملائمة لزيارات المفوض السامي إلى المدينة. فيحلو له السهر مع أصدقائه، ويمارس واجباته الدينية، ويزور قبر والده، ويعرج على السراى الحكومية ليتباحث مع المسؤولين فيها في شؤون المدينة ومسألة تقدمها وتطوير بناها الإدارية والسياحية.وفي طرابلس استمع للمفوض الفرنسي السامي ووعوده الكثيرة بالاهتمام بتطوير المدينة[266].

وفي 13 أيلول زار طرابلس برفقة كسروان الخازن والتقى على مائدة متصرف الشمال،جبران نحاس، المعمر(الكبير في العمر) الطرابلسي لطفي نوفل الذي كان عمره، آنذاك 80 سنة. ثم زار الديمان مقر البطريركية المارونية الصيفي قرب بلدة بشري، ونام في منزل أخيه نديم الصيفي في بزعون، كما زار دار يوسف كرم ومنزل طنوس جعجع وتناول الطعام على مائدته، ثم انتقل إلى إهدن ونزل في فندق البلدة الذي بناه أسعد كرم، وزار منزل صديقه وديع طربيه وتناول العشاء عنده في دار آل كرم القديمة، ونام في نفس الغرفة التي نام فيها الملك الفرنسي لويس الثامن عشر عندما جاء زائراً إلى سورية وكان ما زال أميراً. وفي إهدن زار ميشال معوض ونبع مار سركيس، وتناول الغداء إلى مائدة الشيخ كسروان الخازن، واستمع إلى غناء المطرب محمد البرعي الذي تعلم الغناء في أمريكا على الطرق الفنية الإيطالية، وفي 17 أيلول، زار زغرتا وعاد سليم طربيه في منزله بعد حادث السيارة الذي تعرض له، لينتقل من هناك إلى طرابلس ويصلي في جامع التل، ويزور قبر والده، ليعود بعدها إلى بيروت.[267]

ورغم ان الشيخ محمد كان من أركان دولة لبنان الكبير، وأحد وزراء حكوماتها باستمرار من سنة 1923 إلى سنة 1926، إلاّ أنه كان من

---

(266) **يوميات 1923**، المصدر السابق، الإثنين والثلاثاء في 9 و10 تموز، ص 133 و 134.

(267) **يوميات 1923**، المصدر السابق، الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد والإثنين في 12 و 13 و 14 و 15 و 16 و 17 ايلول، ص و 172 و 173 و 174 و 175.

المنتقدين بشدة لسياسة المفوض السامي الفرنسي والحاكم الإداري العام تجاه مدينة طرابلس.فبنظره، كانت الحكومة اللبنانية في بيروت بقيادة الحاكم الإداري الفرنسي تعضد وتساعد راشد المقدم وعمر العمر للقيام بأعمال الشر والشغب في طرابلس، وخاصة ضد أنصار عبد الحميد كرامي، لذلك كان رجال الأمن والدرك يخافون منهما[268].

وفي 15 تشرين الأول من سنة 1923، زار الشيخ محمد برفقة كل من عمر الداعوق وجميل بيهم من أعضاء المجلس التمثيلي اللبناني (النيابي)، بلده طرابلس، وذهب الثلاثة مباشرة إلى منزل عبد الحميد كرامي، حيث تناولوا الطعام إلى مائدته. وفي هذه الزيارة بقي الشيخ في طرابلس ثلاثة أيام، فاستقبل في مساء اليوم الأول أهالي المدينة في دار أخيه نديم، وفي اليوم التالي زار منزل أخته، واجتمع في دار الحكومة (السراي) بالحاكم الإداري والمأمور الفرنسي، ومن هناك توجه إلى مركز البلدية، ثم إلى دار القاضي أمين عز الدين، وعرج على مركز المفوضية الفرنسية في طرابلس. وفي اليوم الثالث زار قبر والده ودار أخته وقام بواجب الزيارة لبعض الأصدقاء القدامى، ولبى دعوة عبد اللطيف البيسار في القبة، وفي العصر نزل إلى محل مصطفى عز الدين لينتقل من هناك إلى بيروت[269]. وفي كل مرّة كان الشيخ محمد يزور طرابلس، كان يجتمع إلى المفتي عبد الحميد كرامي ويتناقشا معاً بأمور المدينة وشؤونها الدينية والعلمية والسياسية والاقتصادية، حتى أنه في بعض الأحيان كان يقصد مباشرة دارة آل كرامي كما جرى في 15 تشرين الأول 1923[270].

وكان للشيخ محمد موقف مؤيد لانتخاب عبد الحميد كرامي مفتياً عن طرابلس بعد موت والده رشيد مصطفى كرامي عام 1913. كما استطاع بقوة شخصيته وبالنفوذ الذي أعطاه إياه الفرنسيون، ووجاهته في طرابلس، من التخفيف كثيراً من معارضة عبد الحميد كرامي للفرنسيين والمطالبة بإلحاق

---

(268) **يوميات 1923**، المصدر السابق، ص 194.

(269) **يوميات 1923**، الإثنين والثلاثاء والأربعاء في 15 و 16 و 17 نيسان، ص 197 و 198.

(270) **يوميات 1923**، المصدر السابق، ص 197.

طرابلس بسورية. فاستمرت علاقات الاحترام المتبادلة بين الشيخ محمد الجسر وعبد الحميد كرامي، حيث آثر الشيخ محمد عدم التصدي لمواقف كرامي المناهضة للفرنسيين. بل كان يوصي أصدقاءه في طرابلس بعدم القيام بأي عمل من شأنه إضعاف الزعيم كرامي لاعتقاده بالضرر البالغ الذي سيلحق بطرابلس من تشتت آراء أبنائها فيقول: «إنه لولا هذه المعارضة لما كان باستطاعتي أن أحصل من الفرنسيين على حقوق أبناء بلدي طرابلس. فلو لم يكن هناك عبد الحميد كرامي علينا أن نخترع عبد الحميد كرامي»[271]، وذلك لأنّ الفرنسيين عندها يضطرون للقبول بالجسر ممثلاً للمسلمين بطرابلس، ويقدّمون لأبنائها بعض الخدمات الإدارية والاجتماعية والصحيّة والثقافيّة.

وعندما هدّدت الحكومة الانتدابية الفرنسية، عبد الحميد كرامي بالاعتقال عام 1924، خلال زيارته لبيروت، ترك الشيخ محمد الجسر أعماله وانتقل إلى منزل النائب عمر الداعوق لرؤية كرامي وتطييب خاطره والوقوف إلى جانبه. كما أنه عندما اعتقلت سلطات الانتداب الفرنسي عام 1926، عبد الحميد كرامي وسجنته في جزيرة أرواد، آثر الشيخ محمد، عندما كان رئيساً لمجلس الشيوخ، الذهاب بنفسه إلى أرواد للعمل على الإفراج عن كرامي واصطحابه إلى بيروت[272].

وبعدها تكررت الاجتماعات السرية بين الزعيمين الطرابلسيين والاتفاق على تناوب الأدوار وتوزيعها في مهادنة الانتداب الفرنسي ومعارضته، قويَ مركز الشيخ محمد عند الفرنسيين والمسيحيين اللبنانيين، وجعله قادراً على تحقيق المزيد من الخدمات العامة والخاصة للمسلمين ولأبناء بلدته طرابلس.

ولكن، ما كان يؤلم الشيخ محمد هو التهجّم الشخصي والتجنّي عليه في المناسبات العامة من قبل خطباء المساجد بتحريض من المعارضة الطرابلسية. غير أن تألمه لم يحوّله إلى عدو لأبناء مدينته، ولم يبعث في نفسه أي حقد، أو

(271) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر...»، مرجع سابق، ص 208-209.

(272) جريدة «المعرض الأسبوعية»، العدد 17 أيلول – كانون الأول 1926، ص 7.

رغبة في الانتقام ممن كان يتهجّم عليه، بل كان يمدّ يد العون إلى بعض أخصامه السياسيين مالياً ومعنوياً، ويرسل المساعدات الشهرية لطالبي العلم من أبناء مدينته. كما سعى بكل ما أوتي من نفوذ وسطوة إدارية وسياسية إلى تزويد مدينة طرابلس بمياه الشرب وتعيين الموظفين الكفوئين فيها[273].

وبالمقابل، استمر عبد الحميد كرامي بمهاجمة الشيخ محمد بسبب تعاونه مع الفرنسيين، وبسبب إصراره على خوض معركة رئاسة الجمهورية لعام 1932. وتأكيداً لمعارضته هذا الترشيح، قام عبد الحميد كرامي في آذار 1932 بزيارة البطريرك الماروني أنطوان عريضة في بكركي للسعي لديه التدخّل لدى المفوضية الفرنسية ومنع ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية. ولقد كان لهذه الزيارة وقعها الايجابي لدى مسيحيي طرابلس خاصة، ومسيحيي لبنان عامة وتأثيرها السلبي لدى المسلمين[274]، وخاصةً وأنّ الشيخ محمد كان خسر صداقة بكركي وتأييدها بعد وفاة البطريرك السابق صديقه الياس الحويّك.

وفي ظلّ هذه المشاحنات السياسية العامّة والطرابلسية الضيّقة، استطاع النائب اللبناني الأمير أمين ارسلان التوفيق بين الزعيمين الطرابلسيين، فجَمَعَهما في منزل النائب عمر الداعوق في بيروت[275]، مما انعكس هذا الاجتماع إيجاباً على موقف الوطنيين والعروبيين الطرابلسيين الذين رحبوا بالاجتماع، وأعلنوا تأييدهم للشيخ محمد الجسر. وأرسلوا برقيات التأييد إلى المفوضية الفرنسية العليا ووزارة الخارجية في باريس وإلى عصبة الأمم المتحدة في جنيف، يطالبون فيها بانتخاب الشيخ محمد الجسر، صديق فرنسا المخلص، رئيساً للجمهورية اللبنانية أو الوقوف على الحياد لأن الشيخ الجسر يتمتع بثقة البرلمان. وكانت تلك البرقيات تحمل تواقيع بعض زعماء المسلمين والمسيحيين على السواء.

ومن هذه البرقيات، على سبيل المثال، برقية أعيان طرابلس، بتاريخ 16 نيسان 1932، التي جاء فيها ما يلي: «بمناسبة انتخاب رئيس الدولة اللبنانية،

(273) عبدالله سعيد: «الشيخ محمد الجسر...»، مرجع سابق، ص 210-214.

(274) تقرير الأمن العام الفرنسي، برقية رقم 1346، تاريخ 14 آذار 1932، (نانت).

(275) برقية رقم 1695، تاريخ 4 نيسان 1932، وبرقية رقم 1803، تاريخ 8 نيسان 1932. (نانت)

تعرب مدينة طرابلس عن ثقتها التامة بفرنسا وتعبّر عن أمانيها بأن الدولة الفرنسية تدعم ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية اللبنانية، نظراً لكفاءاته الشخصية من جهة، ولتفانيه في خدمة فرنسا ولبنان معاً من جهة أخرى. وقد وقّع البرقية عدد من وجهاء طرابلس أبرزهم نقيب الأشراف عبد الفتاح الزغبي، والعلماء: محمود منقارة ومحمد الحسيني، والأعيان: خير الدين عدره وفؤاد الزوق، والأطباء فؤاد كباره ورمزي زين، ومن المحامين فؤاد الرافعي وحسن قصاص، ومن التجار حسين عواضه وعمر عدره وظافر شعبان، ومن الصحافيين لطف الله خلاط، ومن الصيادلة حسين رعد، وعن الشبيبة فوزي درنيقة وجورج بولس وأشرف شريف[276].

أما برقية أعيان الضنية فوقّعها كل من الخوري(الراهب) إبراهيم الخوري ومحمد ملحم رعد ونصوح الفاضل ومحمد الحامد والخوري أنطون الخوري، وطه فتفت، وأمين الحسيني وخليل نقولا، وديب نصر وكنج المحمد وقاسم شديد وعلي العجم وحسن غانم وغيرهم. ومما جاء فيها:«إن كافة طوائف الضنية (شمالي لبنان) يعبّرون عن أمانيهم الصادقة برؤية الشيخ الجليل والمحبوب محمد الجسر على رأس الدولة اللبنانية»[277].

ولم تتوقف مظاهر الدعم للشيخ محمد الجسر عند حدود المفوضية الفرنسية العليا بل تعدتها إلى برقيات باسم «المسلمين في الجمهورية اللبنانية» إلى رئيس الوزراء الفرنسي وزير الخارجية آنذاك السيد تارديو(TARDIEU) وإلى السيد دومير(DOUMER) رئيس الجمهورية الفرنسية التي جاء فيها: «... بما أننا نشكل نصف سكان الجمهورية اللبنانية، لنا الحق في الوصول إلى سدّة الرئاسة الأولى لأن لبنان اليوم (1932) ليس لبنان ما قبل الحرب، لبنان الوطن القومي المسيحي... بل هو حالياً بلدٌ مسلم كما هو بلد مسيحي»[278].

---

(276) برقية رقم 2052، طرابلس 25 نيسان 1932 (نانت) مرسلة من بيروت بتاريخ 26 نيسان 1932، وبرقية مرسلة من طرابلس بتاريخ 16 نيسان 1932 بدون رقم، ص 136.

(277) المصادر السابقة.

(278) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في الكي دورسي، ص 159 و160.

وكان الشيخ محمد قد فرض إجراء الإحصاء للسكان عام 1932، حيث بلغ عدد المسيحيين نحو 396946 نسمة والمسلمين 386469 نسمة[279].

أما في البرقية إلى عصبة الأمم في جنيف فورد ما يلي: «إن مسلمي لبنان يطلبون الحياد التام من جانب سلطات الانتداب وإفساح المجال أمام كافة مرشحي رئاسة الجمهورية للتنافس الديمقراطي.... فلبنان اليوم نصفه من المسلمين ونصفه الآخر من المسيحيين وبالتالي تبدّل جذرياً عما كان عليه قبل الحرب كوطن قومي مسيحي.... والدستور اللبناني بالذات ينص صراحة على حق جميع الطوائف في الوصول إلى رئاسة الجمهورية. لذلك فكل تدخّل من جانب المفوضية الفرنسية العليا يُعتبر خرقاً(مخالفة) للدستور ويهدف إلى قطع الطريق أمام المرشح المسلم الوحيد للوصول إلى رئاسة الجمهورية... ولمسلمي لبنان كل الثقة بعصبتكم الكريمة، ولهم ثقة مماثلة أيضاً بالمفوض السامي السيد بونسو(PONSOT)[280]، ونطلب من عصبتكم مراقبة الوضع في لبنان بما يضمن عدم انحياز المفوضية العليا لأي جانب...»[281].

يتضح من هذه البرقيات الخالية من التواقيع أنه كان وراءها بعض الأقلام الإسلامية الداعمة للشيخ محمد الجسر، والداعية إلى التعاون مع الانتداب الفرنسي، والمعتقدة أن فرنسا لم تأت لحماية المسيحيين فقط، بل من أجل «تحضير» كل الطوائف المسيحية منها والإسلامية على السواء.

وأخيراً مما لا شك فيه أن الشيخ محمد كان أفضل صلة سلام بين المسلمين والفرنسيين. فلقد سعى إليه الفرنسيون، ولم يَسع هو إليهم، ووجدوا به، وهو الشيخ المعمم ضالتهم في العبور إلى المجتمع الإسلامي الرافض لوجودهم في سورية ولبنان. فأعاد الشيخ محمد، المثقف والواسع الإطلاع على الفكر

---

(279) جريدة «المعرض الأسبوعية»، العدد 34، تشرين الثاني 1931 – كانون الثاني 1932، من العدد 947 إلى العدد 984، ص 5.

(280) بونسو: هو المفوض السامي الفرنسي الذي حكم دولة لبنان الكبير وسوريا من 12 تشرين الأول 1926 إلى 12 تشرين الأول 1933.

(281) برقية من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في الكي دورسي، المصدر السابق ص 161.

الغربي ومشاريعه التحديثية المعاصرة، الاعتبار لشخصه وعائلته، وأصبح الرجل الثاني في الدولة اللبنانية المستحدثة بعد رئيس الجمهورية وحتى في أحيان كثيرة قبله.

كما وضع الشيخ محمد الجسر الأسس السليمة الأولى لميثاق وطني صحيح، ميثاق علماني، ديمقراطي، يوحّد لبنان ويعزّز تكامله الاقتصادي والاجتماعي والحقوقي التشريعي. ميثاق يعمم الحرية والمساواة والعدالة والديمقراطية ويحقق الإنماء المتوازن، وينهض بالتربية والتعليم، وينشر المدارس الرسمية على امتداد الوطن، ويعمم الثقافة الوطنية الجامعة لا ثقافة الطوائف والتجمّعات البشرية المتنافرة والمتمايزة حضارياً وثقافياً. ميثاق يجعل الدولة وحكومتها قدوة في النزاهة والإخلاص للوطن، حكومة قدوة في خدمة الوطن والمواطن، وليس المواطن في خدمتها وخدمة مصالح أعضائها. لذا كان الشيخ محمد رائد الحداثة العلمية والتربوية والإدارية والاجتماعية، ورائد المواطنة اللبنانية الحقة، والداعي إلى الأمة اللبنانية المميزة بانتمائها العربي وانفتاحها على الحضارات الأوروبية والعالمية المعاصرة.

الشيخ نديم الجسر[282]

1897 – 1980

هو الشيخ عبدالله نديم ابن الشيخ حسين الجسر، حفيد الشيخ محمد مصطفى الجسر المعروف بأبي الأحوال. ولد في طرابلس سنة 1897، وتلقى دروسه الأولية على والده. وبعد وفاة هذا الأخير كفله أخوه الشيخ محمد يمن، فأحسن تربيته، وأرسله إلى حمص للدراسة، ومن ثمّ إلى بيروت حيث درس المحاماة.

وُجّهت إليه وظيفة التدريس في جامع طينال بعد أخيه الشيخ محمد، ولكنّه لم يقم بها حقّ القيام نظراً لبعد الجامع عن العمران بعداً يحول دون مجيء الناس لسماع الدروس فيه"[283]. فتحوّل إلى الوظائف الرسمية، فشغل منصب مستشار محكمة الاستئناف في بيروت، وعضو المجلس العدلي عام 1931، وقائمقام قضاء عكار، في السنة نفسها. وفي عام 1932، أعاد إصدار جريد "**طرابلس**" التي كان يتولّى رئاسة تحريرها،من قبله، والده الشيخ حسين، وأخوه الشيخ محمد، وظلّ يصدرها ويتولّى رئاسة تحريرها حتى عُهِد إليه، عام 1937، بمنصب القاضي الشرعي في طرابلس.استمر في منصب القضاء الشرعي حتى سنة1947، حيث استقال من هذا المنصب لضآلة راتبه وتكاثر أعباء عائلته[284].

(282) للمزيد من التفاصيل عن سيرة الشيخ نديم الجسر، راجع محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر، العلاّمة المجاهد**، دار المعارف العمومية، بيروت، د.ت.

(283) عمر تدمري: **تاريخ وآثار ومساجد...**، مرجع سابق، ص 183 – 184

(284) المرجع السابق، ص 184

ليزاول ويمارس بعد ذلك مهنة المحاماة قبل أنْ يُنتَخَب نائباً عن طرابلس عام1957 (من 1960/8/20 وحتى 1960/7/18).

وفي عام 1955، قام الشيخ نديم بأداء فريضة الحج، فخصه الشاعر عبد الكريم عويضة، تلميذ والده الشيخ حسين بقصيدة تهنئة بالسلامة، مما جاء فيها:

«بالبيت قد طـــافَ النَّديمُ مُكَبِّرا وفـــؤادُهُ بِقَبُولـــهِ مَسْــــرورُ
وتَشَرَّفَتْ شفتـــاهُ في تقبيلهـــا أعتـــابَ قبرٍ حـــلَّ فيـــهِ النُّـــورُ
مَنْ حَجَّ للَّهِ وَزارَ المُصطفى وبِهِ استعـــانَ فأجـــرُهُ موفـــوْرُ
بُشرى لمن حطَّ الرِّحالَ ببابِهِ وبِهِ استجارَ وهل سِـــواهُ مُجيـــرُ
يا ابن الحُسيْن المُرتضى جِسر الهُدَى لِعُـــلاكَ أنْمُلَـــةُ الفَخَـــارِ تُشيـــرُ
في عودك الميمون قلت مؤرّخاً في ضمـــن بيـــتٍ دُرُّهُ مَنشـــورُ
حَـــجَّ النَّديـــمُ وحَجُّـــهُ مَبـــرورُ أهـــلاً بحبِّ سعيـــه مشكـــور[285]

وفي السنة الأخيرة من مدّة نيابته،أي عام 1960، " أجمع المسلمون في طرابلس على انتخابه مفتياً على طرابلس، فجمع بين الإفتاء والنيابة، ولكنّه لما انتهت سنوات النيابة الأربع لم يرشح نفسه للنيابة، وانقطع إلى أعمال الإفتاء والتأليف في الشؤون الإسلامية بعد أن كان ألّف كتابه الشهير شرح قانون العقوبات في عام 1931 عندما كان مستشارا لمحكمة الإستئناف في بيروت"[286].

---

(285) محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر**...، مرجع سابق، ص 16 ــ 17.

(286) عمر تدمري: **تاريخ وآثار ومساجد**...، مرجع سابق، ص 184.

وفي عام 1966، شارك في المؤتمر الثالث لعلماء الإسلام، كما دعته، عام 1969، الحكومة الجزائرية لإلقاء محاضرات على الشباب الجامعيين من أجل تعريفهم بحقائق التفكير الإسلامي[287].

مؤلفـــاتـــه

كان المفتي الشيخ نديم الجسر أديباً وشاعراً، وله عدّة مؤلفات، أهمّها: **قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن**، الّذي ذاع صيته في العالم الإسلامي، و**شرح قانون الجزاء العثماني**، و**الموجز في الفلسفة العربية**، و**أدب الحياة في الإسلام**، و**فلسفة الحرية في الإسلام**، و**الإسلام في العالم المعاصر**، و**ركائز التفكير الإسلامي**، و**وجوه الحكمة والإنصاف**، و**تراثنا بين التقدمية والرجعية**، و**إسرائيل ما وجدت لتبقى**، و**بشائر عن معركة المصير بين المسلمين وإسرائيل**، و**شبابنا المثقف أمام الإيمان والتديّن**، و**الجوهر الإلهي**، و**القرآن والسنة والتربية الإسلامية**، و**مجموعة سمر النديم**، و**الأبحاث**، و**قانون السببية عند الغزالي**، و**غريب القرآن ومشابهاته**، وهذا الأخير هو عبارة عن تفسير لمعاني حوالي ألف كلمة وردت في القرآن الكريم[288]. ويبرر الشيخ نديم الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب: بأنّ القارئ لا يجد متسعاً من الوقت كي يفتّش بين ركام الكلام، وفي كتب التفسير، عن المعنى اللغوي المختصر والمفيد للكلمة التي تمر معه في أثناء تلاوة القرآن الكريم أو سماعه. وقلّما يُجهد القارئ نفسه في البحث عن أصل الكلمة في معاجم اللغة. كما يعتبر أن التفاسير القديمة، على أهميتها غير وافية ولا تسّهل مهمة الدارس بل تحيله من تفسير إلى تفسير فيضيع في البحث ويملّ التفتيش، وبسبب تعقيدات اللغة العربية وضعف استيعابها

---

(287) محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر...**، مرجع سابق، ص 17.

(288) محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر...**، مرجع سابق، ص 18 و 19 و 20؛ ومحمد نور الدين ميقاتي: **طرابلس في النصف الأول...**، مرجع سابق، ص 104؛ ومحمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 273 و 274؛ وعمر تدمري: **تاريخ وآثار ومساجد...**، مرجع سابق، ص 184.

مكن الدارسين في العصور الحديثة، كان لا بد من كتاب يساعد على فهم بعض معاني كلمات القرآن، حتى بالبسيط منها[289].

"والواقع أنّ المفتي جمع فيه كل الكلمات التي يمكن أنْ يقف عندها المتعلمون وغير المتعلمين، وفسّرها تفسيراً لغوياً محصناً، ونسّقها على ترتيب المعجم الحديث، وذكر أمام الكلمة أسم السورة ورقم الآية، إلاّ في الكلمات المكررة والتي لها نفس المعنى" [290].

ولكن أفضل ما ألّفه الشيخ نديم، كان كتابه: **قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن** "، الذي كان له دويّ في العالم الإسلامي كلّه. وعلى أثره صدر قرار الحكومة المصرية بتعيينه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة 1964"[291].

ومن مؤلفات **الشيخ نديم** المخطوطة وغير المطبوعة: **حديث ليلى**، وهي كناية عن قصيدة شعرية، **وألفية الجسر في علم أصول الفقه، وأرجوزة** [292] **في علم الحديث**، وديوان شعر في المناجاة والإستغاثات الإلهية وفي مدح الرسول العربي النبي محمد (صلعم)، وبعض أبيات الحكمة والمواعظ والإرشاد والنصائح. بالإضافة إلى عشرات المحاضرات والخطب الدينية التي كان يلقيها في المناسبات الدينية والاجتماعية [293]

ومن قصائده الشهيرة: قصيدة يصف فيها فيضان نهر أبي علي عام 1958[294]:

---

(289) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 274.

(290) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، المرجع السابق،ص 274

(291) عمر تدمري: **تاريخ وآثار ومساجد...**، مرجع سابق، ص185

(292) الأرجوزة هي الشعر المنظوم على بحر الرجز، ووزنه التام مستفعلن مستفعلن ست مرّات، وقيل سُمّي بذلك لاضطرابه تشبها بالرجز في الناقة، إي مرض يصيب الجمال في أعجازها، وعند الشعراء يمتاز فن الرجز بتصريع جميع أبياته، طالت الأرجوزة أم قصرت. والتصريع تعني في الشعر اعتماد القافية نفسها في الصدر والعجز من كل بيت في القصيدة.

(293) محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر...**، مرجع سابق، ص 20 و 21 و 22.

(294) جريدة "**الجريدة** "، العدد 961، بيروت 19 شباط 1956. ونشرها عمر تدمري في كتابه:«تاريخ وآثار مساجد...، مرجع سابق، ص 142 و 143.

تزول وتنقضي غصص الليالي وغصتك الأليمة لا تزول
بلغت من الأذاة «أبا علي» [295] حدود الحقد يسعفه الغليل
بجيران بواديك استكانوا وعن مرعى ضفافك لم يميلوا
فهل كنا الآلى قتلوا عليا فطل دماءنا ذاك القتيل؟
ونحن على محبته نشأنا ولسنا عن مودته نحول
وبعض الغيث يهلك أن تمادى وبعض الوبل مرتعه وبيل
توارت قبل موعدها وغمت علينا الشمس فأسود الأصيل
كأن الشمس أبصرت الرزايا وراء الغيث غادرة تغول
ففرت لا ترى جثث الضحايا مبعثرة تكفنهـــا الوحـــول
على الأطلال في بلد أمين يلوذ بظـــل نعمتـــه النزيـــل
فيحبسه الجمال عن ارتحال ويأسره إذا ارتحل الجميـــل
وجلجلت الرعود كأن برجا تقوض في السمـــاء له صليل
وفتحت السمـــاء كـــأن سدا تفجر في جوانبهـــا يسيـــل
وزمجرت الريـــاح كـــأن أسداً وغيلانا بمأسدة تصول
وجاءت ظلمة لو سار فيها شعاع الشمس ضل به السبيـــل
فأهوى السيل ينقض انقضاضاً كـــأن صواعقـــاً فيه تسيـــل
فيجتاح الجنان وما عليها فتغدو صفصفـــا فيها الحقول
ويجترف البهائم في خضم به الثيران أن تطفو والخيـــول
ويكتســـح الجســـور بمـــا أقلت فلا تبقى لهـــا إلا طلـــول
ويقتلع البيـــوت بمـــا أظلـــت ويبتلع العيـــال ومن يعـــول...

---

(295) نهر (أبو علي) الذي أغرق فيضانه مدينة طرابلس عام 1958.

ورددت الضفاف صدى ضجيج تلاقى بالخوار به الصهيل
وأنصتت السفوح إلى عجيج به اختلط التفجع والعويل
وما هي قسوة الأقدار لكن هو الإهمال منا والخمول:
جوار النهر والسلطان مغنى ينام بظله الخطر المهول
فلا تدري متى تأتي المنايا ولا تدري متى تطغى السيول

أبرز مواقفه السياسية

بنظر الشيخ نديم أنّ أهم الأسباب التي أدّت إلى ضعف المسلمين هو العداء الإستعماري لهم. فالدول الأوروبية الإستعمارية احتلّت بلادهم، وسيطرت على خيراتهم وثرواتهم، وغذّت التفرقة والخلافات بينهم، وشجّعت الحروب بين العرب والأتراك، مستغلّةً أولاً طابع الشعوبية للصراع والإختلاف، ومن ثمّ انتقلت إلى استغلال الفروقات المذهبية بين السُّنّة والشيعة، والإنتماءات القومية لدى الأقليات في المجتمعات العربية الكبيرة، بالإضافة إلى الإنقسامات الطبقية بين الفقراء والأغنياء... وغيرها من الإنقسامات التي مزّقت شمل الأمة الإسلامية، وجعلتها ألعوبة في أيدي المستَعْمِر، يحرّكها وفق أهدافه ومصالحه الخاصة[296]. لذلك نبّه العرب إلى خطورة اشتداد الهجوم الإستعماري على بلادهم بسبب وجود البترول بكميات كبيرة في أراضيها، لذا عليهم باليقظة والإستعداد للمواجهة تكنولوجياً وثقافياً وعلمياً.

وعندما حاولت الحكومة اللبنانية بقيادة كميل شمعون الإنضمام إلى حلف بغداد عام 1957، ألقى النائب الشيخ نديم خطاباً في مجلس النوّاب اللبناني، ذكر فيه: «إنّ عدم تمسّك الحكومة بسياسة الحياد الإيجابي يؤدّي إلى زعزعة الكيان

---

(296) نديم الجسر: الإسلام في العالم المعاصر، طرابلس 1967، ص 17؛ ومقالة منشورة في جريدة «النهار» البيروتية، آذار 1967، الملحق، ص 13.

اللبناني، لذا لا يجوز أنّ يسير لبنان في ركب الغرب، ولا في ركب الشرق»[297].

كما دافع الشيخ نديم عن عروبة لبنان في شتى المنتديات والمحافل المحليّة والدولية، فيذكر أنّه بالرغم من وجود بعض العائلات اللبنانية التي تعود جذور أصلها إلى الإفرنج أو الأرمن أو الأتراك أو الأكراد أو الكلدان والسريان والأشوريين. لكن غالبية العائلات، أي حوالي تسعة أعشار الشعب اللبناني، ذات أصل عربي: من لخميين ومناذرة وغساسنة وحجازيين قرشيين ويمنيين وتنوخيين ومعنيين وشهابيين ولميين، وعلى سبيل المثال فالألوف من عائلات طرابلس وعكار والضنيّة وبشرّي والهرمل والبقاع وبعلبك وصيدا وصور وجبل لبنان وجبل عامل.... قد جاءت إلى لبنان من شبه الجزيرة العربية أو من بلاد الشام أو من الديار المصرية والمغربية، فمنها من بدّل دينه، فاعتنق الديانة المسيحية أو الإسلامية، ولكن هذا التبديل في الدين لم يفقدها طابعها العروبي. فاللغة العربية والأدب والشعر والموسيقى والغناء والعادات والتقاليد العربية تثبت أن الوطن اللبناني عربي الهويّة والإنتماء. وإنْ تعددت فيه الأديان، لأنّ وحدة دين ليست شرطاً أساسياً في تكوين الوطن[298].

وفي عام 1958، حصلت في لبنان انتفاضة مسلّحة ضد حكم كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك، وانتقلت شرارتها إلى طرابلس حيث كان الشيخ نديم الجسر نائبها، فأخذ على عاتقته إطلاع الرأي العام الطرابلسي بشكل خاص واللبناني بشكل عام، على العوامل والأسباب التي دفعت بطرابلس إلى التحرّك لنيل مطاليبها المحقّة بعد الظلم الذي عانته. فقال:"إني أريد أنْ أبرهن على أنّ ثورة بلدي(طرابالس) هي ثورةٌ شريفةٌ وبريئةٌ، لا تحمل طابعاً سياسياً هدّاماً، ولا طابعاً طائفياً بغيضاً، ولا طابعاً شخصياً رخيصاً، ولا طابعاً أجنبياً كما يزعمون. إنّما هي ثورةٌ طبيعيةٌ داخليةٌ جاءت نتيجة الكبت والحرمان وسوء الإدارة

---

(297) نديم الجسر: مقالة منشورة في جريدة «بيروت المساء»، العدد 2603، 10 حزيران 1958، ص 5.

(298) نديم الجسر، **كتاب مفتوح لم ينشر**، ولكن مازال محفوظا في مكتبة ابنه محمد في طرابلس، بدون تاريخ، ص 2؛ راجع أيضا، محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر...**، مرجع سابق، ص 29 – 31.

وانحراف السياسية، فهي ثورةٌ ضد الفقر والجوع والذل...، لأنّه إذا تهيأت للشعب أسباب الرخاء والكرامة تمّ له الرضا. أما إذا اجتمع عليه الجوع والذل فانتظر منه الثورة "[299]. ويتابع دفاعه عن ثورة طرابلس لعام 1958، بقوله: " أؤكد لكم أنّ الثورة ليست وليدة فتنة طائفية، وإنْ كانت بعض العناصر أرادت أن تعطيها هذا الطابع الكاذب بدليل وجود البطريرك الماروني (المعوشي) على رأس المعارضة مع رهطٍ كبيرٍ من أعيان النصارى، وبدليلٍ آخر، وهو، أنّ أخاً مسيحياً واحداً في طرابلس لم يُرْشَق بوردةٍ"[300]. من هنا كانت مناشدته لرئيس الجمهوري آنذاك للتضحية والإستقالة، ليأتي رئيسٌ جديدٌ وحكومةٌ جديدةٌ تعيد الأمور إلى مسارها الطبيعي[301].

وفي سدّة الإفتاء استمر الشيخ نديم بالعمل على توحيد جهود الطوائف الإسلامية والمسيحية اللبنانية للوقوف بوجه الإنقسامات السياسية والفتن الطائفية، ومعالجة القضايا الحساسة بأسلوب منطقي بعيد عن المهاترات، وإلقاء التهم على الآخرين، لأنّ الموضوع الأهم، بنظره، هو بقاء الأخوّة الوطنية بين الطوائف في لبنان، فالخطر لا يكمن في الخلافات السياسية، بل في انتقال الخلاف الوطني والإجتماعي الإقتصادي، إلى الصعيد الطائفي المذهبي، حيث قد تقع المذابح والمجازر، مما يعيدنا إلى الهمجيّة القبلية البدائية التي انتصرت عليها الأديان في العصور الحديثة. فحياتنا في لبنان يجب أنْ تقوم على أساس التعاطف الأخوي بين الطوائف، فالتاريخ قد أبقى لنا، نحن اللبنانيون، عواطفَ مشتركةً كثيرة نتلاقى عليها في وحدة الإيمان بالله، ووحدة المثل العليا، ووحدة الأرض واللغة والأدب والشعر والموسيقى والأغاني والملابس والمآكل والمشارب والأذواق. فإذا استطعنا أنْ نجنّب أنفسنا ما يثير بيننا المستعمرون من الخارج، والمستثمرون في الداخل من النعرات والإنقسامات، واستطعنا أنْ نلتقي على مصالح اقتصادية واجتماعية مشتركة تؤمّن العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص في

---

(299) نديم الجسر: مقال منشور في جريدة « النهار» البيروتية، عدد 6994، 19 أيار 1958، ص 4.

(300) نديم الجسر، مقال له منشور في جريدة « الحياة» البيروتية، عدد 3697، 18 أيار 1958، ص 6.

(301) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

ميدان الرزق على اختلاف منابعه لكل جماعة منّا، واستطعنا أنْ ننمّي ونقوّي عواطفنا المشتركة التي نتلاقى عليها حتى ننسى، في غمرة المحبّة، ما نختلف عليه، وكوّنا لأنفسنا، بحكم المصالح الوطنية المشتركة، فكرة مثالية سعيدة لمُثُل التعايش السلمي الآمن والناعم الذي تعيشه سويسرا، على اختلاف عناصرها ولغّاتها، أتيح لنا تكوين وطنٍ بالمعنى الصحيح"[302].

وهكذا، بالرغم من المناصب الدينية التي تولاّها، وغزارة المؤلفات الإسلامية، ساهم الشيخ نديم في نشر وبث نهضة وطنية توحيدية جامعة تصلح ميثاقاً للعيش اللبناني المشترك الرغيد والآمن، في مجتمع تنتفي فيه النعرات المذهبية والطائفية، والإنقسامات القومية والطبقية الحادّة، مجتمعٍ يقوم على التصالح الاجتماعي والسياسي، مجتمع يأخذ من سويسرا الدولة الأوروبية الحيادية، والمتعددة العناصر واللغات مثلاً أعلى لهم. وهكذا كأننا به، مع بداية القرن الحادي والعشرين، مازال حيّاً يعيش مشاكل المجتمع اللبناني المتنوّع المذاهب والأديان والطبقات، والانتماءات السياسية المختلفة، ويطلب من عناصر هذا المجتمع التوحّد وتفهّم طبيعة بلدهم وموقعه الجغرافي، واجتراح سبل التلاقي والألفة والمحبة، والعمل على نبذ التعصّب والخلافات الدينية والمذهبيّة والطبقية. ومن هنا كانَ له إلى جانب أخيه الشيخ محمد الدور الفاعل والمؤسس والمؤثّر في انتقال عائلة الجسر في طرابلس من النشاط والإرشاد الدينيين إلى العمل السياسي من بابه الواسع، إنْ كان على صعيد طرابلس، أم على صعيد مساحة الوطن اللبناني العربي ككل.

(302) نديم الجسر، مقال له منشور في جريدة «النهار» البيروتية، 1969/10/30، ص4. ويراجع أيضاً، محمد درنيقة: **الشيخ نديم الجسر**..، مرجع سابق، ص 39 و 40.

باسم الجسر

كنموذج للتحوّل إلى العمل السياسي

يُعتَبَر الباحث السياسي والكاتب الصحفي والإعلامي باسم الجسر، ابن الشيخ محمد يمن، أبرز أفراد عائلة الجسر السياسيين، فهو ينتسب إلى الجيل الخامس من عائلة في طرابلس. فالجيل الأول بدأ مع الجد الأول مصطفى المائي المؤسس لعائلة الجسر في طرابلس، والذي انتقل بها من مدينة دمياط المصرية ؛ والجيل الثاني، تمثّل في الشيخ محمد أبي الأحوال المؤسس الأول للدور الديني، وقطب الطرقتين الصوفيّتين الخلوتية والرفاعية؛ والجيل الثالث مثّله دينياً بامتياز الشيخ حسين في التصوّف والتدريس والإرشاد، وفي التحرير الصحفي وتأليف الكتب والأبحاث المدافعة عن الشريعة والدين الإسلامي وتعاليمه، وعن الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية وحكم السلطان عبد الحميد الثاني في وجه أعداء هذا الأخير، وضد الماديين والدهريين والمذاهب الفلسفية الأوروبية الحديثة ؛ والجيل الرابع مثّله دينياً وسياسياً بكفاءة عالية الشيخ محمد يمن، رئيس مجلس النواب اللبناني (1926 ــ 1932)، ثم تبع خطاه أخوه نديم مفتي طرابلس والشمال (1960 ــ 1980).

وُلِد باسم في بيروت عام 1930، وتلقّى دروسه الإبتدائية والثانوية في مدرسة الحكمة، والكليّة العلمانية الفرنسية في بيروت، والدروس الجامعية في كلّية الحقوق الفرنسية في بيروت حيث نال إجازةً في الحقوق اللبنانية والفرنسية

ودبلوم الدراسات في القانون العام. ناقش عام 1977، أطروحة دكتوراه دولة في الحقوق من جامعة السوربون (باريس-2)، في باريس. وكان موضوع الأطروحة "**الميثاق الوطني اللبناني**". ولقد تُرجِمت هذه الأطروحة إلى اللغة العربية ونُشِرت في بيروت، في طبعتين، عن دار النهار للنشر.

حياته المهنية

بعد تخرّجه من الجامعة، مارس الصحافة في جريدة "**الجريدة**"، وشغل فيها مدير التحرير، كما أُعتُمِد مراسلاً صحفياً لعدّة صحف مصرية وعربية.

ومنذ العام 1959، تخلّى عن العمل الصحفي كمهنة، وتسجّل في نقابة المحامين في بيروت. ولكن بالرغم من عمله في المحاماة وتعاطيه العمل السياسي، واظب منذ ذلك الحين إلى اليوم، على كتابة المقالات الصحفية والافتتاحيات في عدّة جرائد ومجلاّت لبنانية وعربية ؛ منها: "الجريدة"، و"الحوادث"، و"الأنوار" و"النهار"، و"الديار"، و"الشرق الأوسط"، و"المستقبل"، و"اليمامة"، و"الجمهورية المصرية"، وذلك لمدّة خمسين سنة.

وفي العام 1961، عُيِّن مديراً عاماً للأنباء في وزارة الأعلام اللبنانية، فأسس " **الوكالة الوطنية للأنباء**".

كما مارس التعليم الجامعي كأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية في كليتي الإعلام والأعمال، ما بين عامي 1971 و1973. وذلك في مادتي قانون الإعلام والقانون الدستوري.

العمل السياسي

في العام 1964، استقال من الوظيفة العامة في وزارة الإعلام كي يترشّح للإنتخابات النيابية عن أحد مقاعد الطائفة السُّنِّية في بيروت، ولكن لم يحالفه

الحظ. فعاد وترشّح مرّة ثانية عن بيروت، عام 1972، باسم "الحزب الديمقراطي"، فنال منفرداً 5000 صوتاً.

شارك في تأسيس عدّة حركات وأحزاب سياسية وفكرية في لبنان، منها: "حركة التقدّم الوطني" و"الحزب الديمقراطي" (انْتُخِبَ أميناً عاماً له)، " وحركة التجدد الديمقراطي" (انْتُخِبَ نائباً للرئيس)، و" نادي 22 تشرين الثاني" الفكري.

عُيِّن عضواً دائماً في الوفد اللبناني لدى منظمة اليونيسكو وبقي في هذه العضوية من عام 1959حتى عام 1984. كما شارك في عدّة مؤتمرات دوليّة ثقافية وإعلامية.

النشاط الدبلوماسي

بعد وقوع الحرب الأهلية والإقليمية اللبنانية عامي 1975 و1976، غادر لبنان إلى فرنسا، حيث مارس الكتابة في مجلّة "المستقبل"، وذلك قبل أن يُعيَّن مستشاراً لدى جامعة الدول العربية، بعد انتقال مقرّها مؤقتاً من القاهرة في مصر إلى تونس عام1979. حيث كُلِف بمهمة وضع خطّة إعلامية إستراتيجية عربية ــ أوروبية، أي خطّة للتعاون العربي الأوروبي في مجال الإعلام.

وفي عام 1980، عُيِّن، بناءً لتوصية إجماعية من السفراء العرب المعتمدين في فرنسا، مديراً عاماً "لمعهد العالم العربي" في باريس، وأعيد تجديد انتخابه لمرة أخرى عام 1987. وتقديراً لدوره في تأسيس هذا الصرح الثقافي الكبير في باريس، منحته الحكومة الفرنسية وسام الإستحقاق برتبة ضابط.

مؤلفـــــاته

- "نحو لبنان جديد"، عام 1959.
- "رئاسة وسياسة"، 1960.

- "لبنان والتحدّي الإسرائيلي"، 1966.
- "الميثاق الوطني اللبناني"، 1978.
- "النزعات اللبنانية"، 1979.
- " فؤاد شهاب، ذلك المجهول"، 1986.
- " فؤاد شهاب"، 1998.
- "باقة وجد" (مجموعة شعرية).

بالإضافة إلى مجموعة من المحاضرات والندوات التي ألقيت في لبنان وبعض العواصم العربية والغربية.

وهكذا دشّن باسم الجسر عصراً جديداً في حياة عائلته السياسية، فورث والده، الذي تُوفّي وكان مازال في الرابعة من عمره، دون أنْ يعايشه، فتخلّى عن كلّ وظائفه المدنية والإعلامية من أجل العمل السياسي. فدعا إلى بناء المجتمع العلماني، لا الطائفي، ولكن دون أن يتخلى عن إيمانه الديني، أو يتنكّر لتاريخ أجداده الديني. ومما يرجّح، أنّ ما حال دون وصوله إلى سدّة البرلمان، هو ترشّحه عن بيروت مع أنّه ابن طرابلس، وسمعة أبيه السياسية الممالئة والمهادنة للفرنسيين والمعترفة بالكيان اللبناني كوطنٍ نهائي لبنائه، وذلك في ظل انتقال الغلبة السياسية المشرقية في لبنان بعد استقلاله عن فرنسا عام 1943 للانكليز، وسيطرة السياسة الأميركية بعد حوادث عام 1958، وفي ظل المدّ العروبي الداعي إلى الإندماج في المحيط الجغرافي. يضاف إلى ذلك صداقته المتناهية لفؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق، وخسارة خط فؤاد شهاب السياسي مقابل انتصار الحلف الثلاثي المسيحي المنافس، وأخيراً علمانيته العلنية المفرطة في ظل مجتمعٍ لبناني مريض التعصّب الطائفي.

الخاتمــة

منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي، لعبت الطرق الصوفية في مدينة طرابلس الشام دوراً هاماً في حياة الأهالي. وكانت حلقات الذكر تنتشر، في أحياء المدينة الشعبية، انتشاراً واسعاً، وتشهد إقبالاً جماهيريا كبيراً. كما كان لمشايخ الطرق الصوفية دورهم الإرشادي المؤثّر في حياة الناس العاديين، وحلّ مشاكلهم اليومية الخاصة والعامة. فكانوا المرشدين والمعلّمين لهم، والوسطاء بينهم وبين موظفي الإدارة العثمانية ثم الفرنسية أو اللبنانية فيما بعد. وشكّلت الزاوية الصوفية ملجأً للضعيف والغلبان والمظلوم والمضطّهد، وملاذاً للفقير والجائع. وكان شيخ الطريقة أو الزاوية الأب العطوف على الفقراء، وعلى إخوانه في الطريقة، والساهر على تأمين كسائهم وغذائهم من الزيت والزيتون والبرغل، الغذاء الأساسي الوحيد المفضّل لدى المريدين الصوفيين الدراويش. فكان مشايخ الطرق الصوفية في طرابلس يجمعون ما يجود به الأغنياء والمحسنين، ويوزّعونه على الفقراء والمحتاجين. كما كانوا يحثّون المريدين والإخوان التابعين مسالك وأخلاق طريقتهم على الإقبال على الأعمال الصالحة والتحلّي بالأخلاق والخصال الحميدة، والإعتناء بالمرضى وخدمة كبار السن، ومواساة المحزونين، والتخفيف من الويلات والمصائب التي تصيب أهالي مدينتهم.

في هذا الجو الصوفي السائد مدينة طرابلس اللبنانيّة وأحيائها الشعبية. قدِمَت عائلة الجسر إليها من مصر، وبدأت نشاطها العلمي والإجتماعي في الإرشاد الديني والتدريس في الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد والجوامع، واتباع مسالك الطريقة الخلوتية الصوفية، وتبنت الدفاع عن الدين الإسلامي

وأركانه وتعاليمه. وقادت مهمة تنقيته من الشوائب التي علقت به نتيجة اجتهاد بعض الدخلاء والمارقين الطارئين، بنظرها، على الإيمان بالشريعة في العالمين العربي والإسلامي. كما خاضت بشراسة معركة الدفاع عن مفهوم وفكرة الخلافة المتمثّلة في سلاطين بني عثمان.

ولكن لم تكتف، مع الشيخ حسين الجسر، بالإرشاد والتدريس الديني، والنضال التعليمي في سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتبيان صحتها، وشرح أحكام وأركان الدين الإسلامي وتبريرها في الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد، وتطبيق بعض أحكام الشريعة الإسلامية بحذافيرها كتعدّد الزوجات والدفاع عن حجاب المرأة المسلمة، وعن حكمة قصاص القاتل بالقتل وحد السارق بالقطع وغيرها، والرد على النظريات الفلسفية المادية الحديثة من وجهة نظر الإيمان. بل دعّم مواقفه في شروحات مسهبة في مقالاتٍ ومؤلّفاتٍ، من خلال الكمّ الهائل من الكتب المطبوعة وغير المطبوعة التي ألفها الشيخ حسين، بالإضافة إلى مقالاته الإفتتاحية في جريدة "**طرابلس**" الأسبوعية على مدى عشر سنوات، موجهاً ومثقّفاً لأوسع فئة من قرّاء طرابلس، أو من خلال إرشاده وتدريسه للتعاليم الإسلامية والشريعة في مدارس ومساجد طرابلس العديدة. وكان للشيخ حسين تجربة رائدة في المزج بين تعليم الشريعة الإسلامية والإرشاد، وبين التعليم الأكاديمي الحديث والمعاصر للعلوم والرياضيات واللغتين الفرنسية والعربية، وذلك بعد أن أسس مدرسته الوطنية، وتولّى بنفسه مهمة تدريس علوم الشريعة وعلم الصرف والنحو وأصول اللغة العربية وآدابها.

وكما تأثّر الشيخ حسين بسيرة أبيه، الشيخ محمد، أبي الأحوال، الصوفية الدينية، والاجتماعية والأخلاقية، والمسلكية في مساعدة الفقراء والمحتاجين والزود عن المظلومين والإخوان والمردين في الطريقة الخلوتية وقيادتها، وفي الإرشاد والتدريس الدينيّين. مشى الشيخ محمد يمن الجسر على خطى والده الشيخ حسين، فابتعد عن ملذّات الدنيا ولبس الجبة والعمامة منذ الرابعة عشرة من عمره، واستمر في اعتمار هذا الزيّ طيلة حياته. وجاور في الجامع الأزهر

الشريف، ومارس التدريس الديني والتعليم الأكاديمي العادي، وقاد الحركات المناهضة لجمعية الإتحاد والترقّي وطورانيتها المقوِّضَة للسلم القومي في ولايات السلطنة العثمانية وفي مجلس مبعوثانها.

وكان لمواقف الشيخ محمد، أبي الأحوال، السياسية المعادية لإبراهيم باشا بسبب تشجيعه فتح حانات بيع الخمر في أسواق طرابلس، وبسبب ظلمه وإرهاق المواطنين بالسخرة والضرائب والرسوم غير الشرعية، ولتطلّعات الشيخ حسين السياسية والتربوية التعليمية الإصلاحية للسلطنة العثمانية، والدفاع عن الشريعة الإسلامية في وجه الفلسفة المادية القادمة من الغرب الأوروبي، الأثر الهام في تحوّل الشيخ محمد يمن ابن الشيخ حسين إلى الوظيفة الإدارية، ثمّ السياسية مع بداية الإنتداب الفرنسي على سورية ولبنان عام 1920، وذلك بعد أنْ أصبح المدخول المادي المالي من عائدات التدريس الديني ضئيلاً لا يفي بمتطلبات مصاريف أسرته وعلاقاته الإجتماعية.

فالشيخ محمد، رجل الدين، الصوفي المعمم، خالف وصية والده له بالإبتعاد عن العمل الوظيفي الحكومي، وعدم دخول معترك العمل السياسي. وتقدّم،عام 1908، إلى الإنتخابات النيابة العثمانية، وفاز، عام 1912، بمقعد نيابي عن طرابلس في مجلس المبعوثان. وأيّد، عام 1920، إعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير، ودخل الوظائف الرسمية في هذه الدولة الفتيّة الجديدة في أعلى مراتبها الحكومية والقضائية، وأصبح الرجل الأول، سطوةً وتشريعاً ونفوذاً، في تلك الدولة، وذلك بترؤسه مجلسي الشيوخ والنواب اللبنانيين مدّة ست سنوات متواصلة. وكاد يصبح، عام 1932، رئيساً للجمهورية اللبنانية. وبذلك افتتح مسلكاً جديداً في مسار حياة أفراد عائلة آل الجسر في طرابلس بنقلهم من الإرشاد الديني لأكثر من قرنين من الزمن إلى العمل السياسي وإلى انخراطهم في سلك الوظائف الحكومية الرسمية العامة والخاصة.

وبالرغم من محافظته على مسلكه الديني صلاة وصوماً وتصوّفاً وتعاليم وشرائع، ودفاعه عن الخلافة الإسلامية، وسيره على خطى والده الشيخ حسين،

وجدّه الشيخ محمد أبي الأحوال، الدينية في الإرشاد والتدريس، والتصوّف، مهّد الشيخ محمد رئيس مجلس النواب اللبناني (1926 - 1932) الطريق لأخيه الشيخ نديم لممارسة العمل الوظيفي الحكومي الرسمي والمحاماة والقضاء والإدارة، والدخول إلى المجلس النيابي اللبناني مع احتفاظه بعاداته وتقاليده الدينية، وقبوله منصب مفتي طرابلس والشمال، وخوضه باب التأليف في شؤون الدين الإسلامي على طريقة والده الشيخ حسين شارحا تفاسير القرآن الكريم، وأصول الفلسفة العربية والإسلامية.

وإلى جانب تربية أولاده تربية دينية شديدة الإيمان ومتزمّتة أحياناً كثيرة، أوصاهم الشيخ محمد يمن بنيل أعلى مراتب العلم وشهاداته مع التحلّي بالأخلاق والتمسّك بأهداب الدين، والإلتزام بقضايا الناس الإجتماعية والاقتصادية. وهذه التعاليم الأبوية، والسمعة الصوفية الحسنة وخصال النزاهة والإخلاص والإرادة الطيبة المسلكية والمواطنية اللبنانية الجامعة التي ورثّها لبنائه كباراً وصغاراً، جعلت منهم رجال دولة من الطراز الرفيع. فدخلوا سلك الوظيفة العامة ومهن الطبّ والمحاماة والقضاء والإعلام والفن والمال والصيرفة، مع المحافظة على الشفافية الأخلاقية، والتضحية في سبيل الخدمة العامة، والتمسك بشريعة الدين الإسلامي والإيمان به رغم عدم وراثتهم الجبّة والعمامة والإعتمار بهما كوالدهما وعمّهم نديم، وأجدادهم السالفين، مما أبقاهم مغمورين منسيين في عالم السياسة والأعمال.

وفي السياسة، تعامل الشيخ محمد، كمتصوّفٍ، مدافعاً بشفافية عن حقوق الفقراء وصغار الموظّفين، وداعياً إلى اللامركزية الإدارية الواسعة، وإلى تقريب مراكز الإدارة من أماكن إقامة المواطنين أصحاب المعاملات الإدارية، بما يجعلها في خدمتهم وليس هم وُجِدوا في سبيل خدمتها. وكأننا به يحاكي مبادئ وأفكار الثورة الفرنسية "الليبرالية" البرجوازية عندما نادت بأن الحكومة وُجِدَت لخدمة المواطن ورفاهيته وليس لقهره وظلمه وإرهاقه بالضرائب والتكاليف الكثيرة والمتنوّعة. ولكن ما يعيب عمله السياسي خلال الإنتداب الفرنسي على

سوريا ولبنان، هو انغماسه في ممالأة ومحاباة الفرنسيين وشارل دباس، وسعيه الدائم للبقاء في أعلى المراتب السياسية والإجتماعية، بالإضافة إلى شدّة قوّة إرادته وطموحه غير المحدود، وسطوته التي لا توصف. ولكن رغم صفاته القيادية والسلطوية، كان نظيف اليد، عصاميّ الأخلاق، مخلصاً لعمله وموقفه الوطني والسياسي، لبنانياً ــ عربي الهوية والإنتماء، حيث أطلق نظرية الأمة اللبنانية واندمج بها، ووضع الأسس السليمة للتعاون المسيحي الإسلامي، فعدّه أعداءه خائناً لدينه الإسلامي ولأمته العربية.

من هنا ما إنْ بدأ شباب الجيل الخامس، (1932 – 1980)، من عائلة الجسر في طرابلس الحياة العمليّة، والنشاط المهني، حتّى ابتعدوا عن الاهتمام المباشر بالوظائف الدينيّة، وانخرطوا انخراطاً ملحوظاً في الحياة والوظائف المدنية، وخاضوا معترك العمل السياسي الوطني على مختلف تلاوينه الحزبية العلمانية مبتعدين عن العصبية المذهبية والطائفية الضيّقة، مستفيدين ثقافياً وإقتصادياً ومالياً وسياسياً من تنوّع الإنتماء السياسي والمذهبي في لبنان الحديث. فلقد اتّصفت تطلّعات أفراد عائلة الجسر السياسية بالإعتدال والإعتراف بالكيان اللبناني وصيغة التعايش المتنوّع فيه مع الإنفتاح على الجوار العربي العريض وعلى مختلف الحضارات العالمية.

فهرس الملاحق

ملحق رقم (1)

بيان البرنامج التربوي والتعليمي
للشيخ محمد الجسر لعام 1925[303]

... وعدت المجلس بكلمة مفصلة عن حالة المعارف... والآن أتقدم إلى المجلس الكريم بأخلاقه الكريم بعطفه لأعرض بيان (بياناً) عن أعمالي وإن لم يكن النظار مكلفين بإعطاء بيانات عن أعمالهم فأكون أول ناظر قام بذلك فإن قبلها كان به وإن لم يقبلها فإني أفضل أن أسمع عن مقاعد الشعب لا مقاعد الحكومة.

حين استلمت نظارة المعارف ولا أنسى الثناء على سلفائي (أسلافي) الذين أرادوا أن يعملوا ولكن الوقت لم يساعدهم. وإذا قلت الوقت، فإني أعني المدّة مع ما يعتور الحالة من متطلبات أما الآن فقد ثبتت الحكومة أي أخذت شكلاً إدارياً ثابتاً فيمكن لمثلي أن يقوم بما يستطيعه (أصبحت الحكومة لها رئيسٌ وطني، ويجتمع مجلس النظار أسبوعياً).

إنّ لبنان لا يحتاج علمه لتبيان، فقد أثبت مقدرة أبنائه وذكائهم في العالم أقطاباً وأعلاماً، في المهجر وفي مصر ينشرون العلم ويثبتون أنّ في لبنان عِلماً صحيحاً. ولكن بالأسف إنّ الذي يفتخرون به ليس عِلم حكومتهم بل عِلم استمدوه من مؤسسات أجنبية جاءت هذه البلاد من أكثر من 50 سنة، يجب على كل فرد أن يتغنّى بشكرها مهما كانت المقاصد التي حدت بها إلى المجيء إلى هذه البلاد.

على أنّ الحكومة بعد أنْ استقلت لا يجب أن تعتمد إلاّ على درسها وعِلمها اللبناني ليصح أن يقال إنها حكومة عملية لا إدارية فقط، وعلى هذا المبدأ عند توليّي شؤون المعارف نظرت إلى حالة المعارف ومنهاجها فوجدته من نوع الهيولي البسيط أو المتلاشي. توجد مدارس ويوجد معلمون ولكن لا على شيء. إنّ التعليم كان يقوم على منهاج وضعت أساسه الحكومة السابقة وهو منهاج ربما كان في دوره صحيحاً أمّا الآن فلا. ولو تمسكت الإدارة الحالية به وتمشّت عليه لقلنا حبذا ولكن تركته فأصبح كل معلّم يدير عمله كما يريد وهذا موجب لغاية الأسف.

---

(303) الجريدة الرسمية لدولة لبنان الكبير، ملحق محاضرالمجلس التمثيلي الثاني، النواب اللبناني إبان الإنتداب الفرنسي،جلسة 5 تشرين 1925؛ نشرنا هذا البيان في كتابنا: الشيخ محمد الجسر...، مرجع سابق، 301 ـــ 305، ولأهميته وضرورته أعدنا نشره هنا.

كانوا يعترضون لماذا لا توحّد مناهج التعليم وكيف توحّد وهذا هو الحال أيمكن للمؤسسات الأجنبية القائمة على علم صحيح أن توحّد برامجها على مثل برنامج الحكومة وهو برنامج لا يمكن أن تقبله أية بلاد همجية.

وجدت عند استلامي العمل برنامجاً موضوعاً ولكن لم يدرس، نظرت فيه نظرة إجمالية ثم تفصيلية فوجدت أنه يصلح نواة يمكن أن تنمو وتصح فقبلته وكلفت الحكومة بقبوله. إنّ النواة لا يمكن من أولّها أن تكون شجرة صحيحة ولا يقصد أن تكون سالمة فإذا اعتني بها وسقيت بماء الإخلاص الصحيح تنمو وتورق أغصانها وتعطي ثمراً جنياً. هذا هو البرنامج الذي قبلته ولا أقول يجب على الحكومة وأبناء البلاد أن يتبعوه للأبد، لأنّ الصحيح لا يمكن الوصول إليه إلاّ بعد اختبار، فإذا وُجِد فيه نقص فهو غير مقصود وغاية ما فيه أنّه قابل للإصلاح ولا يضرّ. هذه كلمة إجمالية عن البرنامج الذي قُبِل ونظرت إليه المدارس الأجنبية نظرة استحسان، وقبلت تطبيقه في سبيل توحيد التعليم. ولا أخفي عليكم أنّ بعضها طلبه وبدأ بتطبيقه لا لنقص في منهاجها، ولكن لتسير مع الحكومة على برنامج واحد ويحقّ لطلبتها أن ينالوا شهادة الحكومة التي ينال صاحبها كل حق، وإنما الحق يعطى لأبناء لبنان.

هذا هو البرنامج، أما مبدؤه فأقول عنه كلمة إجمالية، فهو يقسم التعليم إلى درجات ثلاث: الأولى الحضانة أو حدائق الأطفال أي الذين يدخلون مدارس التربية من سن 4 إلى 7 وتعليمه عملي أكثر منه نظري. والثانية الإبتدائي الإعدادي والذين يدخلونه من 7 إلى 10 سنوات. والثالث الإبتدائي العالي من 11 إلى 13 سنة، وهو الذي يهيئ أبناء البلاد لأن يدخلوا المدارس الثانوية (الثانوية) لنيل الكفاءة والبكالوريا. وإني لم أتجرأ على اقتراح برنامج للبكالوريا لأني لا أستطيع تطبيقه إلاّ على أبناء المدارس غير الرسمية، والواجب يقضي على الحكومة بتطبيقه على أبناء مدارسها، لذلك أخرته حتى تنمو هذه النواة ويصبح في مدارس الحكومة من يصلحون له (وضعه في أيار 1926).

مواد التدريس:

ثم عطفت النظر فوجدت أن الإكتفاء بالعلم النظري ليس القصد، بل يجب الاهتمام بالصناعة، وأقصد بذلك مبادئ الصناعة التي تكفي صاحبها لمباشرة العمل والإرتزاق. لذا وضعت منهاجاً لصفوف تلحق بالمدارس الرسمية تعلم الصناعات للذكور والإناث، فأصبح المنهاج يتناول تربية الأطفال والتعليم الإبتدائي وتعليم صناعة تؤهل صاحبها أما أن يكتفي بها ويرتزق أو يدخل مكتب الصنائع الذي اعتنت به الحكومة اعتناءً خاصاً.

أمّا من جهة المواد التعليمية، فقد وضع في المنهاج خطة أنّ الفتى أو الفتاة يتلقى العلوم اللازمة بطريقة النظر، وهي الخطة التي قبلتها البلاد الراقية. نعم هذا يحتاج لمواد وأدوات ولكن أظن المجلس الكريم لا يبخل علينا بها (وسائل الإيضاح).

نظرة أخرى في المنهاج، وهي اللغة ولغة البلاد العربية وأبناؤها لا يمكنهم أن يتلقوا العِلم إلاّ بها، ولكن لا يخفى أنها فقيرة في مواد التعليم، ولا يوجد كتب كافية لتعليم الفنون الصحيحة أي دروس الأشياء. من مبادئ كيميا(كيمياء) وطبيعة وخلافه. لذلك وجب أن يكلّف التلامذة أن يتلقّوا هذه العلوم باللغة الفرنسوية فمن جهة يتقوون بها، وهي لغة رسمية في البلاد، ومن جهة أخرى يتناولون ثقافة صحيحة في هذه العلوم. أما باقي الدروس مثل الجغرافيا والتاريخ والأخلاق والواجبات الوطنية فإنهم يتلقونها بالعربية، وعددها يزيد عن عدد الدروس التي تلقّن بالإفرنسية، فنكون بهذا قد قسّمنا الدروس إلى 3/2 و 3/1 ثلثان بالعربية وثلث بالإفرنسية.

حالة المعلمين:

ثم نظرت الحكومة إلى حالة المعلمين، وإنّي أتأثر جداً إذ أراني مضطراً أن أقول كلمة عنهم. أجدهم من وجهة معذورين، ومن جهة أخرى لا عذر لهم. أمّا عذرهم فكيف يتسنى لمعلّم أن يدرس ويُدرّس أبناء البلاد علوماً صحيحة وهو يتناول راتباً أقل من راتب الخادم. كان المعلم يتناول 7 ليرات مزدوجة، وإذا عظم شأنه 8 ليرات، وإذا عظم أكثر 12 ليرة. فهل بمثل هذا الراتب نستطيع أن نطلب إلى رجل متدرب متعلم أن يتسلّق جبال هذه البلاد ويعلّم أبنائها علماً صحيحاً ؟ لا أظن. ولا أظن أن لبنانياً أو بشراً محباً للإنسانية يقول كلمة بحق معلّم كهذا. ثم – وهم غير معذورين في هذا – بأن يقبلوا الوظائف وهم غير أهل لها. هذا نقيصة لا تغتفر للمعلّم وكل وطني يفضّل أن يسفّ التراب من أن يحصل على وظيفة يقتل بها أبناء بلاده، والمعلّم غير المقتدر قاتل جانٍ بل الذي يقتل أهون منه.

كان في المدارس 235 معلّماً، وإني أخجل أن أقول أن 91 منهم عيّنوا معلّمين إرضاءً للطوائف، و50 لأغراض أخرى لا تسيء بالأخلاق ولكن بالتربية الأدبية، مثل أن يتجسسوا أو يقوموا بعمل آخر مثل ذلك. هذه حالة نظرت إليها الحكومة نظرة اشمئزاز، وبدأت تطهّر مدارسها منهم، وهي لم تتكلّف إعطاءهم تعويضات بل اضطرّت القسم الأكبر منهم الإستقالة.

دار المعلمين والمعلمات:

وإصلاحاً لهذه الحالة لم تجد(الحكومة) وسيلة سوى الإلتجاء إلى قرارين هما على غاية من الأهمية: الأول إصلاح الحالة المادية، وللقيام بالأول أوجدت مدرسة المعلمين والمعلمات

(دار المعلمين والمعلمات). إنّ فن التعليم فن مستقل بذاته لا يمكن لمن يحرز أعلى الشهادات أن ينجح في سلك التعليم ما لم يتعلم ذلك الفن. لذلك جربنا افتتاح دار المعلمين وانتخبنا لها الأساتذة الأكفاء، وقد نجحت تجربتنا بدليل أنّ الطلاب الذين أدوا امتحان الدورة الأولى أمام أهل العلم والخبرة أثبتوا مقدرتهم وصلاحهم لأن يكونوا معلمين وذلك بعد سنة واحدة. ولمّا نجحت هذه التجربة أحببنا أن نجرّب الثانية وهي دور المعلمات. إنّني وإياكم ممن يقول بتعليم البنت، وهو دور بلا ريب أساس الإصلاح، فمهما حاولتم أن توفقوا بين أبناء الوطن لا يمكن أن تحدثوا ذلك إلاّ في البيت، والبيت هو البنت، والبنت العلم، والعلم يجب أن يكون كثيراً بل إلى حد معين. ولذا أعتقد أنّ التجربة الثانية ستنجح كما نجحت دار المعلمين.

غير أني قبل أن أنتقل من هذه النقطة، يجب أن أقول كلمة عن دار المعلمين وسبب نجاحها. إنّ بلادنا كما قلت قبلاً ينقصها أشياء كثيرة، لذلك مددنا يد الطلب إلى فرنسا التي عندها الأكفاء الإختصاصيون والتي تستفيد منها بلاد أخرى راقية مثل مصر، حتى أنّه قد وقع بيننا وبين مصر حادثة لا بأس من ذكرها وهي: أنّنا توفقنا إلى إيجاد معلّمة ذات شهادات ومقدرة وتلزمنا أن ندفع لها 30 ليرة "أوبير" (مزدوجة)، وكاد يتم الإتفاق، وإذا بمندوب مصر يدفع لها 60 جنيهاً مصرياً فتركتنا وذهبت إلى مصر.

إصلاح المعلمين:

هذا من جهة الإصلاح، أمّا حالة المعلمين فقد وضعت الحكومة قراراً بشأنهم أعطتهم بموجبه حقوقاً، ووضعت عليهم واجبات، وجعلت لهم أمل بالنجاح والترقي، فإنّ رواتبهم تبدأ الآن من 16 ليرة إلى أن تصل إلى 19 "أوبير". ثم بعد صدق الخدمة يصح للمعلم لقب أستاذ في مدارس البداية، ثم يتدرّج إلى المدارس العالية، فيصل راتبه إلى 43 ليرة "أوبير"، ثم يستطيع أن يصل إلى درجة معلّم أساتذة فيبلغ الحد الأقصى من الراتب وهو 50 ليرة "أوبير".

هذه مراتب المعلمين الجديدة، وأظن أنّنا بهذه نستطيع أن نجد معلمين أرباب أهلية.

وصف حالة المكاتب (المدارس):

ثم نظرنا إلى الأمر الثالث وهو حالة المكاتب، ولا يخفى على حضرات النواب أنّ العقل الصحيح في الجسم الصحيح، فإذا كان المتعلّم في مكان لا يصلح أن يكون إسطبلا للخيل بل للبقر فماذا يرجى منه؟ انحشر 1000 تلميذ في مكان لا هواء فيه ولا نور، نرجو أن يكون أبناء وطننا بعقول صحيحة وأجسام صحيحة ؟

ليس للحكومة سوى ثلاثة مكاتب (مدارس) رسمية، وقد فَكّرتْ بإصلاحها، ولكن الإصلاح دفعة واحدة لا يمكن، فالطفرة محال لذلك رأت أن تعرض على المجلس برنامج يمتد

إلى 5 سنين، وأوجدت مصورات لمبانٍ على طريقة صحيحة تبني الحكومة منها كل سنة ما تسمح به الحالة المالية، ومتى صادق المجلس على هذا البرنامج تبدأ الحكومة بتطبيقه، ولا ريب أنّ هذا أمر أساسي ولا يمكن العمل به إلاّ برأي ممثلي الشعب.

الاهتمام بالفنون الجميلة والموسيقى:

ثم نَظَرتُ في خطة ثالثة فوجدت أنّ البلاد كما أن ينقصها التعليم، كذلك ينقصها شيء من متمماته، وهو الفنون الجميلة. ربما يعترض معترض ويقول لماذا تبدأ بالفنون الجميلة أي بالرأس قبل الذنب، ولكن لا يخفى على النواب أنّ الحكومة ليست للجهال فقط بل للمتعلمين أيضاً، يوجد بين أبناء البلاد كثير من المتعلمين المتنورين.

يوجد في لبنان الكبير 761 مدرسة أجنبية وخصوصية فيها 5195 طالب وطالبة فهؤلاء في حاجة أيضاً لإنارة فكرهم في المسائل الروحية أي الفنون الجميلة - الموسيقى. ولهذا وجدت أنّها في حاجة للنهوض بهؤلاء من وجهة فنيّة. والموسيقى- إذا كان الشعر صورة الروح فهي صورة الحياة. لذلك رأت الحكومة أنّها تعوزها بدليل أنّها عندما عرضت للمسابقة وضع النشيد الوطني لم يتقدّم لها سوى أجنبي واحد. لهذا فقد كلّفت نابغة لبـنان الأستاذ وديع صبرا أن يتولّى هذا الفرع، وعهدت إليه بتنشئة أبناء البلاد نشأة روحية وبتدريبهم على النشيد الوطني.

هذه هي الأساس (الأسس) التي بنت عليها ميزانيتها، غير أنها لاحظت أمراً واحداً وهو حالة القرى، فإنّه لا يمكن للحكومة أن توجد العدد الكافي من الأساتذة. لذلك أرادت أن تنشئ مدرسة سمتّها المدرسة الإقليمية تسَع 200 تلميذ - وبناء على اقتراح النواب وافقت على تخفيضها إلى 100 تلميذ، والقصد منها تعليم أبناء القرى علماً ممّا يتلقّونه في مدارس القرى مع قسم صناعي، فإمّا أن يكتفوا به أو ينهضوا فيدخلوا مدرسة الزراعة أو الصناعة. وهذه المدرسة الإقليمية داخلية مجانية.

ثم نَظَرتُ أن التعليم العالي موجود، ولكن كثيرون من أبناء البلاد يتعلمون الإبتدائي أو الثانوي وفقرهم يمنعهم عن الذهاب للخارج لمتابعة الدرس، فأشفقت الحكومة أن لا تمدّ يدها للفقير النابغ فيكون فقره قتلاً لنبوغه. لذلك قررت إرسال بعثات علمية إلى فرنسا وهذه خطة البلدان الراقية خصوصاً مصر.

هذا ما أردت أن أجمله عن النظارة، فإن رأى المجلس أنه موافق فيه وإلاّ فإني أؤثر أن لا أكون بمقعد الحكومة بل الشعب لأسمع قولاً أفضل منه في السنة الآتية.

ملحق رقم (2)

تسلسل أسلوب منح الإجازة في الطريقة الرفاعية الصوفية[304]:

إن الشيخ محمد الجسر الطرابلسي، أبا الأحوال، قد حصل له الإذن في الخلافة على الطريقة الرفاعية المرضية الإذن الباطني في نظمه بسلوك الطريقة الرفاعية الأميرية السنّية المتصلة إلى القطب الكبير الإمام الشهير صاحب العادات من إطاعة سم الأفاعي السيد الشيخ أحمد الرفاعي. وذلك بتسلسل منحها من مشايخ هذه الطريق من الأقرب له في الزمن إلى الأبعد على الشكل الآتي:

أخذها من الشيخ محمود الرافعي أبي الأنوار الذي أجازه بها:

- الشيخ والمرشد في هذه الطريقة السيد الشيخ حسين الدجاني - الشيخ أحمد ابن الشيخ حسين الجندلي السيد عبد الرحيم ابن السيد أحمد الجندلي - عبد الرحيم ابن السيد علي الرفاعي - والده السيد علي الجندلي - السيد أحمد الجندلي الرفاعي - محمد أبي سعيد الجندلي - إسماعيل الجندلي - عز الدين حسين ابن الرفاعي - صدر العارف بالله الرفاعي - شمس الدين أحمد ابن أحمد الرفاعي - تاج الدين ابن أحمد الرفاعي - شمس الدين ابن أحمد المستعجل ابن محمد الرفاعي - أبيه نجم الدين أحمد ابن علي الرفاعي - السيد قطب الدين أبي الحسن ابن علي	- السيد والإمام مربي المريدين ومرشد السالكين وسلطان العارفين والقطب الكبير من لهُ إطاعة الآساد(الأسود) والأفاعي أبي العلمين الشهاب أحمد بن الرفاعي ابن أبي الحسن الرفاعي - السيد علي ابن القاري الوسطي - الشيخ ابن كجانح - ابن زكان - علي برباري - الشيخ عمر العجمي - الشيخ أبي بكر الشلبي - شيخ الطائفتين أبي قاسم الجنيد البغدادي - سري السقطى - معروف ابن فيروز الكرخي - الشيخ داود الطائي - حبيب العجمي - أبي سعيد حسن البصري - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم

(304) حسين الجسر: نزهة الفكر...، مصدر سابق، ص 57 و 58.

الرفاعي ابن عبد الرحيم الرفاعي - السيد شمس الدين - فخر الدين إبراهيم الأعجم (أي إبراهيم الأعزب) - سيف الدين علي بن عثمان الرفاعي	الله وجهه - سيد الأنبياء النبي محمد(صلعم) عليهِ من الله فضل الصلاة وأتم التسليم - أمين الوحي السيد جبريل وهو عن رب العزة ربَ العالمين(أي الله).

ملحق رقم (3):

الطرق الصوفية في طرابلس ومشايخها[305].

1ــ القادرية:

- **مؤسسها:عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني** (ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب)(470 ــ 561هــ/ 1077 ــ 1165م)
- **مشايخها:**

1- نجيب الزعبي
2- محمد بدر الدين الزعبي.
3- أحمد سلطان.
4- فتح الله ابن محمد بدر الدين الزعبي.
5- حسن الزعبي
6- عبد الفتاح ابن محمد بدر الدين الزعبي.
7- عبد السلام الزعبي.
8- خليل بن إبراهيم الثمين.
9- يوسف عمر الذوق.
10- يوسف الجبلاوي.
11- عبد الرحمن الصوفي.
12- محمد رشيد درنيقة.
13- مشايخ آل البيروتي: مصطفى بن حسن وسعيد ونوري بن حسن وجميل بن حسن وعبد القادر بن نوري.
14- عبد اللطيف الحداد.
15- نظيف المولوي.
16- محمد خلف.

---

(305) محمد درنيقة: **الطرق الصوفية...**، مرجع سابق، ص 21 - 34، و ص 320 ــ 325.

2ـ الرفاعية:

- **مؤسسها:الشيخ أحمد الرفاعي(513 ـ 578هـ/ 1125 ـ 1182م)، (يعود نسبه** إلى موسى الكاظم، فجعفر الصادق، فمحمد الباقر، فزين العابدين، فالحسين، فعلي بن أبي طالب)
- **مشايخها:**

1- محمد جمال الدين(النهري).
2- مصطفى العلماوية.
3- عبد القادر الكوت.
4- سعيد المبيّض.
5- مصباح سمنة.
6- صالح الدبوسي(أبو ذراع).
7- أحمد بن مصطفى الصيّادي الرفاعي(شيخ السجادة الرفاعية).
8- مصطفى وهيب ابن إبراهيم البارودي.
9- نصوح وهيب البارودي(شيخ قرّاء طرابلس).
10- سلمان وهيب البارودي.
11- أحمد الرافعي.
12- عبد الحميد ابن عبد الغني الرافعي(بلبل سورية لأنّه كان شاعراً)
13- عبد الحفيظ المهتدي.
14- أحمد عمر الصيادي الرفاعي.
15- علي بن محمود الزاهد.
16- علي تاج الدين.
17- محيي الدين سلهب.

3ـ الشاذلية:

- **مؤسسها:علي أبو الحسن الشاذلي(593 ـ 656هـ/ 1196 ـ 1258م)، (ينتهي** نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي علي طالب).
- **مشايخها:**

1- درويش مصطفى بن قاسم بن عبد الكريم بن قاسم بن محي الدين الحلبي الشافعي.

2- محمد القاوقجي(أبو المحاسن)، وهو ابن خليل ابن إبراهيم بن محمد بن علي ابن محمد الشهير بالقصيباتي.
3- أبو النصر بن محمد أبي المحاسن القاوقجي.
4- فخر بن محمد أبي المحاسن القاوقجي.
5- عبد القادر الأدهمي الحسيني،(الأدهمي نسبةً إلى الصوفي إبراهيم بن أدهم، والحسيني نسبةً إلى الحسين سبط الرسول محمد).
6- عبد المجيد المغربي، ابن محمود ابن عبد القادر (الجد الأعلى لآل المغربي الشيخ محمد التونسي).
7- عبد الحميد الخطيب.
8- محيي الدين الخطيب.
9- عبد الكريم عويضة.
10- محيي الدين الملاح.
11- علي بن مصطفى العمري.
12- مصطفى بن علي العمري.
13- عمر بن مصطفى بن علي العمري.
14- عبد الرؤوف بن عمر العمري.
15- حسين تاج الدين.
16- محمد خليل صادق.
17- محمد شفيق الملك.
18- سامي بن خليل صادق.
19- محمد عادل أبو شنب.
20- وجيه الزاهد.

4ـ البدوية:

- **مؤسسها:السيد أحمد البدوي**(535 ـ 675هـ/ 1140 ـ 1276م)، (أبو العباس بن علي بن إبراهيم بن محمد... ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب)
- **مشايخها:**

1- عز الدين الموصلي، نائب طرابلس المملوكي.
2- مصطفى بن سعيد سلهب.

3- محمد صلاح الدين بن مصطفى سلهب.
4- محمد كامل سلهب.
5- محمد مصباح سلهب.
6- حسن بن عبد القدوس الشهير بالقدوسي.
7- محمد فؤاد ابن عمر بن محمد بن قاسم صادق.
8- عبد الرحمن بن فؤاد صادق.
9- صبري بن علي الغندور.
10- رشاد اللوزي.

5ـ النقشبندية:

مؤسسها:محمد بهاد الدين الأويسي البخاري المعروف بـ«شاه نقشبند»
(717 ـ 761هـ/ 1317 ـ 1388م)
(اعتبر النقشبندية أن سلمان الفارسي هو المؤسس لطريقتهم)

مشايخها:

1- إبراهيم ميقاتي.
2- أحمد بن سليمان بن عثمان.
3- أحمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي(الكمشخانلي).
4- أحمد بن علي بن عمر المنيني.
5- حسن بن محمد النعنعي.
6- علي بن محمد بن أحمد المقدم(الجد الأعلى لآل المقدم في طرابلس).
7- عبد الله الدبها الحلبي.
8- محمد ذو الفقار.
9- عبد الله البخاري.
10- رشيد إبراهيم الحسن.
11- الياس كرم.
12- سعيد الحموي.
13- مصطفى الأيوبي.
14- محمد السويسي.
15- يوسف العمري، ابن الصوفي الشهير بالعمري.
16- علي محمد المقدم.

17- عمر ابن عبد الغني الرافعي(الفاروقي).

18- عصام ابن عبد الغني الرافعي.

19- زهير ابن عبد الغني الرافعي.

20- محمد سعيد منقارة.

21- محمد ناظم القبرصي.

22- أحمد شركان المجلد

6ـ الخلوتية:

مؤسسها:

عمر الخلوتي (توفي 800هـ/ 1395م)

جدّدها **مصطفى ابن كمال الدين ابن علي ابن كمال الدين ابن محي الدين**... الذي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق(1100 ـ 1163هـ / 1688 ـ 1749م).

مشايخها:

1- عبد القادر الرافعي الأول ابن عبد اللطيف البيساري ابن عمر البيساري ابن أبي بكر الحموي.

2- أحمد عبد القادر الرافعي.

3- مصطفى عبد القادر الرافعي.

4- محمد بن مصطفى الرافعي.

5- عبد القادر بن مصطفى الرافعي(الثاني).

6- محمود الرافعي (أبو الأنوار)، ابن عبد القادر الأول.

7- عبد الغني ابن أحمد عبد القادر الرافعي.

8- ابراهيم الأحدب.

9- درويش التدمري.

10- محمد كامل بن عبد الغني الرافعي.

11- محمد رشيد ميقاتي، ابن مصطفى ابن أبي بكر بن إبراهيم بن مصطفى بن عبد الحي...

12- علي محمد رشيد ميقاتي.

13- مصطفى رشيد ميقاتي.

14- مصطفى المغربي.

15- محمود نشابة عبد الدائم.

16- علي رشيد بن محمد رشيد ميقاتي.

17- اسماعيل بن أحمد الأحمدي الملقب بالحافظ.

18- عبد الحميد ابن إسماعيل الحافظ.

19- عمر بن محمد بن محمد الدمياطي اليافي.

20- محمد بن عمر اليافي(أبو النصر).

21- سليمان البطاوي.

22- محمد مصطفى الجسر(أبو الأحوال).

23- حسين بن محمد بن مصطفى الجسر.

24- محمد بن حسين بن مصطفى الجسر(محمد يمن).

25- نديم بن حسين بن مصطفى الجسر.

26- محمد ابن ابراهيم الحسيني.

27- محمد الشهال.

28- عبد القادر المغربي.

29- محمد رشيد رضا.

7ـ المولوية:

- **مؤسسها: محمد ابن محمد ابن الحسين الخطيب البكري. هو** جلال الدين الرومي نسبة إلى بلاد الروم(604 ــ 672هـ/ 1207 ــ 1273م)
- **مشايخها:**

1- عبد الجليل السنيني الحنفي.

2- مصطفى الثاني ابن عبد الجليل المولوي.

3- أحمد بن مصطفى المولوي.

4- شفيق ابن عبد الحميد المولوي.

5- حسني ابن عبد الحميد المولوي.

6- أنور ابن فؤاد شاكر المولوي.

7- منير الملك.

ملحق رقم (4)

مميزات سلوك الطريقة الخلوتية[306].

وضع مشايخ هذه الطريقة خمسة وعشرين شرطاً للخلوة أهمها:

- استئذان الشيخ في دخول الخلوة.
- صلاة ركعتين قبل الدخول، والتوجّه إلى الله ليسهّل للمريد الأمر وينيله مراده.
- كيفية الدخول، كما هي الحال عند دخول المسجد: الرجل اليمنى أولاً، البسملة، التعوّذ من شرور النفس.
- تعتيم الخلوة، فلا يدخلها شعاع الشمس حتى لا تنشغل حواسه.
- ملازمة الوضوء، والإكثار من الصوم ليصفو القلب من الكدورات البشرية.
- أن يشغل قلبه بمعنى الذِّكر، مراعياً معنى الإحسان (والإحسان عند الصوفية أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).
- أن لا يتكلم مع أحد إلا مع شيخه، وذلك لأمر ضروري.
- أن تكون الخلوة بعيدة عن الأسواق وأماكن السماع.
- أن يغطي المريد رأسه إذا أراد الخروج إلى الصلاة، فيتوجه بنظره نحو الأرض.
- أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة، لأن تركها خطأ. وإن كان له رفيق يصلي معه في خلوته وإلا فعليه بصلاة الجماعة على أن يعود بعدها إلى خلوته.
- عدم النوم إلا إذا غلبه النعاس.
- الإعتدال في جميع أحواله، لا سيما بين الجوع والشبع. وبعض الخلوتية يقتصر طعامه، أثناء الخلوة، على الزيت والزيتون أو غيره من المأكولات النباتية، ويمتنعون عن طعام الحيوان أو ما يخرج منه.
- ملازمة الذكر في القلب وعدم فتح الخلوة للناس.
- إذا شاهد المريد شيئاً في النوم أو في اليقظة أو في الفهوانية (ما بين النوم واليقظة)، لا يستحسن ذلك ولا يستقبحه، ولا يزيد عليه ولا ينقصه، بل يعرض كل ذلك على شيخه ولا يطلب منه تأويله، فلربما لا يرى الشيخ المصلحة في التأويل. ولا يجب أن يكتم واقعته عن شيخه، لأن الكتمان خيانة.

---

(306) محمد درنيقة: الطرق الصوفية ومشايخها، مرجع سابق، ص 80.

ويراجع أيضا محمد نور: «الصفا الأنس»، القاهرة، 1312هـ/1894-1995، ص70-71 وعلي الجريجاني التعريفات، استانبول، 1308هـ/1890-1891 م، ص5.

- دوام تخيّل صورة الشيخ، وهو الرابطة بينه وبين خالقه، كما يعلنون، فهذا التخيل يدفع وسوسة الشيطان. فإذا همّ المريد بمعصية يتمثل له الشيخ فينزجر عن فعلها، كما يعتقدون.
- وهكذا فإن دخول الخلوة والخروج منها لا يتمّان إلا بموافقة الشيخ. وقد اتفق مشايخ الخلوتيّة على أن مدّة الخلوة تستغرق أربعين يوماً.
- فالخلوة تشبه إلى حد بعيد المحبس (الحبس)، الذي يضع الناسك نفسه فيه، قاهراً لجسده بالجوع والعطش والسهر، منصرفاً إلى التأمّلات التي تحمله على تسبيح الخالق.

فهرس الوثائق

وثيقة رقم (1)

الصفحة الثانية من يوميات الشيخ محمد الجسر لعام 1923

الجسم وتشهد القوى فيجمعل للانسان ان يتخلص من [illegible] الردي وان يحفظ نفسه من الاضطرار لمعالجتها قدر ما يمكنه وقدر استطاعته وجهده ·

القائلون العظماء ليسوا هم الفاعلون العظماء

الاربعاء ٣ كانون الثاني ١٩٢٣

حضر اليوم عبد الحميد افندي كرامه من طرابلس بناء على طلب القومندان ترابو حاكم لبنان وقد جاء الى الدائرة مع [illegible] الله بك بيهم وفهمت منه انه طلبه بخصوص مسألة جرت في طرابلس وهي ان الطرابلسيين والعكاريين حرروا مضابط يطلبون فيها الحاقهم بحكومة الاتحاد السوري ·· فجمعته مع الحاكم ترابو وجرت بينهم مباحثة وكنت ترجمانا فيها وخلاصتها ان الطرابلسيين يطلبون الانفصال لانهم اصبحوا منفورين بالحاقهم في لبنان بسبب انهم يدفعون الضرائب الكثيرة وبسبب انهم اصبحوا غريبين عن لبنان والموظفين عندهم من لبنان وليس من بينهم احد موظف وبسبب ان الجنرال غورو اعلن استقلال طرابلس الاداري ولم يتم ذلك وان علاقتهم مع الداخلية توجب عليهم الانفصال وتم الاتفاق اخيرا على ان يؤلف وفد من الطرابلسيين ليذاكروا الحاكم في المسائل التي تطلبها مدينتهم وينظر في امرها وان يرجع عبد الحميد كرامه ارسال الاستدعاءات الى المفوض الى ان يتم الاتفاق وانهم يتوسطون لناظر الداخلية في الامر وفهمت من عبد الحميد افندي كرامه بان اركان المفوضية الفرنساوية هم الدافعون للطرابلسيين الى الامر وانه قابلهم ولاقى منهم كل تشجيع واسعاف ·

كان اليوم صحوا بديعا جدا السماء صافية والشمس ساطعة والهواء بارد ·

ان [illegible] التي توجدها خيالات [illegible] هي ····· اظهرتها العامي [illegible]

في مثل هذا العام من سنة ١٣٢٢ جلس شارل الرابع على عرش فرنسا ·

الخميس ٤ كانون الثاني ١٩٢٣

دعوة [illegible] الحاكم للعشاء الساعة ٧/٢ ·

الانسان المتدين والانسان [illegible] يتكلمان دائما عن الدين [illegible] عما [illegible] الاخر [illegible]

[illegible]سكو

لم يقع شيء يستوجب الذكر في هذا اليوم ·

في مثل هذا اليوم اسست مدرسة [illegible] ·

السعادة الفضلى هي التي نعطي ·

الأربعاء 3 كانون الثاني 1923

حضر اليوم عبد الحميد كرامي من طرابلس بناءً على طلب الكوماندان ترابو حاكم لبنان، قد جاء إلى الدائرة مع عبد الله بك بيهم وفهمت منه أنه طلبه بخصوص مسألة جرت في طرابلس وهي أن الطرابلسيين والعكاريين حرّروا مضابط يطلبون فيها إلحاقهم بحكومة الاتحاد السوري... فجمعته مع الحاكم ترابو وجرت بينهم مباحثة وكنت ترجماناً فيها. وخلاصتها أن الطرابلسيين يطلبون الانفصال لأنهم أصبحوا متضررين بإلحاقهم في لبنان بسبب أنهم يدفعون الضرائب الكثيرة وبسبب أنهم أصبحوا غريبين عن لبنان، والموظفون عندهم من لبنان وليس بينهم أحد موظف وبسبب أن الجنرال غورو (GOURAUD) أعلن استقلال طرابلس الإداري ولم يتم ذلك، وإن علاقتهم مع الداخلية توجب عليهم الإنضمام وتم الاتفاق أخيراً على أن يؤلف وفد من الطرابلسيين ليذاكروا الحاكم في المسائل التي تطلبها مدينتهم وينظر في أمرها، وأن يؤجل عبد الحميد كرامي إرسال الاستدعاءات إلى المفوض السامي إلى أن يتم الاتفاق، وإنهم يتوسطون ناظر الداخلية في الأمر، وفهمت من عبد الحميد أفندي كرامي بأن أركان المفوضية الفرنساوية (الفرنسية) هم الدافعون للطرابلسيين إلى الأمر، وإنه قابلهم ولاقى منهم كل تشجيع وإسعاف.

وثيقة رقم (2)

الصفحة الثالثة والرابعة من يوميات الشيخ محمد لعام 1927

الثلاثاء ٤ كانون الثاني سنــــــة ١٩٢٧

كان النهار جميلا لطيفا ولم اعمل شيئا يذكر . وقد زارني اليوم وفد من طرابلس الذي استقبله المفوض السامي وبسط له اماني الطرابلسيين وكان الوفد مؤلفا من عبد الحميد افندي كرامي وعبد الحميد افندي المغربي والدكتور بيسار وحسن افندي الذوق ... افندي حكيم وقد ... على ما ذكره المفوض السامي من امانيهم واخلاصهم للوحدة السورية ولكن المفوض السامي لم يتفاوض معهم بالحديث بل غاية ما قاله لهم بانه ينظر في الامر وقد هش لهم وبش فخرجوا راضين من عنده .... المفوض السامي في اليوم وفدا من بيروت وهو مؤلف من عبد الحميد افندي الغندور وعمر بك الداعوق وعبد الله بك بيهم ..... وقد طلبوا منه الوحدة تحت شرط ان ..... لهم بيروت ويتخلصوا من لبنان وهش لهم مثل ما هش للطرابلسيين وخرجوا من عنده راضين ولا يعلم ... ماذا يكون .... اما انا فاعتقد ان كافة هذه الاعمال هي فصول رواية تشخيص على مرأى من سورية يلعب فيها اشخاص هم الذين نشاهدهم كرجال الوفد ورجال لهم ... والصحف المعارضة ولكن المحركين الحقيقيين هم غير اولئك وانني اذكرها رأيا باجماع على ان يلهمني الله الصواب .

٤/...

الثلاثاء 4 كانون الثاني 1927.

كان النهار جميلاً لطيفاً ولم أعمل شيئاً يذكر.

وقد زارني اليوم وفد من طرابلس الذي استقبله المفوض السامي وبسط له أماني الطرابلسيين. وكان الوفد مؤلفاً من عبد الحميد أفندي كرامي وعبد الحميد أفندي المغربي والدكتور بيسار وحسن أفندي الذوق ومحمد أفندي حكيم... وقد... على ما ذكره المفوض السامي من أمانيهم وإخلاصهم للوحدة السورية ولكن المفوض السامي لم يتفاوض معهم بالحديث بل غاية ما قاله لهم بأنه ينظر في الأمر وقد هشّ لهم وبشّ (ابتسم) فخرجوا راضين من عنده.

كما استقبل المفوض السامي في اليوم نفسه وفداً من بيروت وهو مؤلف من عبد الحميد أفندي الغندور وعمر بك الداعوق وعبد الله بك بيهم وقد طلبوا منه الوحدة شرط أن تكون بيروت لهم. ويتخلصوا من لبنان وهشّ لهم مثل ما هشّ للطرابلسيين وخرجوا من عنده راضين... أما أنا فأعتقد أن كافة هذه الأعمال هي في فصول رواية تشخيص (تمثيل) على مرأى من سورية يلعب فيها أشخاص هم الذين نشاهدهم كرجال وفد ورجال لهم والصحف

المعارضة، ولكن المحركين الحقيقيين هم غير ذلك، وإني أذكرها رأياً بالإجمال على أن يلهمني الله الصواب هم الانكليز الذين يريدون امتلاك سورية وإخراج الفرنسيين منها ولكنهم لا يريدون أن يخرجوهم بالعداء وبالحرب مع الفرنساويين... وهم سيستعملون كافة الوسائل لتجبرهم من أن يخرجوا منها من أنفسهم وإن كانوا مكرهين على ذهابهم خارج سورية. لذا رميت لهم الدراهم بواسطة دائرة الاستخبارات العظمى التي يعمل فرعها في مصر فيهيجون الرأي العام بواسطة الدعايات المختلفة التي شهرتها في مصر وفي سوريا وفي لبنان وفي أمريكا وفي غير هذه من المحلات وهم فريق دهاء الأفكار وقد سمّموها حين كانوا ممثلين بجيوشهم سورية ولا يزالون سائرين الخطى بصبر إلى غايتهم... وهم يعملون الآن لمشكلة الوحدة السورية حتى يفصلوا المسيحيين عن المسلمين ويجتمع المسلمون في كتلة واحدة، فإذا أهاجوهم واندفعوا للخروج عن طاعة الفرنسيين فتتكون بذلك كتلة تسمع كلمتها في أوروبا فيتم لهم الأمر ويضطر المسيحيون للإجابة قسراً لأنهم لا يقدرون على القيام بأنفسهم وحدهم لأنهم أقلية جزئية وبذلك يتم لهم بتلك الكتلة الأمر وذلك بإخراج الفرنساويين من سورية وبإضعاف السوريين أنفسهم وتفرقتهم بسبب الحروب والكوارث والمعاهدات السياسية، فإذا ما احتلوا سورية ووجدوها خالية من قوة خارجية وجدوا أهلها ضعافاً لا يقدون على مقاومتهم. والسوريون أنفسهم وبالأخص المسلمون الموجودون في سورية يعرفون ما عليهم سوى الاندفاع إلى العمل حباً بالتخلص من سلطة الفرنسيين الذين لا يحسنون السياسة معهم وقد جرحوا عواطفهم من حين دخولهم إلى هذه البلاد ويحسبون أنهم يصبحون مستقلين إذا خرج الفرنساويون من بلادهم.

في هذا اليوم من عام 1917 توسط الكاردينال ديوا بوضع اتفاقية بين انكلترا وهولندا.

وثيقة رقم (3)

صفحة من مذكرات الشيخ محمد الجسر 1932

JANVIER

1 VENDREDI. Circoncision 1-365

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كان النهار معتدلاً في هذا اليوم، هنّأت المفوض السامي المسيو بونسو(Ponsot) في دار الإعتماد(مركز المفوضية)، وقد قابلني مقابلة حسنة جداً، ولكن علائم الاضطراب بادية على وجهه بسبب الإنتخابات لمجلس النواب التي يجريها في سوريا. وقد كان بدأ الإعداد لها منذ أشهر مع الحكومة السورية، أما قصة هذه الإنتخابات بالإجمال، فإنّ الدولة الإفرنسية (الفرنسية) منذ دخولها لهذه البلاد لم تجد في المسلمين إخلاصا لها، وزاد مع ذلك إفساد المسيحيين عليهم، وسوء معاملة المسلمين للفرنساويين (الفرنسيين). فهم لم ينفكّوا عن معاكسة الدولة المنتدبة لأسباب لا نميل (نرغب) لشرحها الآن، وبعض الأسباب ناشئٌ عن عدم إلمام الفرنساويين بسياسة هذه البلاد، وبعضها ناشئٌ عن سوء نيّة بين المسلمين، وعدم امتزاجهم مع القوة الممثلة لهذه البلاد، فأوجدت الدولة الإفرنسية حكومة لبنان، أو جمهورية لبنان باعتبار أنّها حكومة مسيحية، أي أكثرية أهلها مسيحيون وجعلتها نقطة ارتكازها في احتلال هذه البلاد، وأخذت تحاول وضع نظام خاص وتشكّل حكومة خاصة للبلاد السورية، فتارة تقسّمها وتارة تضمّها بعضاً إلى بعض حتّى إنْ لم يستقرّ لها قرارٌ على وجه من الوجوه، وظهرت في البلاد السورية كتلة سمّت نفسها الكتلة الوطنية أو الوطنيين فكانت تُظهر المعارضة للفرنساويين في البلاد السورية وأخذت ذلك بشكل كلّي. اضطهد الفرنساويين أفرادها حتّى إنّهم جعلوا لها كياناً ممتازاً في النفوس مع أنّ أفرادها ليس لهم تلك المكانة التي أحرزوها. وجاء المسيو بونسو منذ سنوات وأخذ يحاول حلّ الكتلة بطريقة التطويل في الوقت حتّى خربت تلك الفكرة الوطنية أو الروح الوطنية في البلاد، وقد ساعد الوقت على ذلك. فاضمحلّ شأن الكتلة الوطنية وكل رجالها وسئمها الأهلون حتّى كادت شيئاً لا تُذكر. وسبق أن أعلن المفوض السامي (بونسو) إنّه يُجري هذا العام (1932) انتخاباً لمجلس النواب على وفق (أساس) الدستور الذي أعلنه العام الأسبق، وتنفيذاً لرغبة الوطنيين، ونحّى لذلك (أقال وعزل) الشيخ تاج الدين الحسيني عن رئاسة الحكومة، وأخذ بنفسه إدارة البلاد، أي جعل الحكم في سورية حكماً مباشراً، وبذلك عيّن وكيله هناك المسيو سولمياك(Solomiac) حتّى يشرف على الإنتخابات.... ووعد الوطنيين بان تكون الإنتخابات حرّة، وأن تجري في كل من الشام وحمص وحماه وحلب في ذات الوقت، وأن يكون نوّاب البلاد من حزب الحكومة، أو من التابعين للحكومة، فرضي الوطنيون بهذا الوعد، غير أنّ معاوني المسيو بونسو في سورية لم يرق لهم هذا الأمر، أو أنّهم ظنّوا أنّهم يتمكّنون من كسب الوطنيين في انتخابات المدن الأربعة المذكورة، فوعدوا بها الحزب المعارض وهما الحزب الملكي والحزب الإصلاحي وغيرهما من الأحزاب. فمكّنوا بذلك المعارضة من المداخلة بانتخابات الشام وحماه وحلب وغيرها من

مناطق البلاد السورية، وعمّت الفوضى البلاد السورية قبل الإنتخابات، أي في كانون الأول 1931، وحدث قتلى وجرحى في الشام وحماه، وقامت بعض المظاهرات وقُتِل فيها عشرة أشخاص في حلب، واضطربت الحالة السياسية في البلاد ووقع المفوّض السامي (بونسو) في حيرة من أمره، ولا يعلم ماذا يُجري (يفعل) أيقيم (هل يجري) الإنتخابات للنوّاب في المدن التي حدث فيها معاملة سيئة للمندوبين الفرنسيين، أم يؤجّل الإنتخابات، وهذا ما أوقعه في ارتباك ظاهر وجعله مشغول البال. وإنني (أي الشيخ محمد الجسر) اعتقد أنه لو ترك الحالة على وجه طبيعي لما تمكّن الوطنيون من إحراز نوّاب كثيرين (كثر) في المدن المذكورة، ولكان حزب الحكومة أي الرجال التابعون للحكومة ونوّابهم أكثر من الوطنيين، ولكانت الإنتخابات تمّت على وجه ظاهري وطبيعي، وانتهت بسلام، وسنرى، والله أعلم بذلك... كان النهار جميلاً للغاية ولكنّه تعكّر في آخره...

وثيقة رقم (4)

الخميس [illegible]

مذكرات سفير

بقلم : خليل تقي الدين

قصص من حياتي

الحلقة الثالثة

وما كاد يقبل خريف العام ١٩٢٠ حتى انحدر الاشقاء الثلاثة الى بيروت . كيبرنا سعيد الى الجامعة الاميركية، ثم انا وبهيج الى معهد اللاييك الفرنسي . وكان اسمه « الكلية العلمانية اللبنانية » وهو اليوم يعرف باسم الليسه

كان الفتى ، حين دخل الكلية العلمانية في بيروت ، وهو في الرابعة عشرة من عمره، يقرأ العربية ويكتبها بسهولة واتقان لا يتسنيان عادة لمن هو في سنه وقد حبب اليه العربية عمه امين ، وجو البيت الذي عاش فيه . والمكتبتان في الصالون ، وكليلة ودمنة ، وعنترة ، والمعلم اسعد ، والانجيل المعلم ملحم ونوراته ، وجاءك الفيل والذئب والخروف ، ويحسب المطالب ومجمع البحرين .

وحالفه الحظ ، حين وجد نفسه يدرس العربية ، في معهد اللاييك ، على معلم فاضل كريم هو الاستاذ جورج الكفوري رحمه الله

كان الاستاذ الكفوري شديد الاعجاب بالشيخ ابراهيم اليازجي . وكانت مقالات اليازجي في مجلة « الضياء » مادة لا تنضب . فتفتحت امام الفتى اليافع آفاق جديدة . واحب اليازجي كما احب ابن المقفع . وشعر المعلم بميل تلميذه الى تعلم العربية واتقانها فقربه اليه واصبح صاحبي اثيرا عند استاذه . ونشأت بينهما صداقة نفخت في نفس التلميذ قوة جديدة فضاعف الدرس والمطالعة حرصا على صداقة وظل محتفظا بالمرتبة الاولى في صف العربية وهو يشعر ان ذلك افضل مكافأة لاستاذه على صداقته . ولو عاش صاحبي الف حياة لما نسي فضل استاذه الكفوري عليه ، فهو الذي حل محل عمه بعد ان حالت بينهما بيروت ومدارس بيروت . وهو الذي شجعه على الكتابة وكشف له اسرار الجزالة العربية ، والسبك الجميل . وعلمه الصرف ، والنحو ، والعروض والبيان .

كان استاذنا الكفوري لا يفتأ يشجعنا على الكتابة ويقول لنا : اكتبوا . اكتبوا . فالكتابة اشرف مهنة يتعاطاها الانسان .

وكتب صاحبي وهو في الخامسة عشرة من عمره اول شيء طبع ونشر له .

ولذلك قصة لا ينساها صاحبي ابدا . يذكرها ، كما يذكر الرجل المرأة الاولى التي احبها ، والقبلة الاولى التي عرفها ، والمرة الاولى التي حلق فيها ذقنه .

وقع الفتى ، وهو يطالع مجلة فرنسية على قصة قصيرة اعجبته عنوانها « سائق القطار » فترجمها بأمانة . واعاد كتابتها اكثر من عشر مرات . واستشار القاموس في بعض الفاظها وانا تم بيضها بخط انيق . وذيلها باسمه تحت كلمة « عن الفرنسية » . وارسلها بالبريد المضمون الى جريدة « دير القمر » وكانت اسبوعية تصدر في مدينة دير القمر ، جارة بعقلين . لم يشأ صاحبي ان يرسل القصة الى احدى صحف بيروت لانه لم يكن يعرف بيروت بعد . وفكر ان سكان بيروت وصحفييها لا يعرفون عائلته ، ولا يعرفونه هو طبعا اما ابناء دير القمر فهم جيرانه ولا بد انهم يعرفون اباه وعمه وقد ينشر صاحب الجريدة القصة اكراما لهما .

ارسل الفتى القصة وراح ينتظر ، تنتابه حمى شديدة من القلق والانتظار لا عهد له بها من قبل .

ويقسم صاحبي ان هذه الحمى وهو يسميها حمى الادب ، والكتابة كانت اقوى واشد عنفا من حمى المراهقة وانتظار الحب ، التي كان يعانيها وهو في الخامسة عشرة من عمره .

راح يعد الايام التي تفصله عن موعد صدور الجريدة . ثم بدت له مشكلة لم يحسب لها حسابا . كيف يحصل على الجريدة وهي لا تباع في بيروت ولا تصل الى المدرسة .

كان الفتى يزور شقيقه الاكبر في الجامعة الاميركية مرة في الاسبوع . فلما زاره هذه المرة عرج على مكتبة الجامعة وسأل القيم عليها هل تتلقى المكتبة جريدة « دير القمر » ؟ قال : اجل . فسأله متى تصل عادة ؟ فقال : بعد صدورها بثلاثة ايام . اي يوم السبت . وكان اليوم يوم سبت . اذن فعليه ان يتحمل عذاب الانتظار الى السبت التالي

ويذكر صاحبي ان اصعب اسبوع قضاه في حياته كان ذلك الاسبوع .. فلما كان السبت هرع الى الجامعة الاميركية وقصد الى المكتبة قبل ان يزور اخاه . فوقع نظره على الفور على « دير القمر » ملقاة على الطاولة المستطيلة مع عدد من الصحف . فاخذت يدا الفتى ترتجفان وهو يقلب الصحيفة . لم يجد قصته في الصفحة الاولى ولا في الثانية، ولا في الثالثة ، حتى اذا وصل الى الصفحة الرابعة والاخيرة زاغت عيناه حين رأى عنوان القصة ظاهرا في رأس العمود الاخير . وتدحرجت عيناه على العمود من اعلاه الى اسفله فرأى اسمه مطبوعا في ذيل الصفحة فاحس بما يشبه الدوار . وتهالك على الكرسي حتى لا يسقط من شدة الانفعال . وامحت المكتبة ، وبنايات الجامعة وبيروت وبعقلين والدنيا باسرها ولم يبق في عينيه سوى اسمه المطبوع .. وكان شعوره مزيجا من السعادة والفرح والخوف ، والشك والقلق .

وهدأت نفسه بعض الشيء فترك الجريدة في مكانها ، وهرع الى شقيقه سعيد فسأله هل يستطيع ان تستعير كتابا او مجلة او جريدة من مكتبة الجامعة ؟ قال اخوه : انت لا يسمح لك بذلك . اما انا فاستطيع . لاني طالب في الجامعة . فاي كتاب تريد فخاف الفتى ان يكتشف اخوه سره ، ومن يقرأ القصة فيحرمه . فقال له : اريد كتاب كليلة ودمنه وبعض الجرائد والمجلات .

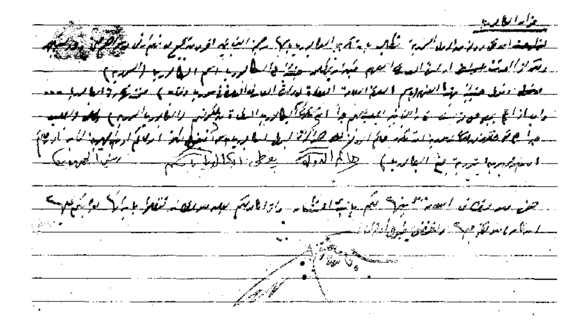
وثيقة رقم (5)

مشروع تأسيس شهادة البكالوريا اللبنانية (الثانوية العامة)

ملاحظاتي على البكالوريا (ملاحظات الشيخ محمد الجسر)

تأسيس وإحداث (استحداث) البكالوريا

[illegible]



إنّ إحداث البكالوريا ضروري في هذه البلاد ولكن بشرط أن تؤسّس (يُؤسس) فيها على حقيقتها، أي أن تكون بكالوريا حقيقية، تكون لها القيمة التي للبكالوريا الفرنساوية (الفرنسية)، ولها الحقوق نفسها، غير أنّه لا يمكن أن أقول بأنّه يجوز أن يُعطى (تُعطى) لها حقوق البكالوريا الفرنساوية ما دامت حالة المعارف (التربية والتعليم)في بلادنا كما هي عليه الآن. ولو كانت إدارة المعارف العامة التي أشرت إليها نافذة قديرة مؤسسة (نسبياً) وذلك عليها أن تقرّ شيئاً على الأقل، لأنشأت الكلية (الجامعة) بذلك. أمّا الآن يُمكن تلافي هذه النقطة (المسألة) بالطرق الآتية:

1 – الأمر ضروري للجامعات في باريس أو في فرنسا من الإشراف والمراقبة على التعليم في هذه البلاد. وفي ذلك تأييد لروح الانتداب العلمي وترقية بدرجات البلاد العلمية في الأساس أيضاً.

2 – أن ترسل إحدى الجامعات عضوين من الهيئة الفاحصة سنوياً إلى هذه البلاد على نفقة أبنائها (اللبنانيين) فتشرك مع الهيئة الفاحصة التي تُنتخب من الوطنيين وتراقب في إجراء الامتحان (وما تتبنّاه) وتثبته الهيئة الفاحصة في قرارها للناجحين فقط تُعطي اللجنة الفاحصة (للناجحين) البكالوريا، وتُرسل (أي الشهادة) إلى فرنسا فيصدّق (يصادق) عليها وزير المعارف الفرنساوي باسم الجمهورية الفرنساوية، لتكتسب حينئذٍ البكالوريا اللبنانية صفة حقوق البكالوريا الفرنساوية.

ويستتبع (ذلك) على أن تنظر بعد توحيد إدارة المعارف العامة في هذه البلاد لتعديل هذه الخطّة إذا لم ترها حسنة وتُبقي هذه الإدارة ذاتها، إزاء (هذا الأمر) أصبح لابدّ من (اعتماد) هذا الشكل، لأنّ تأسيس. جامعة صحيحة في بلادنا أمر عسير وقد يحتاج مدّة طويلة.

وما لم نتّبع هذه الطريقة العقلانية، فلا فائدة من تأسيس البكالوريا السورية أو اللبنانية فإنّها تكون عبارة عن شهادة بسيطة فلا يُقبل عليه أحد، وخصوصاً من الذين يحبون إتمام تحصيلهم في فرنسا أو في أوروبا لأنّهم يحتاجون تأدية الامتحان من جديد حين دخولهم إلى إحدى الجامعات (هناك).

الشروط الأساسية للبكالوريا

لا أحبّ الإطالة عليك (على الحاكم الإداري الفرنسي العام) في الشروط الأساسية لأنّك أدرى بها، ولكنّي أذكر لك ما أجد من الضروري ملاحظته فقط:

أن تكون البكالوريا نوعين **أدبية وعلمية**.

أن تكون اللغة العربية والفرنساوية (الفرنسية) إجباريتان(إجباريتين)، وأن تُحافظ (يُحافظ على) نسبة التساوي بين اللغتين في الدروس التي تؤدّى (تُعطى) بهما، فإذا كانت الدروس الأساسية التي تُؤدّى بها عشرة مثلاً، يجب أن يكون لكل لغة خمسة دروس

أن يُسمح لأبناء (تلامذة) المدارس الخاصة بعد خمس سنوات من تاريخ نشر القانون أن يُؤدّوا (يتقدّموا إلى) جميع دروس امتحان البكالوريا باللغة الفرنساوية بشرط أن يعرفوا (يكتبوا) الإنشاء باللغة العربية.

أن إحدى اللغات القديمة أو اللغات الشرقية (تركية، فارسية) إختيارية.

أن لا يُقبل للإمتحان إلا أبناء المدارس الثانوية حسب البرنامج الذي سيوقع(سيُتّبع)، أو أبناء المدارس الخصوصية (الخاصة) الّذين تكون شهادتها معادلة لها.

أن يجري الإمتحان سنوياً في بيروت في المدة الّتي تُعيّن حسب الموسم المناسب.

أن يكون منسوب العلامات cœfficient كما يأتي:

للّغتين الإجبارية (الإجباريتين) 3 (أي30 علامة من75)، للعلوم الرياضية (الرياضيات)1، 5 (15علامة)، للتاريخ والجغرافيا1 (10علامات)، للعلوم الطبيعية 2 (20علامة)، (هذا المنسوب هو قابل للتعديل إذا أوجدتم ضرورة لذلك)

قرار البكالوريا

إنّ كل دولة من الدول السورية تطالب بأن تكون البكالوريا باسمها، وحجّة اللبنانيين أقوى من الجميع لأنهم أرقى من سواهم علمياً ومدرّسين، ولكن إذا أُحدثت إدارة المعارف السورية (الموحدة) يمكن أن يُطلق حينئذ على البكالوريا اسم البكالوريا (السورية)، وتُعطي حينئذ بهذا العنوان (باسم السلطة العامة المعطاة لإدارة المعارف الموحدة في سورية ولبنان)منحت شهادة البكالوريا...... إلى (فلان). وأنه إذا لم يُجعل حلّ لذلك فإن اللبنانيين

يصعب عليهم جداً أن يكون اسم البكالوريا المعطاة من حكومتهم (البكالوريا السورية). ويصعب جداً على كل حكومة من حكومات سورية أن يكون حاكم الدولة هو الذي يعطي البكالوريا باسمه، فيقول مثلاً إنّ حاكم أو رئيس جمهورية لبنان أو حاكم أو رئيس جمهورية سورية يمنح البكالوريا.

هذه ملاحظاتي العامة أبيّنها لكم بابتداء الشتاء، وإذا كان لكم بعض ملاحظات تنفعنا بآرائها(نوصيكم) نجاوبكم عليها إن كان من ملاحظة عليها، وتفضّلوا بقبول احتراماتي.

التاريخ 5 كانون الثاني سنة 1929

الامـــــــــــــــضاء: محمد الجسر

وثيقة رقم (6)

مشروع النظام الداخلي لوظائف المعلمين والمدرسين

وظائف المعلمين

مبادئ يلزم ان يحضروا الى المدرسة في الوقت الذي يعينه الناظر للحضور

اعني قبل الوقت المعين لحضور التلامذة بربع ساعة وذلك للمحافظة

على التلامذة خوفا من وقوع تشويش او جدال او غير ذلك من عدم التكلم

الوقت كما انه يلزم على المعلمين ان يتكلموا

باللغة التي يعينها الناظر في ذلك

مع التلامذة باللغات في مدة الدروس وغيرها الا وقت التفريح

عند دخول الوقت المعين لحضور التلامذة يلزم يوميا على المعلمين مباشرة

ان يتفقدوا التلامذة ويرقموا اسماء من تأخر عن الوقت المعين ومن لم يحضر

ثم يعرضونها على الناظر لمجازاتهم

هم ممنوعون ان يتساهلوا مع التلامذة مطلقا بل يجب ان يكونوا

في كل هيبة ووقار

يلزمهم ان يجلسوا في اوطة التلامذة على التناوب [illegible] مدة

بكون [illegible] منهم من [illegible] وذلك لمنع التشويش واللعب وغير ذلك

من رقم اسماء التلامذة المخالفين للنظام ... ويقدمون ذلك على [illegible]

مادة ٢٨

اذا حضر احد اولياء التلامذة لغرض مهم فليس للبواب ان يأذن له بالدخول ثم ان كان التلميذ ليس مشغولا بالدرس فالبواب يخبر الحاضر في ذلك الوقت في محل التلامذة ان فلانا ولي فلان له غرض مع فلان فيأذن المدرس له بالخروج اذا لم يكن قصاص والا فلا وقع على البواب ان يقول للولي انه الآن مشغول بالدرس ولا يمكنه الخروج الى انقضائه فان اردت ان تنتظر مدة كذا فافعل والا فلا ويسمح له بالدخول اذا اذن له من الناظر اذا اراد استئذانه كما تقدم بان يخبر الناظر ان فلانا المشتغل بقصاص لذا وقد استأذنت امر المدرس مع فلان وله غرض مشغول بقصاص لذا فالذي يقوله الناظر يجري عليه البواب فلم يأذن له بالخروج فالبواب ليس له ان يفعل شيئا واذا كان التلميذ مشغولا بسماع درس فالبواب يقول للولي انه مشغول بسماع الدرس ولا يمكن ان احضره لئلا يتعطل ذهنه وليس له ان يخبره وليكن منتظرا بل يقول للولي انه كما تقدم

مادة (1): يلزم أن يحضروا (المعلّمون) إلى المدرسة في الوقت الذي يعيّنه الناظر (القائم بأعمال الإدارة) للحضور، أعني قبل الوقت المعيّن لحضور التلامذة بربع ساعة (الآن في لبنان عشر دقائق)، وذلك للمحافظة على التلامذة خوفاً من وقوع تشويش أو جدال (مشاغبات)، أو غير ذلك من عدم التكلّم باللّغة التي يعيّنها الناظر في ذلك الوقت، كما أنّه يلزم عليهم أن يتكلّموا مع التلامذة باللّغات في مدّة الدروس (اللّغات الفصحى والأجنبية) وغيرها إلاّ في وقت التفهيم (الشرح والتوضيح).

مادة (2): عند دخول الوقت المعيّن لحضور التلامذة يلزم يومياً على المعلّمين مناوبة (القيام بأعمال المراقبة)، (أي) أن يتفقّد التلاميذ ويرقّموا (يسجلوا) في جريدة (الصف) أسماء من تأخّر عن الوقت المعيّن، أو من لم يحضر، ثمّ يعرضوها على الناظر لمجازاتهم.

مادة (3): هم ممنوعون (أي المعلمين) أن يتسامروا(يتحادثوا ويتسلّوا) مع التلاميذ مطلقاً بل يجب أن يكونوا في كل جلالة ووقار.

مادة (4): يلزمهم أن يجلسوا في أوضة التلاميذ (غرفة الصف)على التناوب بمدّة مقيّدة، تكون خالية من تدريسهم، وذلك لمنع التشويش واللعب وغير ذلك من ترقيم (تسجيل) أسماء التلاميذ المخالفين للمواد الآتية (أي الواردة في هذا القانون) ولا يتعيّن ذلك على غير الجالس (العاطل عن العمل).

مادة (5) و6 و 7و 8... حتّى (37) مفقودة.

مادة (38): إذا حضر أحد أولياء التلاميذ لغرض معهم فليس للبوّاب أن يأذن له بالدخول، ثمّ إن (إذا) كان التلميذ ليس مشغولاً بالدرس، فالبوّاب يّخبر الحاضر (المعلّم) في ذلك الوقت عن محل التلاميذ(غرفة الصف) أن فلاناً ولي فلان له غرض مع فلان، فيأذن المدرّس له بالخروج إذا لم يكن (عنده) قصاص وإلاّ (فلا يسمح)، وحينئذ على البواب أن يقول لوليّه أنّ الولد مشغولٌ بالدرس ولا يمكنه الخروج إلى ها هنا، فإن أردت أن تنتظره مدّة كذا فافعل، وإلاّ فلا، ولا يُسمح له بالدخول إلاّ بإذنٍ من الناظر إذا أراد الأستاذ أن (الاستئذان) كما تقدّم بأن يُخبر الناظر أنّ فلاناً له شغلٌ مع فلان ولده وهو مشغول بقصاص كذا وقد استأذنت له من المدرّس فلم يأذن له بالخروج فالّذي يقوله الناظر يجري عليه البوّاب.

وإذا كان التلميذ مشغولاً بسماع درس فالبواب ليس له أن يفعل شياء(شيئاً) مما تقدم وليس له أن يخبره أنّ وليّه منتظرٌ له، بل يقول لوليّه أنّه الآن مشغولٌ بسماع الدرس ولا يمكنني أن أخبره لئلا يتعكّر ذهنه (يتشوّش).

وثيقة رقم (7)

فاتورة حسابات مدرسية موقعة من خالدة أديب



الياس جرجي سيوفي

تلغرافيا الياس سيوفي بيروت

معامل ومخازن موبيليا ومجوربايات وأواني لزينة البيوت

١٨٨٨

بيروت في ١٨ نيسان ٩٦٧

المطلوب من

	٤٥٠٠
	٩٠٠
	٧٠٠
	٢٠٠
	١٠٠
	٨٠٥
	٤٠٠
	٤٠٠
	٧٧٠٥

في ١٨ نيسان

وثيقة رقم (8)

اتفاقية تأسيس شركة بين الشيخ محمد الجسر وكل من نجيب وتوفيق شقير

في بيروت، سنة 1919

سبب تحريره

هو أنه بتاريخه عقد كل من الشيخ محمد الجسر من أهالي طرابلس الشام ونجيب وتوفيق شقير من أهالي بيروت الساكنين جميعهم الآن في بيروت شركة تجارية فوق المخزن المسمى كولكتيف Collective سنة كاملة من تاريخ هذا الصك على الشروط الآتية:

أولاً: أن يكون رأسمال الشركة هو؟ غرشاً ذهبياً باعتبار قيمة الليرة العثمانية مائة غرش ذهب.

ثانياً: إن محمد الجسر دفع من رأس المال ؟ غرشاً ذهباً ونجيب وتوفيق دفعا من رأس مال الشركة المبالغ الآتيةبعد التخمين والتراضي بين الطرفين:

تخمين ذهب(تقدير)

{ قيمة أجار (إيجار) المخزن الواقع في عمارات رعد ودكان على ساحة البرج

6952.20 { تحت أوتيل سانترال (Centrale) والمشغول اليوم بأجارهما مدة 9، 5 شهراً {اعتباراً من 15 آذار سنة 1919 لغاية 31 كانون أول سنة1919

15000 { قيمة الواجهات والتتخيتات (الطوابق الصغيرة العليا داخل المحلات التجارية)

{ وسائر موجودات المحل الذي هو ملك نجيب وتوفيق شقير والمتفق على

{ تخمينها بين الطرفين والمبينة أسماؤها أدناه.

1952.20

ثالثاً: إن البضائع الموجودة الآن في المحل المذكور تبقى لحساب أحد الشريكين نجيب وتوفيق شقير وتباع لحسابهما ولا دخل لها بحساب الشركة.

رابعاً: إن الشركة تشتغل الآن ببيع مال القبّان والسمانة بالمفرّق والجملة وإذا اتفق الطرفان أثناء مدة الشركة
على الأشغال بغير هذا الصنف فيكون هذا الاتفاق ملحقاً لهذا الصك

خامساً: يُستخدم في المحل ما يلزم من المستخدمين بأجورات (أجور) شهرية أو سنوية معلومة حسب إتفاق الطرفين وتكون مسؤوليتها عائدة على الطرفين الموقعين على هذا الصك.

سادساً: لا يكلّف محمد الجسر الطرف الأول ونجيب شقير أحد الطرف الثاني بالبقاء في المخزن بصورة دائمة ولكنهما يناظران عليه يومياً وأن توفيق شقير أحد الطرف الثاني مكلّف بالبقاء دائماً.

سابعاً: إن الحسابات اليومي (اليومية) تبقى بين توفيق شقير أحد الشركاء وحساب الصندوق وحسابات الأرباح والخسائر تبقى بيد أحد الطرفين محمد الجسر وعلى توفيق شقير أن يقدّم الحساب اليومي والواردات اليومية إلى الثاني محمد الجسر.

ثامناً: إن الأرباح تُوزّع في نهاية السنة على نسبة أحد عشر قيراطاً من أصل أربع وعشرين قيراطاً (كل حصة صحيحة كاملة تعتبر 24 قيراطاً) إلى محمد الجسر، وثلاثة عشر 13 قيراطاً من أصل أربعة وعشرين إلى نجيب شقير وتوفيق شقير (مناصفة بينهما) وكذلك الخسائر فإن الطرفين مكلّفان بتحمّلها على هذه النسبة المعتبرة في الأرباح.

تاسعاً: إذا اتفق الطرفان على تصفية المحل في آخر السنة أو في أي وقت أرادا قبل انتهاء المدة المقررة لهذه الشركة فإن التصفية تكون على حساب العملة الذهبية (اعتماد النقود الذهبية) باعتبار الليرة العثمانية مائة غرش، فيأخذ ما دفعه محمد الجسر من المال عيناً ويسترد نجيب شقير وتوفيق شقير ما سلّماه في الأشياء غير المنقولة كالواجهات والتتخيتة واللوازم المذكورة أسماؤها وأعدادها في هذا الصك.

عاشراً: لا يحق لأحد الطرفين أن يأخذ شيئاً من الأرباح أثناء مدة الشركة ولكن يحق إلى محمد الجسر أن يسحب في الشهر لحسابه الخاص لحد (قيمة) خمسة عشر ليرة عثمانية ذهب وكذلك يحق لنجيب وتوفيق شقير أن يسحبا في الشهر لحسابهما الخاص لحد عشرة ليرة (ليرات) ذهب.

حادي عشر: إن مصاريف المحل المتفرّقة ومصاريف البضائع ورسوم الحكومة العامرة على المحل تُقيّد في حساب خاص وتخرّج آخر السنة من أرباح المحل.

ثاني عشر: لا يجوز لأحد الشريكين أن يمضي أو يوقّع أقل سند بدين أو إقرار بشيء بصورة مستقلة بل عليهما أن يوقعا بالاشتراك كل بإمضائه الخاصة المعروفة، وكل سند أو إقرار شفاهي (شفهي) أو خطّي لم يكن موقّعاً على هذه الصورة لا يُقر ذمّة على الشراكة ولا تكون الشركة مسؤولة عنه مطلقاً.

ثالث عشر: يجوز للشركة أن تشتغل بالقومسيون (Commission) وإن ما يحصل منذلك من أي العمولة والأرباح تكون عائدة لأرباح الشركة.

رابع عشر: إذا وجد في صندوق الشركة يوم التصفية 'عملة' ورق (ورقية) من أي جنس كان فتُستبدل(فتحوّل) إلى ذهب في ذلك اليوم وتُضاف إلى أموال التصفية وكذلك إذا وجد في يوم التصفية بضائع في المحل فإنها تُباع أو تُقوّم (تُقدّر) بالقيمة الذهبية باعتبار الليرة العثمانية مائة غرش وتُضاف إلى أموال التصفية.

خامس عشر: إن الذي يبقى في المحل بعد التصفية هو المكلّف بأن يدفع للطرف الآخرالمنسحب مطلوبه من رأس المال والأرباح عيناً (بضائع) وذهبا.

وثيقة رقم (9)

وصية الشيخ محمد الجسر لعام 1932

9

وصية الشيخ محمد الجسر

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

وأقرأ الحديث وأتلو القرآن الكريم [illegible] واستغفر لذنوبي [illegible] [illegible].

تقديم

واجبات دينية

[illegible] وزكاة [illegible]:

(١٠٠٠٠) [illegible]

(٣٠٠٠) ألف [illegible]

(٤٠٠٠) أربعة آلاف [illegible]

[illegible]

(٢٠٠٠) ألفان [illegible]

[illegible]

دفني

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشيخ [illegible] (ص)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١) [illegible] (٢) [illegible]

[illegible] (٣) [illegible]

[illegible] (٤)

[illegible] (٢٠٠٠) [illegible]

[illegible]

[illegible] (٥) [illegible]

[illegible] (٦)

[illegible] (٧) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٨) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٩) [illegible]
[illegible]
[illegible] (١٠) [illegible]
[illegible] (١١) [illegible]
[illegible] (١٢) [illegible]
[illegible] (١٣) [illegible]
[illegible]
[illegible] (١٤) [illegible]
[illegible] (١٥) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

دبوف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٢٥٠	[illegible]	[illegible]
٢٥٠	[illegible]	[illegible]
٥٠٠	[illegible]	[illegible]
٢٠٠	[illegible]	[illegible]
٢٠٠	[illegible]	[illegible]
٤٠	[illegible]	[illegible]
١١	[illegible]	[illegible]
٤١٥١		

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٢) [illegible]

[illegible]

استنتاج

[illegible] الصفات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاعتقاد [illegible]

[illegible]

[illegible] الصفات [illegible]

[illegible]

[illegible] (١٠٦) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١٥٠) [illegible]

[illegible]

[illegible]

ارى رفع همم ابناء جيشنا عشائر اسمى

اشهد عليهم انه [illegible] للاستشهاد بعده [illegible] [illegible] [illegible] وكرمه [illegible]

[illegible]

[illegible]

أ- [illegible]

[illegible]

[illegible]

٢- [illegible]

[illegible]

٣- [illegible]

٤- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٥- [illegible]

[illegible]

[illegible]

٦ – [illegible] من الشام ثلاث سنين

اما [illegible] التشجيع [illegible] الشام [illegible] الزواج [illegible]

[illegible] الشيب [illegible]

[illegible] كما تركتموهم [illegible] في الحياة ، [illegible]

الوالدين [illegible]

في [illegible] التي [illegible] الا بالعودة [illegible] .

٧ – [illegible] صفاء [illegible] التي [illegible]

[illegible] الحرمان في [illegible]

[illegible]

[illegible] واولادكم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حياة في [illegible] السلم [illegible]

[illegible] القضية والشرف [illegible]

[illegible] ، فالله الله في اخوتكم الضعفاء [illegible]

[illegible] قلوبهم مكسورة ، [illegible] مقهورة [illegible]

[illegible] هذه [illegible] ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

إلى أولادي الأعزاء: هاني، عاصم، ياسر، سالم

[illegible]

١- [illegible]

[illegible]

٢- اجتهدوا [illegible]

[illegible]

[illegible]

٣- حافظوا على [illegible]

[illegible]

٤- [illegible]

[illegible]

٥ - [illegible]

[illegible]

[illegible]

٦ - [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٧ - [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وصلّى الله على سيّدنا محمد رسوله المصطفى وحبيبه المجتبى، أرسله بالحق هادياً وبشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد فإنني أكتب وصيتي هذه يوم الخميس المصادف لليوم الخامس من شهر ذي القعدة سنة 1351 (للهجرة)[1932]، وأنا في أرقى حال من صحتي الجسدية والعقلية ومالك لكامل تصرفاتي الشرعية والقانونية وبعيد عن كل المؤثرات الخارجية والنفسية والخلاقية (الأخلاقية) ذلك إرادة الشرع الأعظم صلى الله عليه وسلم أن يكون للمسلم وصية يظهر فيها رغبته وأمانيه بعد وفاته. واسأله تعالى الوفاة على الإيمان الكامل وحسن الخاتمة ولقاء وجهه الكريم وهو راضٍ عني وهذا حسبي وكفى إنه كريم...؟

إيماني

أؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين الحق بكافة العالم بشيراً ونذيراً فأوفى رسالته وبلغ الأمانة بعد أن أعلن للملأ قوله تعالى (اليوم أكملت لكم ديني وأتممت عليكم نعمتي ورضيت الإسلام ديناً)فرضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً وبما جاء به من القرآن الكريم ومن السنّة النبوية شرعة ومنهاجاً، فديني الإسلام ومذهبي مذهب أهل السنّة والجماعة وأسأله تعالى أن يتم عليّ نعمته ويخرجني إلى لقائه من هذه الدنيا الفانية وأنا على يقين تام من هذه العقيدة الراسخة.

أللهمّ إني أشهدك وأشهد ملائكتك ورُسلك وجميع مخلوقاتك بأنني تبت إليك من كل معصية فعلتها ومن كل ذنب اقترفته ومن كل خطيئة ارتكبتها فتكن بقوتك الإلهية وبحقوق أحد من البشر وافدةإليك وأنت العظيم الكريم الوهّاب أن تغفر لي ذنوبي وترضى عن أخطائي إنك على كل ما تشاء قدير.

واجبات دينية

بعد وقوع الأمر المقدّر وذهاب روحي إلى خالقها أوصي بأن يخرج من مالي ما يأتي:

(3000) ثلاثة آلاف غرش ذهب كفّارة صلاة

(1000) ألف غرش ذهب كفارة صوم.

(4000) أربعة آلاف غرش بدل حجة(بدل القيام بواجب الحج) وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويعهد بها لرجل(إلى) صالح نفقة يخرج بها من بلدي طرابلس أو من بيروت. (أي أن يكلّف شخص صالح القيام بالحج إلى مكة المكرّمة بدلاً من الشيخ محمد الجسر لأنه لم يستطع إلى ذلك سبيلاً) (1000) ألف غرش كفارة زكاة وصدقات.

وأن يتم إخراج ذلك تدريجاً وعلى نسبة ما تتحمّله ثروتي وثروة عائلتي القاصرة من بعدي.

دفني

أوصي أن أُدفن في قبر والدتي رقيّة رحمها الله في مقبرة بني الجسر في طرابلس وإذا توفّيت خارج بلدتي طرابلس وكان من السهل على عائلتي نقلي إلى طرابلس ودفني في المحل الذي أوصيت بدفني فيه وفيها ونعمت وإلاّ فأدفن (في المكان) الذي توفيت فيه أي في البلدة التي أتوفّى فيها. وأوصي وصية جازمة أن لا يُحتفل بدفني أي احتفال كان وأن أنقل من محل وفاتي إلى المقبرة بصورة بسيطة، وأن لا يُطاف لي في الأسواق، وأن لا يُقام ثالث وأسبوع وأربعين وأن لا تُكلّف عائلتي أقل مشقة في ذلك، وأن يُقام على قبري ضريح جداً بسيط جداً يُكتب عليه (هذا قبر راجي عفو ربّه محمد الجسر بن الشيخ حسين الجسر رحمهما الله).

ولا آذنْ بالصرف على تجهيزي وتكفيني إلاّ الشيء الضروري حسب ما أمر به الشرع الإسلامي الشريف..

ثروتي

لا توجد عندي ثروة نقدية. فقد كنت أصرف ما يرزقني الله إياه على تعليم أولادي ومعيشتي، ولكن لا توجد أملاك وهي:

مخزن بالقرب من حمام النوري في طرابلس.

قطعة أرض خالية «فوق الريح» في أسكلة طرابلس وأوراق الطابو بها موجودة بين محفوظاتي.

القسم الخاص من الذي اشتريته من الكتب والذي أضيف إلى مكتبة المرحومين جدي ووالدي التي سأتكلم عنها فيما بعد.

قيمة السوكارتا (التأمين) وهي 5000$ (خمسة آلاف دولار أميركاني في شركة التأمين المسماة (أسورانس جينيرال) الفرنسية والتي تدفع لورثتي الشرعيين حسب الصك والمقاولة (الاتفاقية) الموجودة ضمن محفظة خاصة بين أوراقي.

مفروشات الدار التي أسكنها في بيروت وهذه هي ملك خاص لحرمي السيدة «منتها» أم حازم قد وهبتها لها وهي قد قبلت الهبة مني بالتسلم والتصرف ولا يوجد لي بينها إلا ألبستي الخاصة.

السيارة التي هي من نوع دودج.

سندات بنك عقاري مصري من إصدار سنة 1903 وسندات بنك عقاري مصري من إصدار 1911، وسندات قروض فرنساوية إصدار 1919 و1920 و1923، وسندات قروض (فرنساوية) أخرى وسندات بناما وسندات قروض بلجيكية إصدار 1922 وهي موجودة للتأمين في بنك مصر في بيروت وجميعها ملك أولادي القاصرين حازم وعاصم وباسم وسلمى. (كتبت هذه الوصية قبل أن يرزق ناظم، أي في عام 1932)، ومقيدة على أسمائهم في دفتري الخاص لا ينازعهم فيها منازع اشتريتها لهم من مالهم الخاص الذي كنت أهبهم إياه وقد قيدت لكل واحد منهم أرقام السندات التي يملكها. ويوجد أربعة سندات هي ملك لحرمي(امرأتي) السيدة منتها أم حازم وقد قُيِّدت على اسمها في دفتري الخاص: ورغم أنني قيدتها في البنك المصري باسمي كي أتمكن من السحب عليها، فإنها جميعا ملك أولادي المذكورين لا دخل لأحد فيها. إن الأوراق التي تشير بوجود الأوراق المذكورة مرهونة في البنك وموجودة بين أوراقي الخاصة في الصندوق الحديدي.

مائة سهم بنك عقاري مصري ومائة سهم تركية والأوراق المتعلقة بشرائها بواسطة بنك مصر موجودة في الصندوق الحديدي وهذه الأسهم مشتراة بقصد التجارة وقد اشتريتها بإسم ابني باسم الجسر على أن تكون أرباحها له، وإذا وجدت خسارة فأقوم بها... ولم أدفع من ثمنها شيئاً. وإذا صُفيت بعد وفاتي وكان لها شيء من الربح فإن جميع ذلك ملك حلال لإبني عبد الرحمن باسم لا دخل لأحد من الورثة فيها، وإذا خسرت فإن خسارتها تعود على مجموع التركة أو أنصح للوصي بأن يعمل بتأنٍ في سبيل تصفيتها حتى لا تخسر أو على الأقل تخرج من المعمعة التجارية.

الدار التي اشتريتها حسب ولايتي على ابني حازم الجسر هي ملكه الصرف وقد اشتريتها كما يعلم أنه من ماله الذي ربحه بيانصيب البنك العقاري المصري في شباط 1932 ولا دخل لأحد فيها.

أوراق يانصيب في الطيران التركي ويانصيب الدولة النمساوية وأوراقها موجودة في الصندوق الحديدي فإذا ربح شيء منها فهي للتركة جميعاً.

معاشي التقاعدي سيكون من نصيب الصغار من أبنائي وامرأتي.

62 ليرة سورية ونصف فاليعمل تحصيله لهم حسب الأصول النظامية والديون التي بقيت للخزينة عليّ محرّرة في دفتري الخاص فاليرجع إليه.

معاش التدريس في جامع طينال وهذه لا أعلم إن كان أخي نديم يوفّق لاستحصال توجيهها على أحد بالنيابة عن أولادي القاصرين إلى أن يكبروا وتكبر رواتبهم.

وظيفة إمام في المدرسة الرجبية وهذه معاملتها مثل معاملة التدريس في جامع طينال.

حصتي من الأملاك التي تركها المرحوم والدي في طرابلس وهذه لم يتم تصفيتها بعد التركة، فعلى أخي نديم أن يتمم تصفيتها حسب أحكام الشريعة الإسلامية وإذا اجتهد وأعمل الهمة حتى يكرس لابنتي سلمى حصتها من التركة لحصر ميراثها من هذه الأملاك لتسكن فيها.

ديوني:

أقر وأعترف بأن الديون الآتي بيانها متوجّبة في ذمتي اليوم تاريخه فإن قدرت في حياتي ووفيت شيئاً منها أذيّل وصيتي ببيانه، وإلا فإنّ ذلك مترتب علي وأطلب من الوصي تأديته تبرئة لذمتي:

ليرة عثمانية ذهب:

500 المطلوب لامرأتي السيدة منتها الجمر أم حازم (خمسمائة ليرة عثمانية)

500 المطلوب لابني حازم الجسر (خمسمائة ليرة عثمانية)

500 المطلوب لابني عاصم الجسر (خمسمائة ليرة عثمانية)

500 المطلوب لابني باسم الجسر (خمسمائة ليرة عثمانية)

500 المطلوب لابني سالم الجسر (خمسمائة ليرة عثمانية)

250 المطلوب لابني عدنان الجسر (مائتان وخمسون)

250 المطلوب لابنتي سلمى الجسر (مائتان وخمسون)

500 المطلوب للقس يوسف الجعيتاوي (خمسمائة ليرة عثمانية)

300 المطلوب لسعد الدين أفندي خالد (ثلاثمائة ليرة عثمانية)

300 المطلوب لعبود بك عبد الرزاق (ثلاثمائة ليرة عثمانية)

40 المطلوب لخير الدين بك عدره (أربعون ليرة عثمانية)

11 المطلوب للخواجة نخلة حبيب الصايغ (إحدى عشرة ليرة عثمانية)
4151

المجموع: فقط 4151 فقط أربعة آلاف عثمانية ومائة وإحدى وخمسين ليرة عثمانية

ويوجد للأخ عبد الفتاح أفندي الحداد عن... بلزم يوفي عنها فإذا حكي بها أرجو محاسبتها بها ابراءً للذمة.

ويوجد للأخ يحي بك الكيالي ثمن سندين عقاري فرنساوي بقيمة 27 ليرة سورية بذمتي ولي عنده وبيده سند بمطلوبي عن 11 ليرة سورية للمحاسبة بها ويوجد ولأخي نديم الجسر في ذمتي من أصل مطلوب مني 35 ليرة سورية إذا حكي بها أرجو محاسبته.

المكتبة:

مكتبتي عزيزة علي جداً فأوصي أخي نديم وأولادي الكبار والصغار بأن يهتموا بالمحافظة عليها وأن لا يبعثروها وأوصيهم وصية جازمة بأن يتخذوا لها محلاً خاصاً ويجعلوها وقفاً على أنفسهم ومن بعدهم على أهل العلم والكلمة في طرابلس وإياهم بيعها.

ويوجد بين أوراقي الخاصة مجموعة البول (الطوابع) البريدي ومجموعة خاصة للبول الهواني وهي ذات قيمة لا تقل في الوقت الحاضر عن مائتي ليرة عثمانية ذهب، فإذا لم يمكن الاحتفاظ بها حتى يتمكن أولادي من إتمامها فالأفضل بيعها بالوقت المناسب وبالثمن اللائق وضمها إلى التركة وأرجح أن يحتفظ بها إلى أحد الأولاد الصغار حتى يتمكن من إتمامها ويكون لها ثمن لائق في المستقبل، ان شاء الله.

ديون أخرى

أتذكر أنه يوجد للأخ أمين عز الدين قاضي طرابلس في ذمتي 60 ليرة مصرية... لم أتمكن من تسديدها له ويوجد أيضاً في ذمتي مقدار ثمانين ليرة مصرية لورثة محمد بك البحيري، ولم أقدر على تحريرها، فلتحرر معهم.

ديون لي:

يوجد لي مطلوبٌ من سائق السيارة عندي وهو خليل عون مبلغ (150) ليرة سورية- لبنانية استدانها مني على أن يسددها أقساطاً تتطلب منه وتدريجياً، فإن الرجل خدمني بإخلاص وأمانة والمسامحة معه أفضل.

أولادي حسن ورشاد وحسين وعدنان وسلمى (الكبار)

استودعكم الله وداعاً لا لقاء بعده إلا تحت ظلال العرش برحمته تعالى وفضله وكرمه، ولقد قمت على قدر استطاعتي التي وهبني اياها الكريم المنان بالواجب الشرعي نحوكم، ولكن واجبي الأبوي يدعوني للإدلاء إليكم بالوصية التالية:

1- عليكم بالإيمان الكامل وبمراعاة جانب الله في كل عمل تعملونه واعلموا أن ما بكم من نعمة فمن الله فعليكم، إذن، شكرها، والشكر لا يكون باللسان بل بالقلب والجوارح والعمل فاخلصوا الله تعالى بالسر يحفظكم ويجزيكم بالعلانية.

2- إياكم وإيذاء أحد من مخلوقات الله «فالخلق كلهم عيال الله. ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة. تحببوا الخلق بأعمالكم وأقوالكم يدفع عنكم خالقكم أذاهم عنكم.

3- اعملوا لدنياكم واعملوا لآخرتكم على السواء. فالدنيا وحدها لا تفيد.

4- ربيتكم حسب ما ألهمني الله تعالى ولم أتمكن من أن أكمل تربية أخيكم عدنان فاعملوا جميعكم لمساعدته حتى يتمكن من إتمام علمه ونيل شهادته ولم يبق إلا القليل عليه، فلا تتركوه مكسور الخاطر ويشعر بألم فراقي له، وعلى كل فهو عضد لكم وجناح فلا تكسروه. وإذا لم تسمح نفسكم بمساعدته المادية فساعدوه أدبياً من ماله الذي يستحق له من تركتي واكفلوه حتى ينمو واعتنوا بصحته فإنها ليست على ما يرام، وهذا أقل ما يمكنكم إسداؤه لأخيكم وجناحكم.

5- هذه أختكم سلمى ضعيفة الجانب قليلته، وقد اخترت لها زوجاً ابن عمتها سليم لِما وجدته فيه من طيبة القلب وسلامة البنية وأرجو أن يوفقهما الله، فأوصيكم بمساعدتهما ومساعدته على قدر استطاعتكم، والله يوفقكم.

6- تزوجت بخالتكم أم حازم عن ضرورة لي ولكم فقامت بخدمتي وخدمتكم حق القيام فكانت لكم أما وأختا ومربية ولم أشعر منها شيئاً من البغضاء لكم. نعم إنها حديدية المزاج ولكن عن حسن نية وإخلاص وهي كسيرة القلب لا ساعد لها ولا عون إلا الله تعالى. إني أوصيكم بالصبر عليها وبحسن معاملتها كما لو كنت موجوداً في قيد الحياة، وأنتم تعلمون أن رضاء الوالدين لا يضيع بعد الوفاة أما إذا كنتم ترغبون بإحراز رضاني فاكسبوا رضاها وساعدوها على العيش الهنيء ومدوا لها يد المعونة حتى يريها الله تعالى أولادها كباراً.

7- لكم أخوة صغار حازم وعاصم وباسم وسالم (ملاحظة: ناظم لم يكن قد ولد عام كتابة هذه الوصية، أي 1932) ولا تظنوا أني أخرج من هذه الدنيا وقد وكلتكم بهم أو اتكلت على أحد بمساعدتهم، فقد وكلتهم إلى الحي الباقي الذي لا تخيب عنده الودائع وهو الذي رباني وربى أبي وجدي من قبلي. ولكني أذكركم بأنّكم وإياهم أبناء أب واحد شرفكم من فشرفهم وهم أولاد الجسر على كل حال فاهتموا بشأنهم حسبما كنت أهتم بكم، واحسنوا تربيتهم وتعليمهم كما علمتكم وربيتكم وكونوا في جانب تعليمهم علماً راقياً دينياً ودنيوياً مهما كلّفكم الأمر ومهما تحمّلتم مشقات من أجله ولا تتقلوا لهم حياة غير حياة العلم ولو كلفكم الأمر بيع موجوداتهم والاستدانة

لهم على حسابكم. ربوهم على الفضيلة والشرف والناموس، وحافظوا على أعراضهم كأنما هي أعراض نسائكم. فالله الله في أخوتكم الصغار، انهم سيفتحون عيونهم على هذه الدنيا وهم يتامى، قلوبهم مكسورة ونفوسهم مقهورة وجيوبهم فارغة ما عدا، فانظروا إليهم نظرة أيتام قصر لا مال ولا جاه. وهم على كل حال أولاد أبيكم الذي رباكم بدم قلبه وبذل في سبيلكم كل رخيص وغال... ألهمكم الله إلى ما فيه الصواب. وجعلهم ربي في حرزه، وأسلمته أولادي سواه وهو الكفيل بهم ولستم أنتم الكفلاء.

أولادي الصغار: حازم، عاصم، باسم، سالم

منّ الله علي بكم وأنا متقدم في السن أكثر من 50 سنة بقليل (لأنه من مواليد 1881)، وسأفارقكم وأنتم صغار لا تعرفوني ولم تنالوا شيئاً من تربيتي ومساعدتي لكم، ولكن الله خالق الكون ورب المخلوقات كفيل بكم، فقد أودعتكم إلى من لا تضيع عنده الودائع وهو حسبي وكفى. وأكرر ما قاله أبو جدكم حينما ترك جدكم طفلاً ثم توفى: «وليحسبن الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله.... ان..... من يتقيه، إذا كان كفيلكم الله فلا خوف عليكم بإذن الله، أوصيكم وصية تقرأونها وتعملون بها حين يتيسر لكم ذلك:

ولا تتلهوا بالقشور واعملوا غاية جهدكم أن لا تكونوا من موظفي الحكومة فقد ذقت طعم هذا العمل ونلت منه الأمرين.

1- اتقوا الله حق تقاتة ولا تتركوا خطّة آبائهم وأجدادكم ومن التمسك بالرب وبسنّة رسوله الأعظم صلّى الله عليه وسلّم.

2- اجتهدوا وتعلموا حتى تنالوا بحول الله تعالى وقوته حظاً طيباً من العلم الصحيح.

3- حافظوا على آدابكم الدينية والتقليدية وإياكم وشرف العرض فهو أغلى شيء لدى الإنسان.

4- كونوا بررة بوالدتكم إنها مقطوعة ولا أهل لها أغنياء ترجع إليهم وقد خدمتني وأحسنت خدمتي بإخلاص وربتكم تربيتكم حسب اجتهادها، فحافظوا على طاعتها وعلى رفاهيتها ونالوا رضاها بما يمكنكم من شتى المسائل... وستكون لكم أبا وأما فهي من هذه الجهة ذات فضل عظيم عليكم، وثقوا بأن نجاحكم في الدنيا والآخرة سيكون نتيجة رضاها عليكم.

5- لم أترك لكم ثروة تساعدكم على الحياة برفاه، وهذا تقدير السميع العليم، ولكني أموت وأنا راضٍ عنكم وأرجو من الله أن يكون ذلك خير عون لكم على السعادة الدنيوية والآخرة به بفضل الله وكرمه.

6- أحبوا إخوتكم الكبار وعمكم نديماً، فهم من لحمكم ودمكم وكونوا وإياهم يداً واحدة، فإن الله مع الجماعة ولا تحسبوا تفرقكم من جهة الأمومة يجعلكم بعيدين عن بعضكم البعض، فأنتم أبناء أب واحد وأرجو الله أن يكونوا عند ظني بهم شغوفين بكم، أوليايكم (أوليائكم) من الأمر أصغر منهم سناً فاحترموهم وساعدوهم واعتبروهم وانظروا إليهم نظرة الأب.

7- اجتهدوا بأن تعيشوا مع بعضكم البعض وتحت كنف أمكم، وفي ذلك بركة وتوفير عليكم.

أخي نديم:

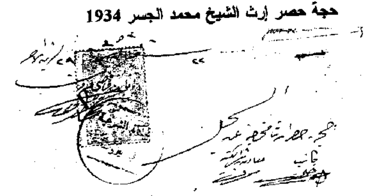
أوجه إليك هذه الكلمة ولا أعتقد أنك تحتاج لمثلها ولكن طبيعة البشر تقضي عليّ بأن أقولها لك:

عهدي بك أنك حنون وأنك تعلم مقدار محبتي لك وشفقتي عليك وها أنا أتركك إلى لقاء ربي الكريم وقد أثقلت كاهلك بعمل شاق وهم أولاد أخيك، نعم إني لم أتركهم إليك ولم أجعل اعتمادي عليك فان اعتمادي هو على الله وحده وهو شاهد ولكن الله يأمرني بذلك:

أولاد أخيك الكبار يحتاجون لرعايتك وعنايتك فارشدهم بإرشادك وساعد عدنان وسلمى إلى أن يبلغا رشدهما وينالا حظّهما من هذه الحياة، أما أولاد أخيك الصغار فهم في حاجة لوليّ ينظر إليهم ويربيهم ويدربهم، فإذا أشفقت عليهم ووضع الله في قلبك حناناً فبرضاي عليك أن تلاحظهم حتى يتعلموا تعليماً صحيحاً في الفروع التي تميل إليها نفوسهم بعد أخذهم شهادة البكالوريا. وحافظ على آدابهم وعلى عرضهم وعلى ناموسهم، فهم أطفال لا يعرفون صالح أنفسهم، وأرجو الله أن يوفّقك لمساعدتهم حتى تراهم كباراً متعلمين متفوقين مثل إخوتهم. ولاحظ امرأة أخيك أم حازم فإنها كانت لي خير عون في حياتي و«طول بالك» عليها ولا تكسر خاطرها فإنها كسيرة الحال وهي لم تشبع من الحياة في أيامي فاجبر خاطرها بأولادها وساعدها على تربيتهم وعلى إدارة حالتهم المالية قدر الاستطاعة.

وثيقة رقم (10)

حجة حصر إرث الشيخ محمد الجسر 1934



حضر لدى محكمة بيروت الشرعية الحاج حسين ابن المرحوم الشيخ محمد ابن الشيخ حسين الجسر المعروف الساكن في محلة
المصيطبة المعرف شخصه بتعريف المخبرين الآتي ذكرهم وقرر بحضور [illegible] قائلاً انه
بتاريخ الحادي عشر من تشرين الثاني سنة اربع وثلاثين وتسعمائة والف توفي والدي الشيخ محمد ابن
الشيخ حسين الجسر بمدينة بيروت وانحصر ارثه بزوجته مشيرة بنت حسين زين وبأولاده منها الحاصلين
له منها وهم حازم وعاصم وباسم وسالم وسليمان وناظم وبأولاده الحاصلين له من زوجته زينب
بنت عبد الغني الرافعي المتوفاة قبله وهم حسن وبشار وحسين وعدنان وسلمى لا وارث له سواهم
فاطلب اعطائي حجة حصر ارث شرعية بنصيب كل من الورثة على المنوال المحرر وقد تحقق لدى الشرع
الشريف وفاة الشيخ محمد ابن الشيخ حسين الجسر وانحصار ارثه بالورثة المذكورين بإخبار كل من
سعد الدين افندي خالد وعبد القادر افندي محمود ابن الشيخ محمد خالد البرديني وبالشروط الحافظة
المؤرخة في العشرين من تشرين الثاني سنة اربع وثلاثين وتسعمائة والف الموقع عليها من امام محلة
المصيطبة الشيخ حسن الملك ومختارها محمد [illegible] فتصح مسألة الميراث بينهم من مائة واثنين
وخمسين سهماً للمشيرة الزوجة تسعة عشر سهماً ولكل واحد من حازم وعاصم وباسم وسالم وسليمان وناظم
وحسن وبشار وحسين وعدنان المذكورين اربعة عشر سهماً ولسلمى المرقومة سبعة اسهم
وبالطلب اعطيت هذه الحجة تحريراً في الثالث عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والف
الموافق للعشرين من تشرين آخر سنة اربع وثلاثين وتسعمائة والف

[illegible] الحاكم

الشيخ محمد خالد — عبد القادر محمود — سعد الدين خالد

حجة حصر إرث مخصوصة عن السجل

ختم المحكمة الشرعية في بيروت

إمضاء الكاتب ومعاون رئيس المحكمة

حضر لدى محكمة بيروت الشرعية المحامي حسين بن المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ حسين الجسر البيروتي الساكن في محلة المصيطبة المعرّف بشخصيته بتعريف المختيرين الآتي ذكرهم وقرر بكلامه طائعاً مختاراً قائلاً إنه بتاريخ الحادي عشر من تشرين الثاني سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف توفي والدي الشيخ محمد بن الشيخ حسين الجسر بمدينة بيروت وانحصر إرثه بزوجته منتهى بنت حسين زين وبأولادها الحاصلين لها منه وهم حازم وعاصم وباسم وسالم وسليمان ناظم وبأولاده الحاصلين له من زوجته زينب بنت عبد الغني الرافعي المتوفاة قبله وهم حسن ورشاد وحسين وعدنان وسلمى لا وارث له سواهم. فأطلب إعطائي حجة حصر إرث مشعرة بنصيب كل من الورثة على المنوال المحرر. وقد تحقق لدى الشرع الشريف وفاة الشيخ محمد بن الشيخ حسين الجسر وانحصار ارثه بالورثة المذكورين بإخبار(بشهادة إعطاء العلم والخبر) كل من سعد الدين أفندي خالد وعبد القادر أفندي حمود والشيخ احمد خالد البيروتيين وبالشهادة الخطية المؤرخة في العشرين من تشرين الثاني سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف الموقع عليها من إمام محلة المصيطبة الشيخ حسن المكي ومختارها محمد المناصفي فتصبح مسئلة (مسألة) الميراث بينهم من مائة واثنين وخمسين سهماً، لمنتهى المرقومة تسعة عشر سهماً ولكل واحد من حازم وعاصم وباسم وسالم وسليمان ناظم وحسن ورشاد وحسين وعدنان المذكورين أربعة عشر سهماً ولسلمى المرقومة سبعة أسهم. وبالطلب أعطيت هذه الحجة تحريراً في الثالث عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف، الموافق للعشرين من تشرين الآخر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف.

شـــــــــهود الحـــــــال

سعد الدين خالد	عبد القادر حمود	الشيخ احمد خالد

وثيقة رقم (11)

صفحة من الجريدة الرسمية

الجريدة الرسمية للجمهورية اللبنانية

ملحق بعدد ٢١٠٨

مجلس النواب — العقد الأول

محضر جلسة الحادية عشرة

جلسة ٢٩ آب سنة ١٩٢٧

ل الاعمال

محضر الجلسة السابقة

اقتراح

المناقشة في تحويل مرتبات المأمورين الفرنسويين

المناقشة في مشروع تطبيق قانون ٢١ حزيران سنة ١٩٢٧ المختص بالتمتع على السيارات

المناقشة في مشروع القانون المتضمن فتح اعتمادات اضافية قدرها ٦٠/١٩٢٧ ليرة في الابواب ١ و ٣ و ٦ من موازنة سنة ١٩٢٧

اعادة النظر في مشروع القانون المتضمن تحويل رواتب المتقاعدين

تقرير موقع الجلسة القادمة

ت الجلسة الساعة الرابعة بعد الظهر برئاسة حضرة موسى بك نمور

عن الحكومة حضرات بشاره بك الخوري رئيس الوزارة

باشا شهاب وزير المالية

يون بعذر الساعة ، السعيد ديوس و الاسعد وعبد الرزاق

و تاجوري

١ — محضر الجلسة السابقة

صودق عليه

٢ — اقتراح

يس — علم المجلس وعلمت البلاد باجمعها ان مصرا يرزت بفقد الاكبر سعد باشا زغلول فارى ان يفوض هذا المجلس الرئاسة برقية تعزية الى المجلس النواب المصري بمناسبة هذا المصاب

فق المجلس على هذا الطلب بالاجماع)

٣ — المناقشة في تحويل مرتبات المأمورين الفرنسويين

يس — لقد اعيد هذا المشروع الى الحكومة من قبل اللجنة المالية تطبق عليه قانون موازنة سنة ١٩٢٧

يخ الوزارة — ان كان ذلك ممكنا فاننا نطبقه والا فاننا نعود المجلس بطلب آخر

فوافق المجلس على قرار اللجنة)

٤ — المناقشة في مشروع تطبيق قانون ٢١ حزيران سنة ١٩٢٧ المختص بالتمتع على السيارات

تلي هذا المشروع ومذكرة اللجنة المالية المتضمنة الموافقة عليه فالحق نصها بالمحضر

الخازن — الحكومة وعدت السواقين انها تنظر في مطاليبهم

الرئيس — هذا متعلق برسم التمتع لا برسم السيارات

وزير المالية — لدى المفاوضة مع مندوبي السواقين وعدتهم الحكومة بما يتحول الضريبة الى رسم تأخذه على البنزين وقد رضوا بذلك ما دام وافقهم سيستفيدون من تأجيل ضريبة التمتع اذا اقر المجلس المشروع الذي طرحته الحكومة عليه

(ثم تلا الرئيس المادة الوحيدة وطرحها للتصويت فصدقت بالاكثرية)

٥ — المناقشة في مشروع القانون المتضمن فتح اعتماد اضافي ٦٠/١٩٢٧ ليرة في الابواب ١ و ٣ و ٦ من موازنة سنة ١٩٢٧

نمور — ذكرنا في المرة الماضية ان هذه الطريقة مضرة بصاحبة الخزينة ولكن عندما ان بعض المأمورين نالوا هذه الزيادة من بدء السنة فهم سيتناولونها من اول السنة ونحن على ما نحن عليه من حالة الافلاس

رئيس الوزارة — لجنة ترقي الموظفين تجتمع مرتين في السنة في اول السنة وفي اواخر تموز وعندما تقرر زيادة ما فيعطيها المأمور من اول السنة اذ كان يستحقها من اول السنة وهذا هو القانون فاذا شئتم ان تعدلوه فلكم ذلك ولولا الموظفين لا يوجد لهم اعتمادات في الميزانية لسوء تقسيم كثير من مأموري الوزارات الذين فصلوا وليس من العدل ان يحرم المأمورون الترقي الا اذا شاء المجلس الحكم وعند ذلك فليظهر رغبته في اقتراح تعمل الحكومة برغبته

نوفل — لا يجوز لي على الاطلاق ان اقف في وجه المأمور المستحق زيادة بموجب القانون المعمول به ولا اظن المجلس بمناقشته في امور الدولية يريد ان يحرم من بالنسبة تستحق زيادة فهذه الزيادة هي لازمة على ان تعاون الحكومة مسألة المساواة بالمكافأة وسدها

امين تقي — الاقتصاد ضروري ونحن الامور الوسط فلا يمكن ان يعطى المأمورون زيادة في السنة مرتين دون ان يوزع توزيعا عادلا وقد يأتينا طلب اخر من الحكومة في هذا الشأن فيجب ان تعمد الحكومة الى هذه الخطة وهي تقرير الزيادات في حزيران وتدرجها في موازنة السنة التي تلي بصورة واضحة

وثيقة رقم (12)

صفحة من محاضر مجلس الشيوخ اللبناني

مجلس الشيوخ اللبناني

الدورة الاولى لعامي ١٩٢٦ — ١٩٢٧

العقد العادي

الاجتماع الثاني

الجلسة في ٨ نيسان سنة ١٩٢٧

— فهرست —

عقد مجلس الشيوخ جلسته الثانية في العقد الثاني من الدورة العادية ١٩٢٦ — ١٩٢٧ في الساعة الثالثة ونصف زوالية بعد ظهر يوم ... برئاسة حضرة الشيخ محمد الجسر

١ — افتتاح الجلسة وتلاوة جدول الاعمال

الرئيس افتتح الجلسة وتلا السكرتير الموظف جدول الاعمال

٢ — تصديق محضري الجلستين الثالثة والرابعة

الرئيس — لقد وزع على حضراتكم محضرا الجلستين الثالثة والرابعة الاستثنائي فهل لاحد ملاحظة على احدهما

لم يبد احد ملاحظة اعلن الرئيس ان المحضرين صدقا

٣ — التعديلات المختلف عليها في ميزانية سنة ١٩٢٧

الرئيس — هل يرغب حضرة مقرر اللجنة ان يتلو تقريره؟

الدكتور ايوب ثابت — تلا حضرته القرار الآتي

تقرير لجنة مجلس الشيوخ العامة

على المواد التي اقرها مجلس النواب في جلسة ٣١ آذار سنة ١٩٢٧
بشأن تعديلات مجلس الشيوخ لمشروع موازنة سنة ١٩٢٧
والاعتمادات التي اضافها المجلس النيابي على مشروع
الموازنة المذكورة

حضرة الرئيس والشيوخ المحترمين

وضعت لجنتكم تحت البحث مقررات المجلس النيابي بشأن التعديلات التي ادخلها مجلسكم على مشروع موازنة سنة ١٩٢٧ وعلى الاعتمادات التي اضافها مجلس النواب على هذه الموازنة - فقررت اللجنة تقسيم المواد المختلف عليها بين المجلسين الى قسمين يتضمن احدهما المواد اللازمة للقيام بنفقات الحكومة والآخر المواد الخارجة عن هذه النفقات.

وفي ما يلي مقررات لجنتكم بشأن كل من هذين القسمين

القسم الاول

فيما يختص بالمواد الواردة في مشروع موازنة سنة ١٩٢٧

قررت لجنتكم تصديق الاعتمادات الآتي بيانها وهي تطلب موافقتكم على قرارها

الباب ١٩ — وزارة العدلية : «اعتماد لثلاثة اشهر ريثما تتمكن الحكومة من طرح مشروع التنظيم القضائي على البرلمان»

وكان مجلسكم قد اقر الاعتماد لسنة كاملة مع الملاحظة «انه اذا اصر المجلس النيابي على قراره السابق بجعل الاعتماد لثلاثة اشهر فقط فلا يخالفه مجلس الشيوخ بذلك»

الفصل ١/٦ — البند ٢/١ : «حذف اعتماد ٢٠٤ ليرات للمحامي الثاني في قلم القضايا»

وكان مجلسكم قد اقر الاعتماد للمحاميين كما جاء في مشروع موازنة الحكومة مع الملاحظة «انه اذا اصر المجلس النيابي على قراره السابق فلا يخالفه مجلس الشيوخ بذلك»

وثيقة رقم (13)

صفحة من محاضر مجلس النواب اللبناني

مجلس النواب

العقد الاول الاستثنائي

محضر الجلسة الرابعة

الثين الواقع في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٩ الساعة ٣½ بعد الظهر

فهرست

مناقشة اتفاقية الديون العمومية العثمانية

مجلس النواب جلسته الرابعة في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر
ن الواقع في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٩ برئاسة الشيخ محمد الجسر وحضور
رئيس الوزارة ووزير الداخلية ووزير المعارف واوغست باشا
يح بموجب مرسوم من رئيس الجمهورية فدفاع عن مشروع اتفاق
عمومية في مجلس النواب
ضر الجلسة حضرة المسيو سولوميك مندوب المفوضية العليا

١ — افتتاح الجلسة وتلاوة ملخص محضر الجلسة السابقة

يس — فتحت الجلسة ليتلى ملخص المحضر
السكرتير الموظف ملخص محضر الجلسة السابقة فصدقه المجلس

٢ — اعتذار فرعون بك والامير فؤاد ارسلان

يس — تلقيت من الزميل حسين بك فرعون برقية يعتذر بها عن
وقد اضطر الامير فؤاد ارسلان الى الشوف للقيام بواجب التعزية
اء الشهر الذي توفي اليوم. والان ننتقل الى مشروع اتفاقية الديون

٣ — بيان الرئيس

ئيس — لديكم الان سادتي مشروع اتفاقية الديون العمومية وقد
اللجنة كما اعلم النواب المحترمون بتدقيق الاتفاقية ودرسها درساً
حسنت اللجنة صنعاً بوضعها تقريراً لخصت فيه الاتفاقية تلخيصاً لم
ردة ولا واردة وقد ذاكرت الكثيرين من النواب فوجدتهم
تماً على الاتفاقية تما يعد الكثرة المطلقة — والتي اشرت — بان
اتفاقية بمثل هذه السرعة امر غير ميسور. هو كذلك لان الناس لا يهمهم

امر بلادهم ولكن مجلسه يضم خمسة وعشرين نائباً يحملون الشهادات
العالية والباقين لا تنقص معلوماتهم عن اولئك فلا يغرب احد من انهم
من اول نظرة الى هذا المشروع فهموه وعرفوا غاياته ومع ذلك فان من
واجبي ان الخص لحضراتكم ما تقدمت عليه منهم:

كانت بلادنا جزءاً من السلطنة العثمانية فاضطر حكام تلك السلطنة
الى عقد قروض صرفوها لما ينفع البلاد او لغير ذلك فالامر شأنهم
والتاريخ يحاسبهم ولكن هنالك قاعدة حقوقية تقول ان الغنم بالغرم فاذا
غنمت بلاد او غنم شخص وجب عليه ان يتحمل قسطه من الغرم وقد غنمت
بلادنا استقلاله مجاناً لانها لم تكن ساحة حرب ونالت استقلالها بمساعدة
الدولة المنتدبة بدون سفك ولا ضرب وهو استقلال يدل انه لا بد. وهذا
هو الغنم. فما هو الغرم اذن ؟ اذا كانت مساعدة الدولة المنتدبة لنا
والظروف قضت بان لا نصاب في اجسامنا وبان لا تصاب بلادنا فلا اقل
من ان نصاب بالمال وهذه الاصابة في مالنا هي حصتنا التي يجب ان نقوم
بدفعها من الديون العمومية. ورب قائل يقول ولماذا لا نمتنع عن دفع هذا
الدين ؟ فنقول ان دفع الدين واجب انساني قبل ان يكون واجباً اجبارياً
الانسان في هذه الدنيا يحتاج الى معاونة رفيقه الانسان فضلاً عن ان
المعاملات المالية بين الامم تقضي علينا بان نكون ذوي اعتبار حسن
نقوم بدفع ما يجب علينا. وهذه هي الحكومة التركية الحاضرة التي كانت
اساس السلطنة العثمانية والتي حاربت بجيوش واهرقت دماء ابنائها لم
تتمكن من عدم اداء الدين بل اضطرت ان تقول لدول تملي شروطها
على هذا الدين. ونحن ابناء لبنان اولى من سوانا بان نكون في مقدمة
الذين يدفعون ديونهم فلا نستعمل السيف لهضم الحقوق

هذه مقدمة قدمتها القاعدة الانسانية التي اضطرتنا لعقد الاتفاقية
بدأت الحكومة العثمانية منذ سنة ١٨٥٤ بعقد القروض فعقدت قرضاً
في تلك السنة و بعد ذلك في سنة ١٨٥٧ عقدت قرضاً آخر بقي على عاتق
مصر وبسببه العقد المخصص بجزية مصر. ومن ثم بدأت الدولة العثمانية
بعقد القروض تباعاً والطريقة التي تبعتها هي انها كانت تطلب مبلغاً من
المال مقابل فائدة معين ولمدة معينة اي انها تتعهد بدفع المال مع فائدته في
مدد معينة وليس هذه الطريقة طريقة الاستهلاك السنوي وهو لا يكون
عادة قسماً كبيراً من رأس المال. وما زالت تعقد القروض حتى سنة ١٩١٢
حين استمرت نار الحرب البلقانية وكان عليها اثنان وعشرون قرضاً

وثيقة رقم (14)
تقرير الأمن العام الفرنسي

SURETE GENERALE

Beyrouth, le 12 avril 1932.

INFORMATION N° 1834

Source: Sûreté Générale - Beyrouth.

CAMPAGNE PRESIDENTIELLE -

Hier soir, après son entrevue avec M. le Haut-Commissaire, le Cheik Djisr a reçu, chez lui, un grand nombre de députés auxquels il a fait part de sa décision de maintenir sa candidature.

Il a ensuite délégué les députés Rachad Adib et Aboud Abdul Rezzak auprès de Bechara Khoury pour lui demander de se désister en sa faveur. Bechara Khoury a refusé de se désister.

Dans la soirée, le député Fakhoury a donné, à son domicile de Bourj Hammoud, un grand dîner en l'honneur des députés mahométans Quelques notables musulmans de Beyrouth, tels qu'Omar Daouk et Abdul Rahim Kaleilat, étaient également invités.

Cheik Djisr n'assistait pas au banquet, mais il est venu, après le repas, et a pris part à la réunion au cours de laquelle il a été décidé de soutenir sa candidature.

La réunion prit fin vers 11 heures. Interrogé, par un ami, à sa sortie de la réunion, Cheikh Djisr a répondu textuellement ce qui suit: "Ma situation est plus forte que jamais".

Quelques députés chrétiens ont laissé entendre, hier soir, que la candidature d'Auguste Pacha Adib a été envisagée en haut lieu.

وثيقة رقم (15)

تقرير الأمن العام الفرنسي

SURETE GENERALE

Beyrouth, le 15 Décembre 1931.

INFORMATION N° 4772

Source: Sûreté Générale - Beyrouth.

A/S. PRESIDENCE DE LA REPUBLIQUE LIBANAISE -

Cheik Youssef el Khazen, qui a déjà fait part, il y a quelques jours, de son désir de poser sa candidature à la Présidence de la République, vient de declarer à un ami ce qui suit:

"Je n'ai pas besoin de faire du bruit autour de ma candidature. Je suis en plein accord avec ceux qui ont de l'influence. Je suis tout disposé à faire ma campagne, mais le moment n'est pas encore venu. J'aurai beaucoup de partisans et je sais que j'aurai un bon nombre d'adversaires.

"Mes dispositions sont prises avec les Représentants du Mandat et avec le Président Djisr qui aura quoiqu'on en dise, une grande influence".

وثيقة رقم (16)

تقرير من وزارة الخارجية الفرنسية

MINISTÈRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES.

DIRECTION POLITIQUE.

~~d'Afrique-Levant~~

N° 1008

ANALYSE.

Au sujet de l'élection présidentielle au Liban

Télégramme.

23 MARS 1932

Paris, le 23 Mars 1932

Réservé

E 413 2

Le Ministre des Affaires Étrangères

à Haut-Commissaire BEYROUTH

J'approuve les vues exposées par votre télégramme n°1008 au sujet de la prochaine élection présidentielle au Liban. Il est à souhaiter que votre effort de persuasion parvienne à faire l'union aussi large que possible autour d'une personnalité ~~qui~~ ~~présente~~ toutes garanties de loyalisme à notre égard et dont le tempérament ne ~~risque pas de~~ prolonger au delà de l'élection l'acuité des rivalités confessionnelles./.

وثيقة رقم (17)

تقرير من وزارة الخارجية الفرنسية

112

AFFAIRES ÉTRANGÈRES.

DÉCHIFFREMENT.

TÉLÉGRAMME À L'ARRIVÉE. DUPLICATA.

J

N° 1008-7 BEYROUTH, le 22 Mars 1932 à 23 h 10

reçu le 23 à 3 h.

h.a 23/3/32

Les (pouvoirs) de M. De(b)bas, Président de la République libanaise, expirent le 26 Mai.

1° L'article 73 de la Constitution prévoit que la Chambre des Députés se réunit un mois au moins et deux mois au plus avant cette date pour l'élection du nouveau Président.

2° Cette élection devant ainsi normalement intervenir entre le 26 Mars et le 26 avril, mon délégué a pris (contact) aujourd'hui avec le Président de la Chambre, à qui appartient la fixation de la date, pour lui indiquer qu'appelé à Damas par les élections, je ne serai guère de retour au Liban avant le 15 avril.

3° Il n'est pas en effet désirable que cette élection, dans les conditions où elle se présente, se fasse dans le temps où je suis engagé en Syrie.

4° Le Président de la Chambre libanaise, musulman de Tripoli de Syrie, qui jusqu'ici a donné des gages (au) mandat et conservé une attitude très correcte, répondant en effet à l'appel de son ambition et s'appuyant sur le sentiment plus latent encore qu'exprimé mais réel de ses co(religion)(n)aires, se découvre aujourd'hui et déclare être candidat à la Présidence.

Le....

PONSOT

وثيقة رقم (18)

نموذج عن الصفحة الأولى من جريدة «طرابلس»

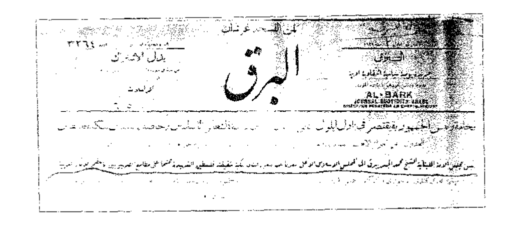

طرابلس

أسست في ٢٥ شعبان سنة

الاعلانات والمراسلات

وثيقة رقم (19)

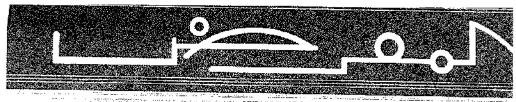
نموذج عن الصفحة الأولى من جريدة «البرق»


البرق

AL-BARK

وثيقة رقم (20)

نموذج عن الصفحة الأولى لجريدة «المعرض»



تشرين الثاني ١٩٣٤/ كانون الثاني ١٩٣٥ - من العدد ١٠٣٥ الى العدد ١٠٤٦

حول تجديد الرئاسة

لمفوض السامي ان يمدد ولاية رئيس الحالي سنة جديدة ألبست بعض بة هذا القرار ثوبا من الاضطرار اليه ض السامي قد أخذ على حين غرة وسبقته الظروف فلم يجد امامه في لتمديد لحضرة الرئيس الحالي، لانه ى الآن من تقرير مشروع الشكل م الدستوري في لبنان وما دام هذا الحاضر لم يطرأ عليه تغيير في مطلع ن من حاجة اذن الى تغيير شيء في ذا الهيكل كله موقتا لا بد من تبديله ت قريب لا يمكن ان يتجاوز هذا لون.

م ان وضعا كهذا الوضع الحكومي لا يمكن ان تقدر له حياة طويلة لانه ن من بعض مواد الحكم الدستوري بادئ «الحكم الاوتوقراطي» ... ان يهتم الوطنيون اللبنانيون لتبديل ، فقط، بل هم يسعون ويطالبون اسه حتى تستقيم الحال ويعود الامن لبنان.

بد من رأس لهذا الوضع - الذي ئسؤوليات - فاننا نرى ان حضرة ما اشتهر عنه من سياسة ماضية ومن تعمق اعباء الحكم هو اقرب الناس هذا النظام.

عني عدم رضى الناس عن الوضع ختلاف النزعات والمشارب، ان قرار في البلاد مرور مرسوم بتعيين مختار ... لا لأن حبيب باشا قد تغير مقامه ضيه بل لأن هؤلاء المواطنين يريدون يا صحيحا تحفظ فيه الكرامة الوطنية دة القومية.

ونحن من الذين احترموا ويحترمون الرئيس اللبناني الجليل الذي يحمل سنين صفحات قيمة من السياسة ية. فهو كروزنامة قديمة تحدثك كل كل يوم عن حادثة مر بها لبنان او

يد الرئاسة لم يؤثر على الموقف لاننا تبديل هذا الرئيس او ذاك بل طالبنا ع الموقت واعادة الدستور المعلق الانتداب لم يتوصل الى تحديده اء السياسة والقانون الدولي.

فالاستقلال له معناه القانوني والاستعمار كذلك والحماية لها معناها ايضا.

واما الانتداب فهو مطاط قدر ما تشاء السياسة واهواؤها ونزعاتها، بل قدر ما يشاء الرجل الذي يعهد اليه امر تطبيق الانتداب وتفسيره.

فتارة ترى الانتداب في عهد هذا المفوض واسعا رحبا حرا حتى يكاد يقرب من الاستقلال، وطورا تراه في عهد ذلك المفوض الآخر ضيقا كثير الاغلال والقيود حتى يكاد يهوي الى ابعد من الاستعمار.

أليس غريبا ان يكون لبنان تارة في ظل حكم دستوري كامل المعاني والاسس له رئيس جمهورية منتخب وله حكومة دستورية مسؤولة امام المجلس، الى آخر ما هناك من مظاهر الاستقلال. ثم يعن طورا للمفوض السامي لسبب من الاسباب ان يطيح بالدستور وحكومته فيلغي بقرار بسيط لم يوقع عليه رئيس جمهورية فرنسا ولا رئيس وزارتها ولا وزير خارجيتها بل وقع عليه المفوض السامي وحده وهو موظف من وزارة الخارجية لتنفيذ الانتداب في هذه البلاد؟

واي مظهر من مظاهر الاستقلال يمكننا ان نرى في كياننا السياسي ونحن نشاهد بين الألم والخيبة ان حاكم لبنان الذي يطلقون عليه اليوم لقب رئيس الجمهورية هو معين من قبل المفوض السامي المعين بدوره من وزارة الخارجية في باريس؟

فهل سمع احد في تاريخ الشعوب والامم ان رئيس جمهورية في بلد من البلدان يعين بقرار يصدره موظف حكومة اخرى؟

ان حكام المستعمرات انفسهم يعينهم رئيس جمهورية فرنسا باقتراح من مجلس الوزراء الفرنساوي وان ولاة الاتراك كان يعينهم السلطان في عهد آل عثمان. واما الجمهورية اللبنانية المستقلة تحت الانتداب بعد الانعتاق من حكم الاتراك فان رئيسها - ويا لسخرية الاقدار - يعين بقرار من حضرة المفوض السامي للجمهورية الفرنساوية في لبنان وسوريا!!

***

لذلك لم يكن مطلبنا متعلقا بالرئاسة بل بالدستور. فالرئيس ايا كان في ظل النظام الحاضر هو موظف معين من قبل الانتداب.

ونحن نريد جمهورية صحيحة يكون الشعب فيها مصدر السلطات، ويكون الانتداب فيها للنصيحة والتدريب والارشاد.

ميشال زكور

فقيد لبنان

المرحوم الشيخ محمد الجسر

رئيس المجلس النيابي السابق، وقد لعب دورا كبيرا في السياسة اللبنانية ويعد من اذكى واقدر رجال هذه البلاد. توفاه الله صباح هذا الاحد ١٤ الجاري، رحمات الله عليه.



المراجـــــع

1- العربيـــة

- أبو عز الدين، سليمان: **إبراهيم باشا في سورية**، المطبعة العلمية، القاهرة ــ مصر 1929.
- الأبيض، أنيس: **الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر**، منشورات جروس ــ برس، طرابلس لبنان 1985.
- أرسلان، شكيب: **الشيخ رشيد رضا وإخاء أربعين سنة**، دمشق 1927.
- **أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في نانت والكي دورسي:**
  - برقية رقم 1695، تاريخ 4 نيسان 1932، وبرقية رقم 1803، تاريخ 8 نيسان 1932. (نانت)
  - برقية رقم 2052، طرابلس 25 نيسان 1932 (نانت) مرسلة من بيروت بتاريخ 26 نيسان 1932، وبرقية مرسلة من طرابلس بتاريخ 16 نيسان 1932 بدون رقم.
  - و برقيات أخرى من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية في الكي دورسي كثيرة نحتفظ بصور عنها في مكتبتنا.
  - تقرير الأمن العام الفرنسي، برقية رقم 1346، تاريخ 14 آذار 1932، (نانت).
- **أوراق الشيخ محمد الجسر الخاصة:**
  - يوميات الشيخ محمد لعام 1923.
  - يوميات الشيخ محمد لعام 1924.
  - يوميات الشيخ محمد لعام 1927.
  - المذكرات الخاصة المخطوطة والمحفوظة في منزل ابنه باسم في بيروت.
  - بالاضافة إلى أوراق خاصة كالوصية وحصر الإرث واتفاقيات الشراكة ومشاريع العمل وفواتير حساباته...

- البابا، محمد كامل: **طرابلس في التاريخ**، تحقيق فضل المقدّم وعمر عبد السلام التدمري، وضع فهارسه وأشرف عليه عبد الله البابا، الطبعة الأولى، جرّوس برس (طرابلس)، 1995.
- بركات، داود: **البطل إبراهيم الفاتح وفتحه الشام 1832**، المطبعة الرحبانية، بدون تاريخ.
- بولس، جواد: **تاريخ لبنان**، دار النهار للنشر، بيروت، 1972.
- تدمري، عمر عبد السلام: **تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك**، من الفتح المنصوري حتى الآن (688-1394هـ/1289-1974م)، الطبعة الأولى، دار البلاد للطباعة والإعلام، الشمال ــ طرابلس 1974.
-
- تقي الدين، خليل: **قصص من حياتي، مذكرات سفير**، سلسة مقالات منشورة في 20 حلقة أسبوعية، في جريدة "الراصد" البيروتية، من 11نيسان إلى 22 آب 1968.
- التميمي، محمد رفيق بك وبهجت بك، محمد: **ولاية بيروت**، قسمان، القسم الشمالي، 2، ألوية طرابلس واللاذقية، الطبعة الثالثة، دار لحد خاطر، بيروت1987.
- جريدة "**الجريدة** "، العدد 961، بيروت 19 شباط 1956.
- جريدة «**المعرض الأسبوعية**»، مجلّدان، المجلّد الأول من العدد 1إلى 24، أيار/آب 1921، إلى كانون الثاني ــ نيسان 1929؛ والمجلّد الثاني من العدد 25 إلى العدد 48، أيار/ تموز 1929 إلى أيار ــ حزيران 1936.
- **الجريدة الرسمية لدولة لبنان الكبير**، ملحق محاضر المجلس التمثيلي الثاني، النواب اللبناني إبّان الإنتداب الفرنسي،جلسة 5 تشرين 1945.
- الجريجاني، علي: **التعريفات**، استانبول، 1308هـ/1890-1891 م.
- الجسر، حسين: **الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية**، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية، بيروت 1888، والطبعة الثانية 1933، والثالثة تقديم وتحقيق خالد زيادة منشورات جرّوس ــ برس، والمكتبة الحديثة، طرابلس ــ لبنان، دون تاريخ.
- الجسر، حسين: **رياض طرابلس الشام**، عشرة مجلّدات.
- الجسر، حسين: **نزهة الفكر في مناقب مولانا العارف بالله تعالى قطب زمانه وغوث أوانه الشيخ محمد الجسر**، المطبعة الأدبية، بيروت 1306هـ/1888.
- الجسر، محمد: **تاريخ حياة الشيخ حسين الجسر**، مخطوطة غير منشورة ومحفوظة في منزل باسم محمد الجسر في بيروت.

- الجسر، محمد يمن: **مذكرات الشيخ محمد الجسر**، المخطوطة والمحفوظة في مكتبة ابنه باسم في بيروت، غير مطبوعة.
- الجسر، نديم: **كتاب مفتوح**، لم ينشر، ولكن مازال محفوظاً في مكتبة ابنه محمد في طرابلس، بدون تاريخ.
- الجسر، نديم: **الإسلام في العالم المعاصر**، طرابلس 1967، ص 17؛ الجسر،نديم:مقالة منشورة في جريدة «النهار» البيروتية، آذار 1967، الملحق، ص 13.
- الجسر، نديم: **قصة الإيمان**، طرابلس 1961.
- الجسر، نديم: مقال منشور في جريدة « الحياة» البيروتية، عدد 3697، 18 أيار 1958.
- الجسر، نديم: مقال منشور في جريدة « النهار» البيروتية، عدد 6994، 19 أيار 1958.
- الجسر، نديم: مقالة منشورة في جريدة «بيروت المساء»، العدد 2603، 10 حزيران 1958.
- الجسر، نديم: مقال منشور في جريدة «النهار» البيروتية، 30/ 10/ 1969. ويراجع أيضاً، محمد درنيقة: الشيخ نديم.
- الحكيم، يوسف: **سورية والعهد العثماني**، منشورات المطبعة الكاثوليكية ودار النهار لنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1966.
- الحمصي، نهدي صبحي (النقيب): **تاريخ طرابلس من خلال وثائق المحكمة الشرعية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي**، مؤسسة الرسالة ودار الإيمان،الطبعة الأولى، بيروت1986.
- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، ستة مجلدات، طبعة صادر، بيروت1977، المجلد الرابع.
- الخوري، إغناطيوس طنّوس (الأب): **مصطفى آغا بربر، حاكم طرابلس واللاذقية** (1767 -1834)، مصادر التاريخ اللبناني، جرّوس برس ودار الخليل، الطبعة الثالثة، طرابلس (لبنان)، 1985.
- الدبس، يوسف (المطران): **تاريخ سورية، من تاريخ سورية الدنيوي والديني**، 9 أجزاء، مكتبة صادر، بيروت، 1893، الجزء الأول.
- درنيقة، محمد: **الشيخ نديم الجسر، العلاّمة المجاهد**، دار المعارف العمومية، طرابلس- لبنان، 1812هـ/1992م.
- درنيقة، محمد: **الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس**، الطبعة الأولى، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس – لبنان 1984.
- رضا، رشيد: **المنار والأزهر**، مطبعة المنار، القاهرة، مصر 1353هـ/1934.

- الريحاني، أمين: **قلب لبنان، سياحات قصيرة في جبالنا وتاريخنا**، الطبعة التاسعة، دار الجيل، بيروت 1986.
- الزركلي، خير الدين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، 8 أجزاء، الجزء السادس، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت 1980.
- الزين، سميح وجيه: **تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر**، دار النفائس، بيروت 1969.
- سعيد، عبدالله: **الشيخ محمد الجسر من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان**، الطبعة الأولى، دار النهار للنشر، بيروت 2005.
- الصالح، صبحي: **نثر اللآلي**، طرابلس 1956.
- ضاهر، مسعود: **طرابلس في العهد العثماني: من مركز ولاية إلى مدينة ملحقة "إستناداً إلى وثائق من الأرشيف الفرنسي**، بحثُ نُشر ضمن كتاب:المؤتمر الأول لتاريخ طرابلس ولاية طرابلس إبان الحقبة العثمانية 1516 ــ 1918. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثالث(طرابلس)، أيار 1995.
- مجلة "**منبر الإسلام**"، شباط 1975، ص224-226.
- كيّال، مها: **اللباس الطرابلسي في النصف الثاني من القرن العشرين(التأثير التركي)**، بحثُ نُشر ضمن كتاب:المؤتمر الأول لتاريخ ولاية طرابلس إبان الحقبة العثمانية 1516 ــ 1918. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثالث(طرابلس)، أيار 1995.
- المعلوف، عيسى اسكندر: مقالة حول آثار لبنان منشورة في مجلّة "**المباحث**" الصادرة عن الجامعة الأميركية في بيروت، المجلد18.
- ميقاتي، محمد نورالدين عارف: **طرابلس في النصف الأول من القرن العشرين ميلادي**، أوضاعها الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس 1978.
- نور، محمد: «**الصفا الأنس**»، القاهرة، 1312 هـ/1894-1995.
- نوفل، عبد الله حبيب: **تراجم علماء طرابلس وأدبائها**، المنشورات الجامعية ــ مكتبة السائح، طرابلس لبنان، 1984.
- ينّي، جرجي: **تاريخ سوريا**، أصول ومراجع تاريخية، الطبعة الأولى المطبعة الأدبية، بيروت1881، والطبعة الثانية، منشورات دار لحد خاطر، بيروت 1986.

2- المراجع الأجنبية

- HILL, Georges F., Catalogue of the Greek Coins of Phoenicia, London, 1910.
- Information de la Sûreté Générale de: Beyrouth, Recensement et présidence de la République Lebanaise: No. 1346 le 14 Mais, 1932 et 1695 le 8 Avril 1932 et No. 1803 le 8 avril 1932 et No. 2052 de 25 avril 1932, archives Nantes. Et archives ETRANGERES Quai d'Orsay sans No. Mai 1932.
- ISMAIL, Adel: Documents Diplomatiques et Consulaires du Liban et des Pays du Proche – Orient, du XVII Siècle à nous Jours. Edition des Œuvres Politiques et Historique. Série Continue depuis 1975, Beyrouth 1975- 1995.
- Wajih AKKARI: Shaykh Muhammad Al-Jisr A Sunni Muslimin Lebanese Politics, A Thesis of the Degree of the Master of Arts, Department of History and Archaeology, American University Of Beirut, Beirut, Lebanon, 1992(no edited).
- SMITH, William, A Smaller Classical Dictionary, New York, 1877.

فهرس الأعلام

-ح-

- خ-

- ن -

- هـ -

- و -

- ك -

- ي -

فهرس الأماكن

فهرس المفاهيم والمصطلحات

university and institute; staff members and those responsible for the administration; my professor Massoud Daher who was a guide, a helper and my best friend away from home; my friend Shirine el-Jurdi, Ph.D. candidate student in Tokyo University of Foreign Studies; professors and friends; Eiji Nagasawa and his wife Misako; Tetsuya Ohtoshi and his wife Kaoru; Makoto Katsumata; Naoko Murakami for her quiet work and dedication; my wife Salwa Abou Akar who suffered my stay abroad and took care of our two daughters Leen and Lama during the severe times which Lebanon went through in the summer of 2006; and my friend and colleague Tarek Kassem in Lebanon, who provided me with important sources and material. I extend my heartfelt gratitude to all my Japanese friends, professors, scholars, students, employees and administrators whose names I regretfully am unable to mention individually due to lack of space; and to the peaceful and loving Japanese people, whose kindness and hospitality are unmatched, and whose sacrifice in work ensure the prosperity and development of this state and country. To all of them, I dedicate this modest book.

Abdallah Said
Lecturer at the Lebanese University
Visiting Researcher of Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa, Tokyo University of Foreign Studies.
Tokyo, October 2006.

7- The realistic vision of Sheikh Mohammad concerning the future of the eastern Arab states in light of Britain's deceitfulness to the Arabs. The British had made false promises to Sharif Hussein to establish a unified Arab state including the lands of the Arab peninsula, Iraq, Palestine, Lebanon and Syria, stretching from the Toros Mountains in the north to the Indian Ocean to the south, and from the Mediterranean and the Red Sea in the west to the Zaghros Mountains in the east.
8- The strong will of Sheikh Mohammad and his ambition to maintain the family's reputation, whatever political, social and economic changes occurred in the Arab east after the collapse of the Islamic Caliphate in Istanbul.
9- The Sheikh's call to Muslims for the necessity of integration into the diversity of Lebanese society in its politics, religion, sects and confessions, and the necessity to cooperate with the French, accept the Other, and to accept the new social reality.

v) Acknowledgments

After completing this book, I would like to express my heartfelt gratitude to everyone who contributed to its realization and publication at the Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa in Tokyo University of Foreign Studies. I specially thank: President of the University, Dr. Setsuho Ikehata; Director of the Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa, Professor Kazuo Ohtsuka; my friend Hidemitsu Kuroki, Professor of the institute and Director of the Japan Center for Middle Eastern Studies in Beirut, and his wife Masako; my colleagues in the aforementioned

1- The small income of religious teachers and guides in the beginning of the twentieth century. This was a result of the modern European industrial evolution and the race of the colonial West to split the lands of the Sultanate, which caused the collapse of economic relations in all parts of the Ottoman Sultanate.
2- The fall of traditional Eastern economic and social relations, and increasing dependency on European monetary capitalism in light of the signs of a catastrophic world war.
3- The spread of the liberal bourgeois French revolution and its principles, calling for the separation of religion and state in Syria and Lebanon. Also, the influence of this movement on Eastern social development.
4- The fall of the Islamic Caliphate in Istanbul, the rise of the secular Turkish state, and Sheikh Mohammad Yumn al-Jisr's disappointment concerning the return of the Islamic Union, despite his staunch defense of the Caliphate office. He was constantly longing to revive the Caliphate and its incorporation in the Ottoman Sultans, while respectful Arab figures well-suited for the status could not be found.
5- Sheikh Mohammed's awareness, by coincidence, of the Sykes-Pickot agreement to split the eastern Arab lands between Britain and France, when a commander of the British army in Beirut alluded to this plan in 1918.
6- The weakening of religious impact and respect which had been enjoyed by the Sheikhs of the *sufi tariqa* in Tripoli and the eastern Arab states at the beginning of the French Mandate in 1920.

however, he took an administrative job as a judiciary. Thus becoming interested in political work, he later joined the Lebanese parliament in 1957. After that, he returned to the religious scene in Tripoli and in 1960 took the position of *mufti* (jurisconsult) of Tripoli and the North, which he filled until his death in 1980.

After Sheikh Nadim died in 1980, however, the al-Jisr family began to abandon its *sufi tariqa* and was more inclined towards political and administrative work with the children of Sheikh Mohammad: Hassan, Rashad, Hussein, Adnan, Hazim, Asim, Salim, Nazim, and Bassem. Bassem was a journalist and political writer who was close to the former Lebanese president Fouad Shehab, and nominating himself to the parliament for the Sunni seat in Beirut, was about to become a minister more than once, but was not successful at that time. He also contributed in founding the Lebanese Democratic Party, and worked with *Imam* Moussa al-Sadr. He now fills the position of vice-president of the Lebanese democratic restitution movement.

With the return of political life to Lebanon after the Taif agreement in 1990, the electoral and political competition in the al-Jisr family moved to the generation of the grandchildren and cousins. In our present time, the family is represented in the parliament by Samir Adnan al-Jisr, a partisan of *Tayyar al-Mustaqbal* (Future Movement), and is competing with the cousin of his father, Mohammad Nadim al-Jisr.

As for the reasons behind Sheikh Mohammad's rebellion against his father's will by joining public positions, as well as his professional involvement with political work and the handling of important posts, there are a number of likely explanations:

where *sufi* leaders enjoyed great respect. No Muslim dared to break the fast outside the assigned time during the month of Ramadan, or to sell or drink alcohol, for the Sheikhs were strict in controlling the different aspects of social and family life in Tripoli.

Sheikh Mohammad was born and raised in this environment of faith, religion and *sufi* practice. He was tutored by his father and other Sheikhs of the city, and resided in the al-Azhar mosque. He started his professional work in 1907 as an official teacher in the Ottoman schools, in addition to inheriting from his father the leadership of the Khalawatiya *sufi tariqa,* along with providing religious guidance and lecturing in the al-Rajabiya school, al-Tinal mosque and many other schools and mosques of Tripoli. In 1912, he became one of the two delegates of Tripoli in the Ottoman Council, vice-president for the council of the *vilayet* (province) of Beirut and president of its elites' council, president of the criminal and appeal courts, Attorney General, Minister of Interior Affairs, Minister of Education, and President of the Delegates and Sheikhs Council (1926-1932). In 1932, he almost made it to the presidency of the Lebanese Republic had the French allowed him to do so without their involvement in the Lebanese constitution. Thereof, Sheikh Mohammad al-Jisr, born in 1881 and deceased in 1934, grandson of the greatest *sufi* Sheikh of the al-Jisr family, can be considered the pioneer of his family's turn to political work.

Sheikh Nadim (1897-1980), son of Sheikh Hussein the second, followed in the footsteps of his brother Sheikh Mohammad Yumn, starting his professional work as a religious guide. Because of the small income of this job and the burdens of his family and his brother Sheikh Mohammad's family,

responding to modern theories in philosophy and science—especially Darwin's theory of evolution—from a religious point of view. To communicate his ideas, religious orientations and arguments to the materialists as well as European and eastern atheists, Sheikh Hussein has written a considerable number of books, some of which have yet to be published. He had also written cultural editorials for ten years in the weekly newspaper "Tarablous" (Tripoli), addressing the largest readership of Tripoli. He also contributed by teaching Islamic principles in the schools and mosques of the city. Sheikh Hussein was innovative in integrating teachings of Islamic law with modern academic disciplines in the sciences, mathematics, French and Arabic languages. He did this by establishing his own national school and handling on his own the teaching of Islamic sciences, Arabic languages, grammar, and literature.

iv) The al-Jisr family's shift from religious guidance to political work

This chapter examines how the al-Jisr family first moved away from religious guidance towards political work, a move initiated by Sheikh Hussein al-Jisr who showed enthusiasm towards educational reform in the Ottoman Sultanate in general and in Tripoli in particular. He established the Islamic national school and read translations of modern European philosophy, responding to them in his own writing. His son Sheikh Mohammad Yumn also grew up reading these books and articles as well as his father's comments on them. Sheikh Mohammad was thus raised immersed in the religious debates of his father in a city where various *sufi tariqas* spread, including the Khalawatiya, Qadriya, Rifaiya, Shadhiliya, Naqshabandiya, Badawiya and Mawlawiya; and

iii) The religious role of the al-Jisr family in Tripoli

This part includes a historical overview of the al-Jisr family's arrival to Lebanon from the Egyptian city of Doumyat (Damietta) and their relation to the nobility of this city. The family's original name was "al-Mai", and they were widely known as a *sufi* family of Hijaz and also for being related to the famous al-Sayyadi al-Rifai. The family came to be known as al-Jisr from the middle of the eighteenth century in Tripoli, and continued its role in religious guidance, leading the Khalwatiya *sufi tariqa*, teaching Islamic principles and law, as well as Arabic, for more than two centuries (1757-1980).

To clarify the religious role of this family, it is important to present the biographies of both Sheikh Mohammad Mustafa al-Jisr (1793-1846), as well as his son Sheikh Hussein (1845-1909). Sheikh Mohammad and Sheikh Hussein played significant roles in establishing the religious heritage of the al-Jisr family in Tripoli through their activities in the al-Azhar mosque, and through their knowledge of Islamic law and sciences. This intellectual environment was supported by Islamic scholars and *sufi*s not only in Tripoli, but also in Egypt, Palestine and Hijaz. They also followed the Khalawtiya *sufi tariqa* and were its leaders in Tripoli, granting certificates for it throughout a hundred years. Leadership transferred to Sheikh Mohammad Yumn al-Jisr after his father Sheikh Hussein's death in 1909, then to Sheikh Nadim after Sheikh Mohammad moved to Beirut and was committed to political work from the year 1920. The chapter also focuses on the valuable contribution of Sheikh Hussein in defending the Islamic doctrine and revealing its truthfulness, explaining the pillars and commandments of the Islamic religion and

customs of its inhabitants in matters of living, dressing and eating; and society in Tripoli in terms of the structure of classes and religions, the societal importance of religious men, as well as cultural and journalistic awakening.

ii) The methodology of writing a history of political figures in the Arab Orient

This chapter studies the issue of personality in Lebanese political or urban society, which can be said to be based on the saying "me or no-one". In other words, this self-centeredness characterizes the behavior of the political figure towards traditional politics or traditional socioeconomic relations and even religious and sectarian relations. Performing singlehandedly and making decisions without reference to civil or legal institutions or to democratic principles, it is such behavior that oversees the societies of the Arab Orient which are diverse culturally, intellectually and in terms of confessions and sects. The alliances and oppositions which the eastern political figure establishes are based on personal relations, political and electoral benefits, narrow financial profit, and political and social dishonesty, without adherence to the democratic principles applied in politically, socially and economically developed countries worldwide. This study includes also the methodological, technical and documental difficulties in writing the history of political figures in general, and eastern political figures in particular. Also discussed are the obstacles which the scholar faces in obtaining personal documents on a political figure, especially when attempting to focus on the positive aspects of his or her character.



Arab readers in general. These issues are: a review on Tripoli's history and the development of its society from the last quarter of the nineteenth century to the first half of the twentieth century; the problem involved in writing histories of political figures in the Arab Orient; the al-Jisr family in Tripoli; the religious role of the al-Jisr family for around two centuries and the change of this role from religious guidance and Sufism to political work; the position of Sheikh Mohammad Yumn al-Jisr vis-à-vis the Great Arab Revolution and the French Mandate; and his relation with his hometown Tripoli. A special chapter is reserved for Sheikh Nadim al-Jisr, the brother of Sheikh Mohammad, as a case study of one who worked in both religious and political fields. In addition to appendices of Tripoli's archeological sites, stores, schools, families, *sufi* ways and guides, there are some personal sources and documents belonging to Sheikh Mohammad al-Jisr who widely encouraged his family to move from religious interest to political work.

i) The historical and civilizational development of Tripoli

We see from studying the historical development of Tripoli that its location and name signify that the city was built over the ruins of three sectors of old Phoenician towns: Rhodes, Tyre, Sidon. This led to its appellation "Tri Polis" : "Tri" meaning three, and "Polis" meaning city. To differentiate it from the North African city of Tripoli in Libya, the Lebanese Tripoli was called "Tripoli of Syria", and its Libyan counterpart "Tripoli of the West". In this chapter, we also summarize the economic, administrative and political history of Tripoli from the Arab Islamic conquest to the beginning of the Lebanese Republic in 1932; the city's demographic development, sects, traditions and the

Significance of the topic

The al-Jisr family from the city of Doumyat (Damietta) in Egypt is of noble descent, and goes back in genealogy to the Prophet's family in Hijaz. They came to Tripoli in 1170 H. (1756/57AD) as a religious *sufi* (mystic) family and preserved for over two centuries (1757-1980) their leadership of the Khalwatiya *sufi tariqa*, the religious guidance and teaching of Islamic law and principles, as well as Arabic language and grammar. The family was religious *par excellence* at the time of Hajj Mustafa and his sons Sheikh Muhammad and Sheikh Hussein. However, with Sheikh Mohammad Yumn al-Jisr (1881-1934), son of Sheikh Hussein, the family started shifting focus to political work while preserving its general religious aspect. Sheikh Mohammed had contradicted his father's will and began involvement with political work, including Ottoman, French and Lebanese government posts since his youth. He thus established an encouraging basis for his brother Nadim and his children Hassan, Rashad, Hussein, Adnan, Hazim, Assim, Bassem, Salim, Nazim and their children later on to delve into a life of urban employment. While far removed from their grandfathers' footsteps in religious Sufism, the family stayed true to the teachings of Islam as well as to the different layers of Lebanese society, with its various political currents and religious, sectarian and class diversity.

Topics addressed in the book

It is true that this book relies on the previous book in its content and sources or documents, but it is new in its chapters and sections which discuss issues of interest to the Japanese scholars in particular, and to Lebanese and



Istfan al-Doueihi, who joined the Lebanese parliament representing Zogharta in North Lebanon for approximately thirty consecutive years (1964-1992).

The challenging quest for information begun, I proceeded to organize the content, type it up and then finally publish it. All of this work required a substantial effort on my behalf, especially as I lacked previous experience. After collecting and organizing the material for the book, and in light of the discussions with my Japanese researcher friends and scholars of Arab history and Arab Islamic philosophy, I decided to choose another title for this book: ***The Al-Jisr Family: From Religious Guidance to Political Work***. The reason for this is that the first half of the 20th century witnessed many Lebanese families, especially in Tripoli, to abandon religious activity in favor of political work, public and private urban employment, as well as positions in the Parliament and Lebanese ministerial councils.

In fact, what applies to the al-Jisr family in terms of shifting its religious concern and activity to political work at the beginning of the 20th century, can be observed in other Tripoli families, such as the Karami family, the al-Rafii, al-Husseini, al-Ahdab, Mikati, Durnayqa, al-Mughrabi, Ezzedine, Alamaddine, Minqara, al-Hafez, al-Shahhal, al-Muqaddam, al-Qaouqji, Sultan, Kabbara, al-Mustafa families, and others. This shift towards political work was not only limited to Sunni families in Tripoli, but included Lebanese families from the different sects, like the Sunni al-Khatib family in Iqlim al-Kharroub; the al-Fakhouris, the Naja and Kabbani Sunnis in Beirut; the Shukayr, Taqqieddine, and Sabra al-Aawar Druzes in Mount Lebanon; the Maronite al-Khazen family, and the Shiite al-Husseini, al-Zein, Saffieddine, and Jaber families. A clear example of this widespread shift to political activity is the Maronite monk

but my dear friend insisted that I stay in Tokyo at Tokyo University of Foreign Studies as a visiting researcher and work on a project for four months, funded by the University.

After discussing the project's topic with Professor Kuroki, I proposed to him a comparative study of rural history between Japan and Lebanon, or some other comparative study between the two countries. But he said that any of these topics would require more time than the duration of my stay in Tokyo, and proposed instead that I write a book about my two lectures, which would be mutually beneficial for me as well as the Institute and University hosting me.

This idea was well received by the director of the Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa, my friend Professor Kazuo Ohtsuka, and by the administration and the University board. As a result, the director of the institute sent a letter to the immigration office to extend my residency permit and to obtain a visa for four more months. The immigration office was very cooperative as well, despite my inferior level of English, and granted me a permit for three months as dictated by Japanese law, with the promise to renew it as needed.

It was thus that the idea for this book was born. Having settled on a topic, however, I now faced a number of concerns: how to write a book which was not a mere copy of my latest book, *Sheikh Mohammad al-Jisr*; how to gather the sources; and how to type it and publish it before returning to Lebanon in November. I started looking through my friend's private collection of books as well as the library of the Center, where I found some important sources. I also called my wife in Lebanon to provide me with some important information through the internet to accomplish this modest book.

proposed that I talk about my latest book: *Sheikh Mohammad al-Jisr: From the Council of the Two Delegates to Lebanese Presidency* (Dar al-Nahar, Beirut, December 2005), which he had read along with some reviews. Thereafter, I decided that the first lecture would be entitled "Sheikh Mohammad al-Jisr and the Tripoli Community 1881-1934", and the second lecture entitled "The Methodology of Writing about Political Figures."

I then started the visa and traveling procedures. I also learned from Professor Kuroki that Dr. Abdul-Rahim Abu-Husayn, Professor of Ottoman history in the American University of Beirut, would also be in Tokyo at the same time to give two lectures about Lebanon during the Ottoman period. This made me even happier. After two weeks, my friend informed me on the details of my flight, the program of my visit, and of my return on July 16.

Choosing the topic

Arriving in Tokyo on July 4th 2006, I gave my first lecture on the 8th, and the second on the 14th. While I was preparing to give my second lecture, Israel launched its devastating war on Lebanon, severing connections between different parts of the country, bombarding the roads, and destroying the main bridges, which led to the closure of Beirut Airport and the suspension of air and maritime navigation. I was completely at a loss concerning what to do and where to go in the event that the airport remained closed until the date of my return flight. I was also apprehensive about flying through Damascus airport because of a similarity between my name and the name of a wanted prisoner in Syria. I asked my friend Kuroki to grant me a few days to arrange a flight to Brussels, where my niece lives, or to Rome where my wife's brother resides,

From Religious Guidance to Political Work: A Major Aspect of the First Half of the 20th Century

Introduction: The genesis of this book

The idea of this book was born under unusual circumstances, unstable Lebanese situations, and the lack of a specialized library. In May 2006, my friend Professor Hidemitsu Kuroki, director of the Japan Center for Middle Eastern Studies in Beirut, invited me to visit Tokyo for two weeks to deliver two lectures at the Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa, Tokyo University of Foreign Studies. Despite my great delight at the invitation, which I had been looking forward to since 1998, I asked my friend Kuroki, "How can I give two lectures when I don't speak any English?" He answered me, "Don't worry, you will give the lectures in Arabic and I will interpret them directly into Japanese, provided you have them translated later into English to allow more Japanese scholars to read them." When discussing the topics of the lectures, I had had in mind to talk about modern Lebanese rural history, which is my field of specialization. Professor Kuroki, however,

Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa (ILCAA)
Tokyo University of Foreign Studies

3-11-1 Asahi-cho
Fuchu-shi, Tokyo 183-8534
Japan

ISBN: 978-4-87297-965-7

Cover:
"Tripoli" from John CARNE, Illustrated by William Henry BARTLETT, Thomas ALLOM and others: SYRIA, THE HOLY LAND, ASIA MINOR, ETC ILLUSTRATED. Published by Fisher Son & Co. London Paris and America. c.1836.

Studia Culturae Islamicae No. 84
The Research and Educational Project for Middle East and Islamic Studies (MEIS) Series No. 3

Printed by
Sanrei Printing, Tokyo

*** This volume is a result of the following research projects: The Research and Educational Project for Middle East and Islamic Studies; Human Mobility and Human Security in the Eastern Mediterranean (a joint research project of ILCAA); and Ethnic Conflicts and Human Mobility in the Eastern Mediterranean (grant-in-aid for scientific research from the Japan Society for the Promotion of Science).**

The Jisr Family in Tripoli
1757-1980
From Religious Guidance to Political Work

Abdallah Said

Lecturer at the Lebanese University

Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa (ILCAA)
Tokyo University of Foreign Studies

Tokyo 2007

ISBN: 978-4-87297-965-7
Studia Culturae Islamicae N. 84
MEIS series N.3
Project MEIS at TUFS

The Jisr Family in Tripoli 1757-1980

From Religious Guidance to Political Work

Abdallah Said
Lecturer at the Lebanese University



Research Institute for Languages and Cultures of Asia and Africa (ILCAA)
Tokyo University of Foreign Studies
Tokyo 2007